فيض الرحمن
في تفسير جزء (عمّ)

كِتَابٌ قَدْ حَوى دُرَراً بِعَينِ الحُسنِ مَلحوظَة

لِهَذا قُلتُ تَنبِيهاً

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة ،إلا لمن أراد طبعه

لتوزيعه مجانا بعد مراجعة المؤلفة.

الطبعة الأولى

للتواصل مع المؤلفة

٠١٠٠٩٨٨٨٤٧٥ /٠١٠٠٥٤٨٨٥٣٥

eng.mashahen@gmail.com

١٤٣٧هـ-٢٠١٦ م

رقم الإيداع :١٣٧٠٤/ ٢٠١٦

فيض الرحمن

في

تفسير جزء (عمّ)

بقلم: دينا علي عمر

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا , من يهده الله فلا مضل له, ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

فمنذ أول وهلة تقع أعيننا على كتاب الله ؛ ما نملك إلا أن ننبهر بروعة الأداء اللفظي والتصوير الفني ، وتصوير مشاعر النفس الإنسانية والغور في داخلها ، ونجد روعة التشريعات في الأحكام التى شرعها رب العباد لعباده .

﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [سورة الملك : ١٤]

والله إن القلم ليعجز عن أن يصور روعة القرآن ؛ التى تنبع من صميم النسق القرآني .

أما بعد :

فإنني أتشرف بأن أقدم تفسير (جزء عَمَّ) . فلله الحمد والمنة أن اختارني من بين عباده ؛ ليكون لى هذا الشرف .

لقد حاولت جاهدة أن يكون مبسطًا ، غير مسهبًا فيه ، يبين الأفكار الرئيسة المحورية التى تدور حولها السورة ؛ لكى تعين من يحفظ القرآن الكريم لأول مرة أن يقسمه إلى أجزاء ؛ فيسهل حفظه ، ثم حاولت جمع معانى الكلمات الصعبة التى يصعب فهمها ، ثم تحدثت عن أسباب نزول بعض الآيات ، ثم شرحت الآيات ، وحاولت ألا يفوت شيء على القارئ ؛ فتحدثت عن الإعجاز العلمى للقرآن الكريم ؛ لأن القرآن الكريم هو معجزة المسلمين إلى يوم القيامة ؛ حيث إنه فى كل عصر يكتشف جانباً من عظمة هذا الكون ؛ فالقرآن يعد معجزة مستمرة إلى قيام الساعة ، ففى كل يوم يكتشف جديداً حتى يظل عطاؤه بلا حدود إلى قيام الساعة .

فى الواقع أنني حرصت كل الحرص على تقديم جانب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ؛ لأننى عندما قرأتها وقفت مبهورة بخلق الله .

فنحن لا نستطيع أن نفْصِل بين العلم والدين ؛ بل نسخر العلم لخدمة القرآن الكريم ، ونستفيد من كل ما هو جديد لخدمة كتاب الله ، وإثبات صدق نبوة سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام .

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [سورة النجم : ٣-٤]

كما استعنت بكتب التفسير لقدماء المفسرين وكذلك المحدثين منهم ؛ للخروج بأسلوب سهل يعين القارئ على فهم كتاب الله .

وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتقبله منى ويجعله فى ميزان حسناتى.

وأتوجه بالشكر إلى كل من ساندنى وشجعنى بالقيام بكتابته ، ومن كان له الفضل فى توجيهى جزاه الله خير جزاء .

ولست أزعم أن ما جاء فى هذا الكتاب هو من جهدى الشخصى فحسب ؛ بل هو خلاصة لآراء المفسرين فى القديم والحديث ، وما مثلى إلا كمثل إنسان رأى جواهر ولآلئ ودررًا ثمينة فجمعها ونظمها فى عقدٍ واحدٍ ؛ حيث لخصت آراء المتقدمين والمتأخرين ، وجمعت بين القديم والحديث.

وأسأل الله العظيم أن ينفع به المسلمين ، وأن يبقيه ذخرًا لى يوم الدين .

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [سورة الشعراء : ٨٨-٨٩]

الفقيرة إلى الله :

دينا على عمر على عزت

فى ١٩ من صفر ١٤٣٤هـ

١من يناير سنة ٢٠١٣ م

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم ، وعلى آله وصحبه ، ومن سلك طريقهم إلى يوم الدين.

وبعد:فإن الله-ﷻ- قد أرسل رسوله محمدًا -ﷺ-﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[سورة الأنبياء:١٠٧]

كما أنزل عليه كتابًا ، هو المصدق لجميع الكتب والصحف والمهيمن عليها ، قال الله - ﷻ- :

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾ [سورة المائدة :٤٨]

وقد ضمَّن الباري – سبحانه وتعالى – القرآن الكريم كل شيء ، حيث قال:

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة النحل :٨٩]

وقد جعل الله تعالى القرآن الكريم مصدر خير ورحمة للمؤمنين ومصدر شر ونقمة لغيرهم، يقول- ﷻ- :

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[سورة الإسراء :٨٢]

وقد عنى المؤمنون به عناية بالغة بعد خاتم الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - فتناولوه بالبيان والتفسير والمدارسة من جميع جوانبه ، حتى تركوا لنا ثروة علمية هائلة ، ولايزال عطاؤه ممتدًا إلى يوم البعث والنشور ، وقد أشار القرآن الحكيم إلى ذلك حيث قال :

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ **[سورة الكهف:١٠٩]**

ومن بين من تناولوا القرآن بالبحث والتفسير والمدارسة: الأخت الفاضلة إذ قامت بتفسير الجزء الثلاثين من القرآن الكريم ؛ وذلك لحاجة المسلمين جميعًا إلى هذا التفسير لقراءتهم لسوره غالبًا فى الصلوات المفروضات والنوافل . وقد اطلعت على هذا الكتاب المبارك : فوجدته سهل العبارة ، متنوع الثقافات ، درره كثيرة ، وقد أضاف إلى المكتبة القرآنية جديدًا.

نسأل الله - الحى القيوم ، بديع السموات والأرض ، ذا الجلال والإكرام - أن يجعل ذلك فى موازين حسنات الأخت الفاضلة يوم البعث الأكبر ، كما نسأله أن يجعلنا جميعًا من أهل القرآن عقيدة وتلاوة وعملا ؛ الذين هم أهل الله وخاصته . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

راجعه العبد المفتقر إلى عفو مولاه المقتدر:

أ.د. زكى محمد أبو سريع

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بالقاهرة – جامعة الأزهر.

يوم الجمعة ٢١ من جماد الأولى سنة ١٤٣٣ هـ

﴿ سُـــورَةُ ٱلنَّبَإِ ﴾

■ **لماذا سميت بسورة النبأ ؟**

لأن فيها الخبر المهم عن القيامة والبعث والنشور ، ويدور محور السورة حول إثبات عقيدة البعث ، التى طالما أنكرها المشركون .

■ **ماترشد إليه السورة :**

١. ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن القيامة والبعث والجزاء ؛ هذا الموضوع الذى شغل أذهان الكثيرين من كفار مكة حتى صاروا بين مصدق ومكذب.

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ﴾ [سورة النبإ :١-٢].

٢. أقامت الأدلة والبراهين على قدرة الله ؛ فإن الذى خلق هذا الكون العظيم لايعجزه إعادة خلق الإنسان بعد فنائه.

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ ﴾ [سورة النبإ :٦-٩] .

٣. ومن هذه الحقائق والمشاهد يعود بهم إلى النبأ العظيم ؛ الذى هم فيه مختلفون ، فيذكر البعث ؛ حيث يجمع الله الأولين والآخرين للفصل والحساب .

﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝١٧ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨ ﴾ [سورة النبإ :١٧-١٨] .

٤. ثم تحدثت السورة عن مشهد العذاب المهين .

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣ ﴾ [سورة النبإ :٢١-٢٣] .

٥..ثم مشهد النعيم ، مشهد المتقين ، وما أعده الله لهم من النعيم .

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝٣٤ ﴾ [سورة النبإ:٣١-٣٤]

٦ . اختتمت السورة بمشهد الكافر الذى يتمنى أن يكون ترابًا فلا يحشر ولا يحاسب .(١)

﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾ [سورة النبإ :٤٠] .

---

(١) صفوة التفاسير- الصابونى ٥٠٦/٣.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَاجٗا ۝٨ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ۝٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۝١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ۝١١ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ۝١٢ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ۝١٣ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ۝١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ۝١٦﴾ [سورة النبإ : ١-١٦] .

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ :

﴿ عَمَّ﴾ وأصلها (عن ما) أدغمت الميم فى النون وحذفت الألف والمعنى عن أى شيء يتساءلون ؟ فاللفظ لفظ استفهام ، والمعنى التفخيم .(١)

هنا نجد تشويقًا للسامع وجذباً لانتباهه ؛ حيث تبدأ الآيات بالاستفهام للتفخيم والتهويل،(٢) أى عن أى شيء عظيم الشأن يتساءلون...؟! لبيان خطورة هذ اليوم ...أى عن أى شيء يسأل هؤلاء الجاحدون ؟

حيث تفتتح السورة الكريمة بسؤال مثير يوحى بالاستهوال والاستعظام وتضخيم الحقيقة التى يختلفون عليها وهى أمر عظيم لاخفاء فيه ولا شبهة ، ويعقب على هذا بتهديدهم يوم يعلمون حقيقته.(٣)

ولكن.. **عن ماذا يتساءلون؟**

قيل عن القرآن ، وقيل عن البعث ، وقيل عن أمر النبى ﷺ .(٤)

وبعد تشويق السامع لما يقال يجيب سبحانه وتعالى بأنه النبأ العظيم ؛ فقد كان المشركون يتساءلون عن البعث فيما بينهم ، ويخوضون فيه إنكاراً واستهزاءً .

﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ :

نبأ:خبر ذو فائدة عظيمة به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر فى الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة .وحق الخبر الذى يقال فيه نبأ أن يتعرى من الكذب كالتواتر، وخبر الله تعالى ، وخبر النبى ﷺ، وهنا الخبر شيئاً عظيماً له قدر فحقه أن يتوقف فيه.(٥)

إنهم يتسألون عن الخبر العظيم - وهو أمر البعث –(٦) إنه يوم القيامة ، وما أدراك ما يوم القيامة ... ؟! وما أهواله... ؟! وماذا ينتظرنا فى هذا اليوم العظيم الذى تشيب له رأس الغلام ، وتضع كل ذات حملٍ حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى !! كأنهم يستغربون من أمر البعث ؛ أليس أمر البعث أهون على الله من الخلق ؟ فلماذا يتكبر الإنسان... ؟!! .

(١) معانى القران وإعرابه- الزجاج ٢٧١/٥ . (٢) صفوة التفاسير- الصابونى ٥٠٧/٣. (٣) فى ظلال القرآن -سيد قطب ٣٨٠٢/٦.
(٤) لسان العرب ١٦٢/١. (٥)مفردات ألفاظ القرآن الكريم -للراغب الأصفهانى٧٨٨-٧٨٩. (٦) البحر المحيط ٤٠٩/٨، والقرطبى ١٨١/١٩.

فالله تعالى الذى خلق الإنسان ابتداءًا قادر على إعادته بعد موته ، فما أيسر إعادته ؛ فإنه سيعيدهم من موجود ؛ لكن البداية كانت من العدم .

فالذى يصنع آلة مخترعًا لها لا يستصعب عليه أن يعيدها كما كانت إذا هو كسرها بإرادته .[١]

يقول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ ﴾ [سورة الروم : ٢٧]

﴿ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾ :

فالكفار منهم من يكذب ، ومنهم من ينكر البعث فلقد جاء (العاص بن وائل) يومًا إلى النبى -ﷺ- بعظم حائل ففتّه بيده مستنكراً البعث .

-{عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَظْمِ حَائِلٍ فَفَتَّهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَيَبْعَثُ اللَّهُ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَمَ؟ قَالَ ﷺ: «**نَعَمْ، يَبْعَثُ اللَّهُ هَذَا يُمِيتُكَ، ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ**» قَالَ: فَنَزَلَتِ الْآيَاتُ :{ أَوَ لَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ } [سورة يس: ٧٧] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ} [٢]

لقد كانوا يرددون أقوالًا غريبة فيقولون : " **ماهى إلا أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، وما يهلكنا إلا الدهر** " .

لقد جادل كثيرًا الكفارُ الرسولَ فى مسألة البعث ،" وأقام الله الحجج على هؤلاء بالاستدلال بنوم الإنسان واستيقاظه ؛ فالنوم يعتبر موتًا مصغرًا ، والاستيقاظ يعتبر حياة مصغرة ؛ وكما تتم عملية الاستيقاظ تتم عملية النوم ؛ بل كثيرًا ما يستدل الله بإحياء الأرض بعد موتها ، كذلك ساق إليهم ذلك عمليًا عندما حكى لنا الله قصة بنى إسرائيل عندما قتل لهم قتيلاً وطلبوا من سيدنا موسي (عليه السلام) معرفة الحقيقة ، فأمرهم بذبح بقرة ، وكذلك قصة "أهل الكهف" وغيرها .

شيء آخر فالله لم يخلق هذا الكون عبثًا ؛ ولكن هناك حكمة من خلق هذا الكون ، وهناك حكمة من البعث والمعاد فلابد من مجازاة الناس ، فالناس يتفاوتون ؛ فمنهم الظالم ومنهم المظلوم ، فليس من العدل أن يتساوى من فعل الخير مع من عمل الشر ، فالدنيا هى دار اختبار . ومن هنا قضى الله تعالى بالبعث والجزاء . [٣]

﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ :

هنا نجد تهديداً شديداً، ووعيداً أكيداً باستخدام أسلوب الردع والزجر ﴿كَلَّا﴾ ؛ ليرتدع هؤلاء المكذبون عن التساؤل عن البعث ، فسيعلمون حقيقة حالهم عند البعث . [٤]

وكأننا نرسم صورة بخيالنا لهذا اليوم ، وكأننا نراه رؤية العين،فالله يتوعد الكافرين بالتهديد والوعيد محذرًا إياهم من ذلك اليوم، ثم تنتقل بنا الآيات إلى الأدلة الدالة على قدرة الله ؛ ليقيم الحجة على الكفار فيما أنكروه من أمر البعث ، فكل شيء ينطق بوجود الله وعظمته . إن الله يخاطب عقول البشر فى كل زمان

(١)رحلة إلى الدار الآخرة - محمود المصرى٣٤٦.
(٢) (٣٦٠٦) «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ» المستدرك- للحاكم -تَفْسِيرُ سُورَةِ يس-كِتَابُ التَّفْسِيرِ، وابن كثير عمدة التفاسير ١٣٦/٣ فى تفسير سورة يس،أسباب النزول -للواحدى ٣٧٩.
(٣) رحلة إلى الدار الآخرة -محمود المصرى ٣٤٨-٣٤٩.
(٤) صفوة التفاسير -الصابونى ٥٠٧/٣.

ومكان ، وكلما تقدم العلم يكشف ما يشاء لمن شاء ، فالله يخاطب كل العقول من العلماء إلى العقول البسيطة ، فالله يخاطب عقولنا لنتفكر بها ؛ فنحن بالعقل ندرك أن هناك خالق مبدع قادر ، فكل ما حولنا ينطق ويشهد أن (لا إله إلا الله) ."فقضية الخلق محسومة لله سبحانه وتعالى؛ لأنه هو وحده الذى قال إنه الخالق ، وإن كان هناك قوة أخرى قد أوجدت هذا الكون فلماذا لم تعلن عن نفسها.. ؟؟؟ .

إن الكفار أنفسهم لم يستطيعوا أن يجادلوا فى قضيه خلق الله ؛ فكل شيء فى الكون من سموات وأرض وإنسان وحيوان وزرع وماء من صنع الله . [١]

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾

[سورة العنكبوت:٦١]

ولما كان أعظم نبأ جاءهم به القرآن هو إبطال ألوهية أصنامهم، وإثبات إعادة أجسادهم للبعث بعد البلى، فالكلام موجه لمنكرى البعث ، فالله يدعوهم لمشاهدة ما بين أيديهم من سماء وأرض وجبال ، وأن يتفكروا فى صنعها ثم تحدث عن خلق الأزواج مما يدل على إمكانية إعادتهم مرة آخرى .

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴾ :

مهد: المهادُ الفراش، وقد مهدت الفراش مهداً أى بسطته ووطأته ، فالمهاد أجمع من المهد فالأرض جعلها الله مهاداً للعباد، وأصل المهد التوتير، يقال : مهدت لنفسى، ومَهَّدت: أى جعلت لها مكاناً وطيئاً سهلاً .[٢]

يتساءل ربنا - ﷻ- ألم نجعل هذه الأرض ممهدة للخلائق ، ذلولاً لهم حتى سكنوها وساروا فى مناكبها[٣] ، فلو ألقينا نظرة تأمل فى قول الله - ﷻ- حيث شبهها بالمهد الذي يفترشه النائم ، فلو نظرنا إلى طبيعة هذه الأرض لوجدنا أن هذه البقعة من الأرض بها رمال ، وهذه البقعة بها طين ، وهذه الرقعة بها أحجار ؛ حيث يتنوع فراش الأرض ، هنا خضرة وبساتين ناضرة ، وهنا صحراء قاحلة ، بالله عليكم من الذى أبدع هذا الجمال..!!! .

"وبالرغم من أننا نعيش على هذه الأرض فلا يستطيع أى شخص أن يدعى أنه أوجد أى شيء فى الأرض من عدم ، فمن الذى أوجد الشجرة الأولى ، ومن الذى أوجد حبة القمح الأولى ؛ فالله أوجد كل شىء من العدم ، ومهد هذه الأرض ؛ لتكون فى استقبال الإنسان ليستقر عليها ، ويتقلب فى أنحائها ، ويستفيد من سهولها الواسعة المليئة بأنواع المزروعات". [٤]

ثم تأمل الحكمة البالغة فى ليونة الأرض مع يبسها ؛ فإنها لو أفرطت فى اللين كالطين لم يستقر عليها بناء ولا حيوان ولا تمكَّنَّا من الانتفاع بها ، ولو أفرطت فى اليبس كالحجر والحديد لم يمكن حرثها ولا زرعها ولا شقها ولا فلحها ولا حفر عيونها ولا البناء عليها ، فقد نقصت عن يبس الحجارة ، وزادات على ليونة الطين فجأت بتقدير ربها وفاطرها على أحسن ما جاء من الاعتدال بين اللين واليبوسة فتهيأ عليها جميع المصالح. [٥]

(١) الأدلة المادية على وجود الله–الشعراوى ٨ .
(٢) لسان العرب ٣/٤١٠.
(٣) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٥/٢٧١ .
(٤) الأدلة المادية على وجود الله –الشعراوى ١٠ .
(٥) مفتاح دار السعادة –ابن القيم ٢/ ٦٢٠–٦٢١.

فالأرض قدرها الله بمقدار فى الكتلة والحجم والبعد المكانى عن الشمس ، فلو كانت أبعد لماتت الأحياء عليها من البرد ، ولو كانت الأرض أقرب لاحترقت من حر الشمس ، ولو كانت أصغر حجمًا وكتلة ؛ لفقدت جوها وماءها بسبب ضعف الجاذبية كما هو الحال فى القمر، ولأصبحت الحياة مستحيلة ، ولو كانت أكبر حجمًا وكتلة لتضاعفت الجاذبية ، ولتضاعف وزن الكائنات عليها ، ولما استطاعت الحركة .

فمن الملاحظ الدقة فى خلق الأرض ، فلو كانت الأرض صغيرة كالقمر لعجزت عن الاحتفاظ بغلافها الهوائى والمائى ويترتب على هذا أن تبلغ الحرارة فيها حد الموت ، أما لو كانت كبيرة كالمشترى بحيث تتثاقل المخلوقات على سطحها فلا تستطيع الحركة ، لو تصورنا أن قطرها أربعة أمثال ماهو عليه الآن لتضاعفت جاذبيتها، وكذلك لتضاعف الضغط الجوى ،كذلك معقولية المسافة بين الأرض والشمس فأرضنا تبعد عن الشمس ٩٣ مليون ميل ، وهى مسافة محسوبة ومقدرة من لدن حكيم خبير لكى تستقبل من إشعاع الشمس ما يكفى فقط لاستمرارية الحياة عليها. (١)

﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ :

يعرف الجبل بأنه :كتلة من الأرض ترتفع بارزة فوق ما يحيطها من اليابسة وتحيط به حواف شديدة الانحدار . وتد : الوتد يعبر به عن ثبات الشيء واستقراره ؛ لأن الله تعالى لما خلق الأرض على الماء جعلت تتكافأ كالسفينة فأرساها وثبتها بالجبال لقوله تعالى:

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة النحل: ١٥]

فهى كأوتاد الخيمة المشدود عليها أطنابها. (٢)

لونظرنا إلى الكون لوجدنا دلائل حب الله لنا ، فلقد سخر لنا الشمس والقمر والنجوم والبحار ؛ أما الجبال فإنها تمسك الكرة الأرضية وتثبتها ، فهى كالوتد بالنسبة للخيمة ، والله تعالى وصف الجبال بالأوتاد؛ لأن الوتد غالبًا يدفن فى الأرض وأقله يظهر على السطح ، ووظيفة الجبال التثبيت ، فالجبال لها جذور عميقة تخترق الأرض ، فكلما ازداد طول الجبل ازداد طول الجزء الغائر فى الأرض .

تسمية الجبال بالأوتاد إعجاز علمى رائع ، فالجبال تشبه الأوتاد من حيث بروزها عن سطح الأرض من جهة ، ومن حيث رسوخها فيها من جهة أخرى ، فقد اتضح حديثا أن للجبال جذوراً تمتد إلى أغوار قد يصل عمقها نحو ٧٥ كيلو مترا ، ويشير القرآن الكريم إلى أن الجبال جزء لا يتجزأ من قشرة الأرض الصلبة فإذا اهتزت الأرض اهتزت الجبال معها لشدة ارتباطها بها ؛ (٣) لأن الأرض تدور حول

(١) للكون إله - صبرى الدمرداش٧١.
(٢) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ - السمين الحلبى ٢٧٩/٤.
(٣) للكون إله- صبرى الدمرداش- ٩٣.

نفسها والجبال جزء من الأرض، فهى تدور معها ونحن لا نحس بدوران الأرض حول نفسها ، وبذلك لا نحس أيضا بحركة الجبال.(١)

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾ [سورة المزمل: ١٤]

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍۚ ﴾

[سورة النمل: ٨٨]

كذلك الجبال مصدر للمعادن النفيسة كالذهب والحديد والنحاس، فمن أين نحصل على أحجارنا الكريمة كالزمرد والعقيق والياقوت بل والأحجار التى نستخدمها فى البناء كالحجر الجيرى والجرانيت والرخام ؟

﴿ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ :

لقد خلق الله الإنسان ذكرًا وأنثى ؛ ولكى تستمر الحياة أنشأ النظام الأسرى ، وحدد دور ومهمة الرجل والمرأة ؛ بل وجعل الرجل فى حاجه إلى المرأة ، والمرأة لا تستغنى عن الرجل ؛ فالرجل والمرأة يكملان بعضهما البعض ، وذلك فى ظل قيود شرعية وضعها الله ؛ لكى تقام الأسرة وتنشأ جيلاً آخر ، وهكذا ليستمر العمران ، وتستمر دورة الحياة على هذا الكوكب ، والله تعالى عندما خلق الذكر والأنثى جعل بينهم علاقة مودة ورحمة ، من غير أنْ يكونَ بـينهم سابقةُ معرفةٍ ، ولا لقاء، ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة أو رحم وكل ذلك من تدبير حكيم خبير .

"والناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر، وتشغل أعصابهم ومشاعرهم تلك الصلة بين الجنسين؛ وتدفع خطاهم وتحرك نشاطهم تلك المشاعر المختلفة الأنماط والاتجاهات بين الرجل والمرأة .

ولكنهم قلما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجًا ،وأودعت في نفوسهم هذه العواطف والمشاعر، وجعلت تلك الصلة سكنًا للنفس والعصب ،وراحة للجسم والقلب ،واستقرارًا للحياة والمعاش، وأنساً للأرواح والضمائر، واطمئنانًا للرجل والمرأة على السواء.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةًۚ﴾

[سورة الروم:٢١] والتعبير القرآني اللطيف الرفيق يصور هذه العلاقة تصويرًا موحيًا ، وكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس: ﴿ لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةًۚ ﴾

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

فيدركون حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقًا للآخر. ملبيًا لحاجته الفطرية:نفسية وعقلية وجسدية . بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار ويجدان في اجتماعهما السكن ، والمودة

(١) الأدلة المادية على وجود الله-الشعراوى ٤٦ .

والرحمة." [١]

﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ :

السبات : النوم ، وأصله الراحة و(السبت) أى : القطع ، أى قطعا للعمل وذلك إشارة إلى ما قاله فى صفة الليل لتسكنوا فيه قال تعالى :

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ [سورة يونس: ٦٧]

وقيل سمى يوم السبت لأن الله تعالى ابتدأ بخلق السموات والأرض يوم الأحد فخلقها فى ستة أيام كما ذكره فقطع عمله يوم السبت فسمى بذلك [٢]، أو لأنه حرم على اليهود فيه العمل يقال : أسبت إذا دخل فى السبت ، وسبت يسبت إذا عظمه ومنه قوله تعالى:

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ [سورة الأعراف:١٦٣]

أى لا يفعلون ما يجب فى شرعهم فى هذا اليوم. [٣]

أى جعلنا النوم راحة لأبدانكم ، قاطعًا لأشغالكم تتخلصون فيه من مشاق الحياة . [٤] لقد كان من تدبير الله أن جعل النوم يقطعهم عن الحركة ، ويجعلهم فى حالة لا هى موت ولا هى حياة ؛ ليتكفل بإراحة أجسادهم وأعصابهم ، وتعويضهم عن الجهد الذى بذلوه انشغالاً بأمور الحياة ؛" فالنوم يعتبر موتًا مصغرًا ، ويعتبر لهم عبرة ، والاستيقاظ حياة مصغرة . فكما تتم عملية النوم للإنسان والحيوان تتم عملية الاستيقاظ. وكما تتم عملية الحياة تتم عملية الموت والبعث ، "[٥] فالنوم من أدلة البعث والنشور .

"النوم نعمة من نعم الله على عباده ، وآية من آياته أوجده فى الإنسان رحمة به وفضلا عليه ، إن فى النوم سراً من أسرار تلبية حاجة الجسد والأعصاب ، إنه هدنة الروح من صراع الحياة ؛ وذلك لأن المخ يتمكن أثناء النوم من إراحة خلاياه من الإجهاد اليومى ليحتفظ بقدراته الذهنية فيكون أكثر تركيزاً ، وأدق تفكيراً ،كما أن هرمون النوم يفرز ليلاً أثناء النوم ليساعد على بناء خلايا المخ ، ونقص النوم يؤدى إلى الإجهاد والإحساس بالتعب والإصابة بالاكتئاب وغيره من الأمراض ،لقد كان من تدبير الله أن جعل حركة الكون منسجمة مع حركة الأحياء ، فأودع فى الكون ظاهرة الليل والنهار ، فالليل يكون لباسًا يتم فيه السبات والانزواء ، والنهار ليكون معاشًا تتم فيه الحركة والنشاط .

لقد ثبت بالتجارب أن أفضل نوم الإنسان هو نومه بالليل خاصة فى الساعات الأولى حيث أنه يجدد النشاط ويقوى الذاكرة ويريح أغلب أجهزة الجسم ، وأن إطالة النوم بالنهار ضار بالصحة حيث أنه يؤثر على نشاط الدورة الدموية تأثيرا سلبياً، ويؤدى إلى تيبس فى العضلات ،وتراكم الدهون على مختلف أجزاء الجسم ، وزيادة فى الوزن كما يؤدى إلى شىء من التوتر النفسى والقلق [٦] ولذلك قال ربنا تبارك

(١) فى ظلال القرآن -سيد قطب- ٥/٢٧٦٣.
(٢) مفردات ألفاظ القرآن الكريم- للراغب الأصفهانى ٣٩٢.
(٣) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ -السمين الحلبى ٢/١٦٥.
(٤) صفوة التفاسير –الصابونى ٣/ ٥٠٨ .
(٥) رحلة الى الدار الآخرة - محمود المصرى ٣٤٩ .
(٦) تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم- زغلول النجار ١/٥٥٠.

وتعالى : ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۝١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا﴾ [سورة النبإ :١٠-١١]

تخيل لو أنك منعت من النوم لأصبحت الحياة جحيما ، فالنوم نعمة والحركة نعمة ، حيث يحتاج الإنسان إلى أن يسكن بالليل فيخلد إلى شيء من الراحة والنوم مما يعينه على استعادة نشاطه البدنى والذهنى والروحى وعلى استرجاع راحته النفسية واستجماع قواه البدنية حتى يتهيأ للعمل بالنهار، لقد خلقنا الله متناسقين مع الكون الذي نعيش فيه ، وجعل حاجتنا إلى النشاط والعمل يلبيها الضوء والنهار، وحاجتنا إلى النوم والراحة يلبيها الليل والظلام .

ألست معى عزيزى القارئ أن الله تعالى خلق كل شيء بحكمة وبقدر ، انظر إلى لطف الله بك وأنت نائم فعندما يحل ميعاد نومك تبدأ الجفون بالتثاقل ، وتبدأ العيون بالأحمرار شيئاً فشيئاً، وتحس بجسمك يستجيب لهذه الإشارة فيبدأ بتخفيف نشاطه شيئاً فشيئاً ، ويرسل الدماغ الإشارة لبقية أعضاء الجسم كى تقوم بدورها فى التهيئة للنوم، وبعد أن تتمدد على الفراش الوثير ماهى إلا لحظات وتجد نفسك قد غبت عن الوعى ودخلت فى الموتة الصغرى..... الوداع !!!.

ولكن انتظر ! هل فكرت ولو للحظات ماذا يحدث لو تعطلت آلية واحدة من آليات عمل الجسم؟!

فعندما تنام ترعاك يد الله الحافظة لذلك: أحمد الله سبحانه وتعالى على تقليبه لك مرة ذات اليمين وأخرى ذات الشمال لتغير وضعك أثناء نومك حتى لا يصاب جلدك الرقيق بالتعفن.

﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ﴾[سورة الكهف:١٨]

وأحمد الله سبحانه وتعالى على نعمة التنفس من شهيق إلى زفير وأنت نائم ، وأحمد الله لعدم توقف قلبك عن النبض وإلا لأصبحت فى عداد الأموات .

وأحمد الله سبحانه وتعالى على نعمة لسان المزمار الذى يفتح منفذاً للريق الكثيف الذى يجتمع بفمك وأنت نائم لا تدرى حتى لا تختنق بالريق .

أحمد الله اللطيف الرؤوف بعباده على نعمة الأحلام غير المرضية التى جعلها الله سبحانه وتعالى كالمنظف لما يزدحم فى ذاكرتك من معلومات ومشكلات.

أحمد الله على نعمه التى لا تنتهى وعلى أفضاله التى لا تحصى يرعاك وأنت نائم، ويرعاك وأنت قاعد،ويرعاك وأنت قائم ، ويرعاك فى كل أحوالك لذلك إذا أويت إلى فراشك فاضطجع على جنبك الأيمن ثم قل الدعاء الذى أخبرنا به الحبيب ﷺ:

-{عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " **إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ، فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ، فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ، وَلْيُسَمِّ اللهَ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا خَلَفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَضْطَجِعَ، فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، وَلْيَقُلْ: سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبِّي بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ** } [١]

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ :

لبس: أى ساترا بظلمته للأشياء ، وكل شىء ستر شيئا فهو لباس .[٢]

لقد جعل الله الليل كاللباس يغشانا ويسترنا بظلامه كما يسترنا اللباس . [٣] ونجد هنا روعة التشبيه ؛ حيث جعل الليل كاللباس فى الستر والخفاء ، فلقد جعل الله سبحانه وتعالى الليل للراحة .

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ :

أى وجعلنا النهار للبحث عن الرزق .إذا أنار الوجود بإشراقه وضيائه وليتصرف الناس بالذهاب والمجئ، وتستمر فيه حركة الحياة وقد خلقهم الله متناسقين مع الكون الذي يعيشون فيه ، وجعل حاجتهم إلى النشاط والعمل يلبيها الضوء والنهار ، وحاجتهم إلى النوم والراحة يلبيها الليل والظلام .

إن تعاقب الليل والنهار نعمة عظيمة ؛ إذ هي تنظم حركة وجود الأحياء على الأرض من نمو النبات ، وتفتُّحُ الأزهار ، ونضج الثِّمار ، وهجرة الطيور والأسماك والحشرات ، ومن شاء فليتصور ليلاً بلا نهار، أو نهارًا بلا ليل ، كيف تكون الحياة...؟!!

﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ :

يتجلى لنا إعجاز الله فى خلق السموات السبع ؛ فلو نظرنا إليها بعين التأمل لوجدنا مساحة لامتناهية ليس لها بداية أو نهاية ، ولو أمعنا النظر لوجدنا لون السماء الجميل الذى ترتاح إليه النفس ، فالله يخلق الخلق بإبداع .

لقد بنى الله سبع سموات محكمة الخلق بديعة ، لا تتأثر بمرور العصور والأزمان . [٤] لو دققنا النظر فى خلق السموات وفى الآيات القرآنية التى تحدثت عنها لوجدنا بديع صنع الله فيها حيث يقول الله تعالى:

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [سورة لقمان : ١٠]

يؤكد القرآن الكريم حقيقة رفع السموات بغير عمد يراها الناس ، وإبقائها سقفاً مرفوعاً ، وحفظها من الوقوع علينا ومن الزوال إلا بإذن الله .

فكيف رفعت السموات بغير عمد يراها الناس؟!! وهل معنى الآية الكريمة أن السماء لها عمد غير مرئية أم ليس لها عمد على الإطلاق ؟ ولكن...**ما هذه العمد** ؟ هذا ما سوف نفسره فى السطور التالية بإذن الله تعالى .

إنها قوة الجاذبية التى تمسك بكافة أجرام السماء ولولا هذا الرباط الحاكم الذى أودعه الله تعالى فى

(١) (٢٧١٤) صحيح مسلم-كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ-"بَابُ مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ.

(٢) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ - السمين الحلبى ٨/٤. (٣)، (٤) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٠٨/٣.

الأرض وفى أجرام السماء ما كانت الأرض ولا كانت السماء ، ولو زال هذا الرباط لانفرط عقد الكون وانهارت مكوناته . [١] "وبالرغم من ضآلة قوة الجاذبية فى الأرض فإن قوة الجاذبية قوة جبارة فى السموات حيث الكتل الهائلة التى تتماسك بالرغم من تباعدها بقوى الجذب التى تمسك أجرام السماء وتمنعها من الانفراط لأن مدبر الكون لم يأذن بعد بانفراطها ، وقوى الجاذبية هى القوى غير المرئية التى يعتمد عليها بناء السموات.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ ﴾ [سورة الرعد:٢]

فالسموات مرفوعة بأعمدة من شأنها ألا ترى ألا وهى أعمدة الجاذبية التى كشفها العلم بعد نزول القرآن الكريم بأكثر من ألفى عام ، ومن الملاحظ أن لفظ البناء يأتى فى القرآن الكريم لوصف السماء، بينما يأتى لفظ البنيان متعلقا بما يبنى الإنسان على الأرض ، والبنيان الذى يصنعه الإنسان يتكون من لبنات تربطها طبقات أسمنتية مرئية ، أما بناء السماء فلبناته الأجرام العظمى التى تربطها الجاذبية غير المرئية رغم المسافات الشاسعة بينها. " [٢]

فالأرض كما نعلم تدور حول الشمس ؛ ولكن.. ما الذى يجعلها تدور حول الشمس ؟ إنها قوة جذب الشمس لها . هذه القوة غير مادية ، فأنت أحيانًا تمسك بمغناطيس تضعه أمام المسمار فإذا فعلت ذلك فإن المسمار يتحرك وبينهم مسافة فارغة . معنى هذا أنه توجد قوى جذب غير مادية ، سموها (ساحة المغناطيسية) ، أما من الأسفل فلا يوجد شيء مطلقًا .

"والجاذبية جعلها الله فى كافة أجزاء الكون ليربط تلك الأجزاء بها. وقانون الجاذبية كما نعلم أن قوة التجاذب بين أى كتلتين فى الوجود تتناسب طرديا مع حاصل ضرب كتلتيهما ، وعكسيا مع مربع المسافة الفاصلة بينهما ، ومعنى ذلك أن قوة الجاذبية تزداد بازدياد كل من الكتلتين المنجاذبتين ، وتنقص بنقصهما بينما تزداد هذه القوة بنقص المسافة الفاصلة بين الكتلتين وتتناقص بتزايداها ، ولما كان لأغلب أجرام السماء كتلة مذهلة فى ضخامتها فإن الجاذبية العامة هى الرباط الحقيقى لتلك الكتل على الرغم من ضخامة المسافات الفاصلة بينها ، وهذه القوة الخفية غير المرئية تمثل النسيج الحقيقى الذى يربط كافة أجزاء الكون كما هو الحال بين الأرض والسماء، وهى القوة الرافعة للسموات بإذن الله بغير عمد مرئية، وهى القوة نفسها التى تحكم تكور الأرض ،وتكور كافة أجرام السماء ، وتكور الكون كله ، وقوة الجاذبية العامة تعمل على تحدب الكون أى تكوره وتجبر كافة صور المادة والطاقة على التحرك فى السماء فى خطوط منحنية (العروج) وتمسك بالأغلفة الغازية والمائية والحياتية للأرض. [٣]

فهل يوجد فى الأرض كلها مهندس يبنى بناءً ابتداء من الطابق الثالث إلى العاشر بدون أعمده هل هذا ممكن..؟!! ؛ بل الأعجب من ذلك أن تمشي من تحته وتتحرك حركة كاملة ، أما الكون فهكذا .

فسبحان من خلق فأبدع!! .

﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ :

وهج : أى جعلنا سراجا مضيئا قوى الضوء والمعنى به الشمس . [٤]

(١) تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم- زغلول النجار١/٣٧٩- ٣٨٢ . (٢) للكون إله - صبرى الدمرداش ٢٨٨.
(٣) تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم- زغلول النجار١/٣٩١ . (٤)عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ - السمين الحلبى ٤/٣٤٥ .

أى جعلنا لكم شمساً مضيئة ساطعة ، فإبداع الله لانهائى ، وتكرار الإبداع دليل الإبداع ؛ فالشمس تشرق علينا منذ آلاف السنين لم ينقص ضوؤها ، ولم تقل حرارتها ، ولم يحدث يومًا لم تشرق فيه الشمس أو تأخرت عن ميعادها . كذلك خلق الله لا يمل . [١] فمن منا لا يقف منبهرًا أمام شروق الشمس وغروبها وهى تذوب وتتلاشى فى الأفق ومدى تأثير ذلك فى النفس .

ولننظر إلى حرارة الشمس وهى لم تنقص ولم تنفذ منذ أن خلق الله الكون ؛ فكل طاقة لابد لها أن تفنى، أما الشمس فلا تفنى إلا عند قيام الساعة .لوطرحت عليك سؤالا وقلت لك :

ماذا تعرف عن الشمس ..؟ ماحجمها.. ؟ وما عمرها.. ؟ وما مقدار الطاقة التى تصل إلينا منها... ؟

بماذا تجيب ؟!

الشمس هى أقرب نجوم السماء إلى الأرض فهى تبعد عنها بمسافة مائة وخمسين مليون كيلو متر ،وهى نجم متوسط الحجم يبلغ قطرها ١.٤٠٠.٠٠٠ كيلو متر، وحجمها ١٤٢ ألف مليون كيلو متر مكعب، فالشمس عبارة عن فرن نووى عملاق عمره أكثر من عشرة بلالين من السنين.

والشمس تتكون أساساً من غازى الايدروجين والهليوم ، تطلق الشمس من مختلف صور الطاقة ما يقدر بحوالى خمسمائة ألف مليون مليون حصان فى كل ثانية من ثوانى عمرها ، ومجموع ميزانيات دول العالم لا تكفى ثمنا لهذا الكم من الطاقة التى تصل إلينا ، وبدون هذه الطاقة الشمسية تستحيل الحياة على كوكبنا لأن كلا من النبات والحيوان والإنسان لايستغنى عنها . [٢]

لقد سخر الله لنا الشمس وجعلها تتوافق وتناسب مع احتياجاتنا فلو زادت الطاقة التى تصلنا من الشمس عن القدر الذى يصلنا قليلاً لأحرقتنا وأحرقت كل حى على الأرض ولتبخر الماء ولو قلت الحرارة قليلاً لتجمد كل حى على وجه الأرض.[٣]

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ :

عصر: هى السحاب لأنها تعتصر المطر، وقيل :هى السحاب التى تأتى بالإعصار، وهى الريح التى تثير الغبار، وقيل: الرياح لأنها تعصر السحاب فينزل المطر .[٤]

أى أنزلنا من السحب التى حان وقت إمطارها ماءً دافقاً منهمراً بشدة وقوة ، ﴿ ثَجَّاجًا ﴾ أى متتابعاً يتلو بعضه بعضًا ."فهل تأملت السحاب الكثيف المظلم عزيزى القارئ كيف تراه يجتمع فى جو صاف ، وكيف يخلقه الله متى شاء وإذا شاء، وهو مع لينه ورخاوته حامل للماء الثقيل بين السماء والأرض فينزله مقطعا بالقطرات كل قطرة بقدر مخصوص اقتضته حكمته ورحمته فيرسله قطرات منفصلة لا تختلط قطرة بأخرى ، ولا تدرك القطرة صاحبتها فتمتزج بها ، بل تنزل كل واحدة فى الطريق الذى رسم لها لا تعدل عنه ولا تتعداه ، بل كل واحدة تنطلق في طريق مرسوم لها حتى تصيب الأرض التي عينت لها لا تتعداها إلى غيرها ، فكل قطرة قد عينت لجزء معين من الأرض لا تتعداه إلى غيره ، فلو اجتمع الخلق كلهم على أن يخلقوا منها قطرة واحدة ، أو يحصوا عدد القطر فى لحظة واحدة لعجزوا عنه".[٥]

---

(١) باسمك نحيا- عمرو خالد ١١٤ -١١٥.
(٢) تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم - زغلول النجار١/٣٨٩-٣٩١.
(٣) تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم - زغلول النجار١/٤٢٣ .
(٤) مروى عن ابن عباس عمدة التفسير ابن كثير ٤/٤٩٣، وأيضا قول عكرمة ومجاهد وقتادة، والسمين الحلبى ٣/٨٢.
(٥) مفتاح دار السعادة –ابن القيم٢/ ٥٧٦-٥٧٧ .

ألا ترى معى مدى حكمة الله فى سوق الماء على شكل قطرات صغيرة ، لا تختلط قطرة بأخرى ، ولا تدرك قطرة صاحبتها فتمتزج بها،فتخيل معى عزيزى القارئ ..ماذا لو نزل المطر دفعة واحدة، ماذا سيحدث.. ؟!!

بالطبع سيغرق الأرض ومن عليها فى لحظات فانظر إلى لطف الله بك وأحمده ، وتخيل معى لو منع الله عنك المطر كيف ستجدب الأرض ويموت النبات والحيوان والإنسان هذه نعم الله كلها ألا تستحق أن تخر لله ساجداً شاكراً !

﴿ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ﴾ :

أى لنخرج بهذا الماء أنواع الحبوب والزروع المختلفة الألوان والثمار ، غذاءً للإنسان والحيوان.

﴿ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ﴾ :

ألفافاً : أى التف بعضها ببعض لكثرة الشجر .(١)

أى حدائق وبساتين كثيرة الأشجار والأغصان ، ملتف بعضها على بعض ؛ لكثرة أغصانها وتقارب أشجارها .(٢)

بعد أن ذكر الله تسع آيات دالة على قدرته وانفراده بالألوهية . فمن ذا الذى يجادل فى إمكانية البعث والإحياء والنعم الكثيرة التى منحهم إياها ؛ لعلهم يشكرون المنعم .

فلقد ابتدأت هذه الدلائل بخلق الأرض وما فيها من جماد وإنسان ، ثم ما فى الأفق من الليل والنهار ، ثم صعدت بهم إلى ملكوت السموات ؛ حيث الشمس ، ثم نزلت بهم إلى دلائل السحاب والمطر ، ثم نزلت بهم إلى ما يخرج من الأرض من بدائع الصانع ، فمن ذا الذى يستطيع أن يخلق سماءً كهذه ، وجبالًا شاهقة، ويخلق الذكر والأنثى ؟؟

ويجعل الليل للراحة والسكن ، والنهار للمعاش والبحث عن الرزق ، ومن الذى خلق هذه الشمس الجميلة مصدر نورنا وطاقتنا ، من الذى أنزل المطر على بلد ميت فأحياها بعد موتها ؛ ليخرج به مختلف الزروع والنباتات المختلفة الأشكال والألوان ؛ بل إننا نجد أن النوع الواحد منه عدة أصناف متعددة الألوان تبهج النفس . فإن من قدر على خلق هذه الأشياء قادر على البعث و الأحياء .

﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ﴿١٧﴾ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا

(١) مفردات ألفاظ القرآن الكريم- للراغب الأصفهانى٧٤٣.

(٢) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٠٨/٣.

حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾[سورة النبأ:١٧-٣٠]

﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴾ :

سمى يوم الفصل ؛ لأن الله يفصل فيه بين الخلائق ، له وقت محدود معلوم فى علمه تعالى ، فهو ميعاد محدد للأولين والآخرين لا يتقدم ولا يتأخر .(١) فالناس لم يخلقوا عبثاً ، ولن يتركوا سدى ، فالله تعالى لا يمكن أن يدعهم يعيشون سدى ويموتون هملاً! ويصلحون في الأرض أو يفسدون ثم يذهبون في التراب ضياعاً ! ويهتدون في الحياة أو يضلون ثم يلقون مصيراً واحداً. ويعدلون في الأرض أو يظلمون ثم يذهب العدل والظلم جميعاً !(٢) يتساوى فيها من يصلح ومن يفسد ومن يعدل ومن يظلم ؛ ولكن لابد من يوم ينقلب فيه نظام الكون للحكم بين الناس ، ولكن.. ما علاماته ؟ .

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ :

أفواجاً :أى تأتى كل أمة مع إمامهم.(٣)

ترسم لنا الآيات مشهد يوم القيامة ، وكأننا نعيش ونسمع أصداء هذا اليوم .

يوم ينفخ فى الصور - أى البوق - نفخة القيام من القبور وهول ما سنلاقيه وما ينتظرنا من جنة أونار ، فها هى القبور تتشقق فى كل أنحاء الأرض ، والناس يخرجون بعد رقاد طويل فى تلك القبور الموحشة على العصاة والكافرين ، المنيرة للطائعين والموحدين ، الكل يخرج من القبر ينفض التراب عن جسده وهو يشخص ببصره فى اتجاه واحد إلى هذا الداعى الملك الكريم ، الذى يقود الناس إلى أرض المحشر للحساب والوقوف بين يدى الله عز وجل قائلاً لهم :

" **أيتها العظام البالية ، أيتها الأجساد العارية ، أيها الناس لقد حان وقت القيام للوقوف بين يدى الله عز وجل** " .

ويخرج الخلق لقراءة كتبهم ، وأخذها بأيمانهم أو شمائلهم ، أو من وراء ظهورهم ، ثم يذكر الله أوصاف ذلك اليوم .(٤)

﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾ :

لقد شبهت بالأبواب فى التشقق والانصداع ؛ أى تشققت السماء من كل جانب حتى كأن فيها صدوعاً وفتوحاً كالأبواب فى الجدران . ونلاحظ التعبير بصيغة الماضى ليدل على تحقق الوقوع ؛(٥) حيث تتفطر وتنكدر النجوم وتتناثر الكواكب. أما لون السماء الأزرق الجميل فإنه يزول ويذهب وتأخذ السماء فى التلون فى ذلك اليوم الرهيب .

(١) تفسير القرطبى ١٧٣/١٩. (٢) فى ظلال القرآن -سيد قطب- ٣٨٠٦/٦ . (٣) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٢٧٢/٥.
(٤) رحلة إلى الدار الآخرة –محمود المصرى ٣٥٤. (٥) صفوة التفاسير –الصابونى ٣/ ٥٠٩.

﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ :

السراب : ما يلوح فى الصحارى مما يشبه الماء وليس بماء ؛ ولكنه حالة فى الجو تنشأ من تراكم أبخرة على سطح الأرض.[١] أى إذا تشققت الجبال وقلعت من أماكنها ، وصارت بعد نسفها هباءً منبثًا كالسراب الذى يظنه الرائى ماء فى الصحراء وهو ليس بماء .[٢]

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ [سورة طه:١٠٥-١٠٧]

" فهذا حال الجبال وهي الحجارة الصلبة ، وهذه رقّتها وخشيتها من جلال ربِّها وعظمته ، وقد أخبر عنها فاطِرها وباريها أنه لو أنزل عليها كلامه لخشعت ولتصدّعت من خشية الله.

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة الحشر:٢١]

فيا عجبًا من مضغة لحم أقسى من هذه الجبال تسمع آيات الله تُتلى عليها ، ويُذكر الرب تبارك وتعالى فلا تلين ولا تخشع ولا تُنيب ، فليس بمستنكر على الله عزّ وجلّ ولا يخالف حكمته أن يخلق لها نارًا تُذيبها إذا لم تَلِن بكلامه وذكره وزواجره ومواعظه ؛ فمَن لم يَلِن لله في هذه الدار قلبه ، ولم ينب إليه ولم يذبه بحبه والبكاء من خشيته ، فليتمتّع قليلاً فإن أمامه المليّن الأعظم وسيردّ إلى عالم الغيب والشهادة فيرى ويعلم ...[٣]

ثم يمضى السياق فيصور مصير الطغاة ومصير التقاة . بادئا بالأولين المكذبين المتسائلين عن النبأ العظيم

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ :

رصد: أصل الرصد الاستعداد لترقب الشيء يقال رصَدَ له وترصَّدَ وأَرصدتُ له .[٤]

إن جهنم تنتظر وترقب نزلاءها الكفار كما يترصد الإنسان ويترقب عدوه ليأخذه على حين غرة فجهنم ترصد لأعداء الله لتعذبهم بسعيرها وهى مترقبة ومتطلعة لمن يمر عليها من الكفار لتلتقطهم إليها .[٥]

فلنتأمل فى حال الخلائق وقد قاسوا من دواهى القيامة وبينما هم فى كربها وأهوالها وقوفًا ينتظرون حقيقة أنبائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب ، وأظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيراً وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب ، وجثت الأمم على الركب.

- {عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**»}[٦]

(١) التحرير والتنوير –ابن عاشور ٣٣/٣٠ .
(٢) تفسير الطبرى ٣٠ /٧.
(٣) مفتاح دار السعادة-ابن القيم ٢/ ٦٢٨.
(٤) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ -السمين الحلبى ٢/ ٩٤ .
(٥) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٠٩/٣.
(٦) (٢٥٧٣) سنن الترمذي- أَبْوَابُ صِفَةِ جَهَنَّمَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ –بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ النَّارِ .

فياله من مشهد رهيب تنفطر منه القلوب ، فإذا جئ بجهنم لا يبقى ملك مقرب ولانبى مرسل إلا جثى على ركبتيه وقال : يارب سلم سلم!!

﴿ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴾:

مَـَٔابًا: أى مرجعاً [١]ومأوى ، ومنزل للطغاة المجرمين ، والطغيان : هو تجاوز الحد مع عدم الاكتراث بحق الغير والكبر .[٢] إن جهنم خلقت ووجدت وكانت مرصاداً للطاغين تنتظرهم وتترقبهم وينتهون إليها فإذا هي معدة لهم مهيأة لاستقبالهم . وكأنما كانوا في رحلة في الأرض ثم آبوا إلى مأواهم الأصيل ! [٣]

فافعل ماشئت أيها الظالم أتحسب أن لن يقدر عليك الله ... !! إن الله يمهل الظالم فما أشد عذابه ، وما أصبره عليه .

إنها لحسرة على كل ظالم فى الدنيا والآخرة؛ فأما حسرته فى الدنيا فإن الله يحرمه نعمة الهداية ومحبة الله، وأما يوم القيامة عندما يحملون سيئات المظلومين حتى يردوا إلى الدرك الأسفل من النار .[٤]

فهنا دار العدل لا دار الظلم ، فاستعد يامسكين لهذا اليوم.

-{عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ، يَقُولُ: **إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ ، بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالمُصَوِّرِينَ**"} [٥]

﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا ﴾ :

حقب : جمع الحُقب أى الدهر ، والحقبة ثمانون سنة ، وجمعها حِقَب ، والصحيح أن الحقبة مدة من الزمن مبهمة . [٦] قال القرطبى :أى ماكثين فى النار مادامت الأحقاب ،أى الدهور لا تنقطع ؛ لأن أحقاب الآخرة لا نهاية لها . [٧]

﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ :

أى لا يذوقون فى جهنم برودة تخفف عنهم حر النار ولا شراباً يسكن عطشهم، **فطعامهم**.. النار،**ومهادهم** النار [٨]، **وشرابهم**.. النار ، **ولباسهم**.. النار، تغلى بهم النار كغلى القدور،يمشون على النار بوجوههم ويطأون حسك الحديد بأحداقهم ، قد غلت أيديهم إلى أعناقهم ، وشُدت أقدامهم إلى النواصى ، وأسودت وجوههم من ظلمة المعاصى يصبّ فوق رءوسهم الحميم يصهر مافى بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم ، وتنقطع من العطش أكبادهم ، وتسيل على الخدود أحداقهم كلما نضجت جلودهم بُدلوا جلوداً غيرها ، وهم يهتفون بالويل والعويل ، ويتمنون الموت فلا يموتون .[٩]

فلو تساءلنا عن **طعامهم**... فطعامهم الضريع والزقوم ، أما **شرابهم** ... فهو الحميم والغسلين والغساق .

---

(١) معانى القرآن الكريم وإعرابه- الزجاج٥/٢٧٣ .
(٢) التحرير والتنوير-ابن عاشور ٣٠/٣٦.
(٣) فى ظلال القرآن -سيد قطب- ٦/٣٨٠٦ .
(٤) رحلة إلى الدار الآخرة –محمود المصرى ٤٦٨-٤٦٩.
(٥) (٢٥٧٤) سنن الترمذي-بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ النَّارِ –أَبْوَابُ صِفَةِ جَهَنَّمَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.
(٦) مفردات ألفاظ القرآن الكريم- للأصبهانى ٢٤٨.
(٧) الجامع لأحكام القرآن –القرطبى ١٩/١٧٥.
(٨) صفوة التفاسير –الصابونى ٣/٥٠٨
(٩) رحلة إلى الدار الآخرة- محمود المصرى ٥٣٧.

أما **الضريع** :فهو شوك لا يفيدهم ولا يغنيهم من الجوع . أما **الزقوم**:فهو شجرة تنمو فى جهنم قبيحة المنظر فأهل النار يلقى عليهم الجوع ؛ بحيث لا يجدون مفرًا من الأكل منها فإذا امتلأت بطونهم أخذت تغلى في أجوافهم كما يغلى دردى الزيت ، فيندفعون إلى الحميم وهو الماء الحار الذى تناهى حره فشربوا منه كشرب الإبل التى تشرب ولا تروى ، وعند ذلك يقطع الحميم أمعاءهم .(١)

﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ :

الحميم: أى غاية فى الحرارة (٢). غسق الغساق: ما يسيل من صديد أهل النار ، وما يصهر من جلودهم .(٣) أى لا يشربون إلا ماء بالغ الغاية فى الحرارة ، والغساق هو صديد أهل النار يسيل من جلودهم وعرقهم ودموعهم وجروحهم ، يصب من فوق رءُوسهم الحميم ، يصهر به ما فى بطونهم والجلود .(٤)

﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾ :

أي عاقبهم الله بذلك جزاءً موافقاً لأعمالهم السيئة (٥) فالجزاء من جنس العمل ، فنحن نجنى ما زرعناه فى هذه الدنيا ؛ فمن زرع وردًا يجني وردًا ، ومن زرع شوكاً يجنى شوكًا، ولكل زارع ما زرع. ولذلك كان العقاب موافقا لأعمالهم السيئة .

وتأمل معى عزيزى القارئ حال أهل النار ... وقد أظلت عليهم نار ذات لهب سمعوا لها زفيراً وجرجرة ، تفصح عن شدة الغيظ والغضب، وجثت الأمم على الركب حتى أشفق الأتقياء من سوء المنقلب ،وأسكن المجرمون دارًا ضيقة مظلمة يوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم ،قد شدت أقدامهم إلى النواصي وأسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ، يصيحون فى نواحيها وأطرافها : **يا مالك** قد حق علينا الوعيد ، وأثقلنا الحديد ، **يا مالك** قد نضجت منا الجلود ، أخرجنا منها فإنا لا نعود .

طعامهم نار ، ولباسهم تار ، ومهادهم نار ، تغلى بهم النار كغلي القدور ، ويهتفون بالويل والعويل ، ومهما دعوا بالثبور صب فوق رءُوسهم الحميم ، يصهر ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم ، فيتفجر الصديد من أفواههم ، وتتقطع من العطش أكبادهم ، وتسيل على الخدود أحداقهم، كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودًا غيرها ، وهم يتمنون الموت فلا يموتون ، قد أعميت أبصارهم ، وأبكمت ألسنتهم ، وكسرت عظامهم ، وغلت أيديهم إلى أعناقهم ، وهم يمشون على النار بوجوههم .(٦)

﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ :

أى لم يكونوا يتوقعون الحساب ولا الجزاء ، ولايؤمنون بلقاء الله . (٧) إنها صرخات الندم يهتف بها

(١) الجنة والنار – عمر الأشقر ٨٧-٨٨. (٢) معانى القرآن الكريم وإعرابه-الزجاج٥/٢٧٣ . (٣) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ- السمين الحلبى ١٦٢/٣. (٤) ،(٥)صفوة التفاسير –الصابونى ٥٠٩/٣. (٦) رحلة إلى الدار الآخرة- المصرى٣٧٢- ٥٣٥.
(٧) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٠٩/٣ .

لسان حالهم عندما يعاينون العذاب. فيا حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه ،فلقد باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة ، إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة فى الدنيا ، أيام قصيرة وكانت غير صافية ؛ بل كانت مكدرة منغصة... فيا حسرة هؤلاء !!.

﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴾ :

أى كانوا يكذبون بآيات الله الدالة على وجوده ، ويكذبون بالقرآن وكانوا يكذبون بالبعث .

﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴾ :

أى كل ما فعلوه من جرائم وآثام ضبطت فى كتاب ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا وقد سجلت عليهم .

﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ :

أى فذوقوا يا معشر الكفار ، فكلما استغاثوا من شدة العذاب أذاقهم عذاباً فوق عذابهم .

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة النبإ : ٣١-٣٦]

تنتقل بنا الآيات إلى مشهد أهل النعيم ، وما أعده الله لهم من قرة أعين .

فالدنيا هى سجن المؤمن وجنة الكافر ، هذا هو يوم جزاء المتقين الذين أطاعوا الله ، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ، فكما أحسنوا في الدنيا كان جزاؤهم الإحسان فى الآخرة . فلقد تعبوا وجدوا وجاهدوا أنفسهم وشيطانهم للوصول إلى جنة الرحمن والفردوس الأعلى ، كل على حسب عمله ؛ بل أكثر من هذا وأعظم الفوز برؤية الله عز وجل .

"إن سألت عن **أرضها وتربتها** ؛ فهى المسك والزعفران ، وإن سألت عن **حصبائها** ؛ فهو اللؤلؤ والجوهر ، وإن سألت عن **بنائها** ؛ فلبنة من فضة ولبنة من ذهب ، وإن سألت عن **طعامهم** ؛ ففاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ، وإن سألت عن **شرابهم** ؛ فالتسنيم والزنجبيل والكافور ، وإن سألت عن **آنيتهم** ؛ فآنية الذهب والفضة فى صفاء القوارير، وإن سألت عن **أنهارها** ؛ فأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من عسل مصفى، وأنهار من خمر لذة للشاربين .

وإن سألت عن **سعة أبوابها** ؛ فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام . وإن سألت عن **ظلها** ؛ ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، وإن سألت عن **سعتها** ؛ فأدنى أهلها يسير فى ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفى عام ، **ولباس أهلها** الحرير والذهب" [(١)].

فيا عجبًا لها كيف نام طالبها ، وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها ، وكيف طاب العيش فى هذه الدار بعد سماع أخبارها وكيف قرت دونها أعين المشتاقين !!!.

(١) حادى الارواح إلى بلاد الأفراح- ابن القيم ٢٠٦ .

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ :

هذا هو يوم الجائزة الكبرى،يوم يفوز الإنسان بعد طول صبره على أذى الدنيا ومتاعبها وأحزانها وهمومها

﴿ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴾ :

أى بساتين ناضرة ، فهم يتمتعون بأنواع الثمار ، وإن سألت عن **أشجارها** ؛ فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة لا من الحطب والخشب ، وإن سألت عن **ثمارها** ؛ فأمثال القلال ألين من الزبد ، وأحلى من العسل ، وفيها كروم الأعناب الطيبة المتنوعة من كل ما تشتهيه الأنفس . (١)

﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ :

أى ونساء عذارى نواهد ، قد برزت أثداؤهن ، وهن فى سن واحدة .

﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ :

دهق :أى ملأى ، يقال دهقت الكأس دهقاً ودِهاقا أى ملأتها . (٢) أى وكأساً من الخمر لذة للشاربين قد عصرت وصفيت ، لا ينشأ عنها صداعهم ولاذهاب عقلهم كخمر الدنيا .

﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴾ :

كذب: لا يكذبون فيكذِّبُ بعضهم بعضا . (٣) فلا مجال فيها إلى الجدل والتكذيب ، فليس فى الجنة كلام فارغ لا فائدة فيه ، ولا كذبًا من القول ؛ لأن الجنة دار السلام ، وكل ما فيها سالم من الباطل والنقص .(٤)

﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ :

أى جازاهم الله بذلك الجزاء العظيم تفضلاً وإحساناً وليس على حسب أعمالهم . ووصف الجزاء بالعطاء للإشارة إلى أن ما نالوه من جزاء أكثر من عملهم ، فهو عطاء كرم من الله تعالى .

تنتقل بنا السورة إلى الحديث عن الشفاعة ، وتتحدث عن الملائكة وأنهم لايقدرون أن يشفعوا إلا بإذن الله تعالى.

﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة النبإ : ٣٧-٤٠]

﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ :

أى هذا الجزاء صادر من الرحمن ، الذى شملت رحمته كل شىء ، ومن الرحمة أن يجد الشر جزاءه ، وألا

(١) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح- ابن القيم ٢٠٦ .
(٢) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ -السمين الحلبى ٣٤/٢.
(٣) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ -السمين الحلبى ٣٨٢/٣.
(٤) صفوة التفاسير –الصابونى ٥١٠/٣.

يتساوى مع الخير فى مصيره في ذلك اليوم المهيب الرهيب .

﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ :

معناه القدرة والاستطاعة ؛ لأن المالك يتصرف فيما يملكه حسب رغبته ؛ لا حسب رغبة غيره ، فلا يحتاج إلى أذن غيره ، فلا يقدر أحد أن يخاطبه فى دفع بلاء ، أو رفع عذاب فى ذلك اليوم هيبةً وجلالاً .(١)

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ :

أى فى ذلك اليوم الرهيب يقف الملائكة وسيدنا جبريل - عليه السلام- مصطفين خاشعين لايتكلم أحد إلا من يأذن له الله .

فهذا هو موقف المقربين إلى الله الأبرياء من الذنب والمعصية صامتون لا يتكلمون إلامن إذن له الله بالكلام والشفاعة ونطق بالصواب.(٢)

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ ﴾ : ذلك هو اليوم الكائن الواقع لا محالة .

﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾ :

مأبا: أي مرجعا .(٣) فمن شاء أن يتخذ إلى ربه رجوعاً كريماً بالإيمان والعمل الصالح فليفعل .

﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ :

الإنذار :الإخبار بحصول ما يسوء فى مستقبل قريب،(٤) إنا حذرناكم وخوفناكم عذابا قريبا وقوعه ، هو عذاب الآخرة ، وسماه قريبا لأن كل ما هو آت قريب .(٥)

فالخطاب لكفار قريش إن جهنم تنتظركم وتترصد لكم والدنيا كلها رحلة قصيرة .

﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾ :

أى يوم يرى الإنسان ما قدم من خير أو شر ، مثبتاً فى صحيفته ، عندئذ يتمنى الكافر أن يكون ترابا حتى لا يحاسب ولا يعاقب ، حيث يقتص الحكم العدل فى يوم القيامة للمظلوم من ظالمه حتى لايبقى لأحد عند أحد مظلمة ، حتى الحيوان يقتص لبعضه من بعض، فإذا نطحت شاتان إحداهما جلحاء لا قرون لها والأخرى ذات قرون فإنه يقتص لتلك من هذه (٦) وبعد ذلك يقول لها :"**كونى ترابا**"، عندئذ يتمنى الكافر لو كان كذلك ؛ حتى لا يعذب لهول العذاب الذى يراه ..

- {عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ القَرْنَاءِ**»}(٧)

فيا عجبًا كيف آثر الفانى الخسيس على الباقي النفيس ، وباع جنة عرضها السموات والأرض بنار وقودها الناس والحجارة . فالدنيا إن أضحكت قليلا أبكت كثيراً ، وإن أعطت قليلاً أخذت كثيراً .

(١)، (٢) صفوة التفاسير –الصابونى ٥١٠/٣ .
(٣) معانى القرآن الكريم وإعرابه- الزجاج ٢٧٥/٥ .
(٤) التحرير والتنوير –ابن عاشور ٣٠/ ٥٥ .
(٥) صفوة التفاسير –الصابونى ٥١٠/٣ .
(٦) اليوم الآخر القيامة الكبرى- عمر الأشقر ٢٣٧ .
(٧) (٢٤٢٠) « حَسَنٌ صَحِيحٌ» -سنن الترمذي- أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بَابُ مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الْحِسَابِ وَالْقَصَاصِ

﴿ سُورَةُ النَّازِعَاتِ ﴾

- **ما المحور الذى تدور حوله السورة؟:**

تدور السورة حول القيامة وأحوالها ، والساعة وأهوالها ، وعن مآل المتقين ، ومآل المجرمين .

- **ما ترشد إليه السورة:**

١. القسم بالملائكة التى تنزع أرواح المؤمنين بلطف ولين ، وتنزع أرواح المجرمين بشدة وغلظة ، والتى تدبر شئون الخلائق بأمر الله - ﷻ- :

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥ ﴾ [سورة النازعات : ١-٥].

٢. تصوير حالة المشركين فى ذلك اليوم العصيب المنكرين للبعث والنشور المنبعث من طغيانهم ؛ حيث أصبحوا آمنين فى أنفسهم غير مترقبين حياة بعد هذه الحياة الدنيا ، وشبه طغيانهم بطغيان فرعون وإعراضه عن دعوة موسى -عليه السلام- وفى ذلك تسلية للرسول- ﷺ- .

﴿ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ١١ ﴾ [سورة النازعات : ٨-١١].

٣. قصة فرعون الطاغية الذى ادّعى الربوبية ، وتمادى فى الجبروت والطغيان ؛ فقصمه الله وأهلكه بالغرق هو وقومه:

﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٦ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ ﴾ [سورة النازعات : ١٥-١٨] .

٤. طغيان أهل مكة وتمردهم على رسول الله ، وتذكيرهم بأنهم أضعف من كثير من مخلوقات الله :

﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾ [سورة النازعات : ٢٧-٢٩] .

٥. ختمت السورة بالحديث عن وقت الساعة الذى أنكره واستبعده المشركون وكذبوا بحدوثه : (١)

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ٤٤ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ٤٥ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾[سورة النازعات:٤٢-٤٦]

(١) صفوة التفاسير- الصابونى ٥١٢/٣.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝٤ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥ ﴾ [سورة النازعات : ١-٥]

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴾

نزع: أى الملائكة التى تنزع روح الكافر وتنشطها فيشتد عليه أمر خروج نفسه . (١)

أقسم الله بالملائكة التى تنزع أرواح الكفار نزعًا بالغًا أقصى الغاية فى الشدة والعسر ، (٢) والقسم بهم يناسب الغرض الأهم من السورة وهو إثبات البعث ؛ لأن الموت هو أول منازل الآخرة فهذا من براعة الاستهلال .

﴿ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴾ :

قال الفراء:هى الملائكة تنشط نفس المؤمن بقبضها . (٣)

أى وأقسم بالملائكة التى تنزع أرواح المؤمنين بسهولةٍ ويسر وتسلها سلاً رفيقًا ، قال ابن مسعود :" إن ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود - سيخ الحديد- الكثير الشعب من الصوف المبتل، فتخرج نفس الكافر كالغريق فى الماء ، وينزع روح المؤمن برفق ولين ويقبضها كما ينشط العقال من يد البعير" (٤)

عن ابن عباس :هى نفس المؤمن تنشط للخروج عند الموت لما يرى الكرامه ؛ لأنها تعرض عليها الجنة قبل أن يموت. (٥)

ولك أن تتخيل معى ملك الموت قد دخل عليك الآن وسينادى ويقول :"ياأيتها النفس الـــــ ...". وأنت بين الكربات وتلك الحسرات تسأل نفسك : ياترى بأى نداء سوف ينادى على...؟ هل سيقول : يا أيتها النفس المطمئنة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان ؟! ، أم سينادى ويقول : يا أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب ؟! ، ثم يموت كل عضو من أعضائك فتبرد قدماك ، ثم ساقك ، ثم فخذاك ، حتى يبلغ إلى الحلقوم .

﴿ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴾ :

سبح :قيل هم الملائكة يسرعون فيما يؤمرون به بين السماء والأرض، وقيل :هى أرواح المؤمنين تنبيه على سهولة خروجها عند الموت (٦) أى سابحات فى العوالم العليا ، سابقات للإيمان أو الطاعة لأمر ربها .

﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴾ :

قيل :هم الملائكة بأنهم يسبقون الجن باستماع الوحى ، والسبق أصله التقدم فى السير ثم يعبر بذلك عن التقدم إلى الأشياء أعيانا كانت أو معانى. (٧)

(١) معانى القران الكريم وإعرابه– الزجاج ٢٧٧/٥. (٢) صفوة التفاسير –الصابونى ٥١٣/٣. (٣) لسان العرب ٤١٥/٧. (٤) تفسير الخازن ٢٠٤/٧ .
(٥) معالم التنزيل –البغوى ٣٢٤/٨. (٦) معانى القرآن وإعرابه–الزجاج ٢٧٧/٥. (٧) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ –السمين الحلبى ١٧٠/٢.

أى الملائكة التى تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة . [١] عن ابن مسعود :" هى أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها شوقًا إلى لقاء الله وكرامته ، وقد عاينت السرور " . [٢]

﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾ :

دبر:ملائكة موكلة بتدبير الأمور[٣] قيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فجبريل بالوحى والتنزيل، وميكائيل بالقطر والنبات ،وإسرافيل للصور ،وملك الموت لقبض الأرواح. [٤]

أى الملائكة تدبر شئون الكون بأمره تعالى فى الرياح والأمطار والأرزاق والأعمار وغير ذلك من شئون الكون ، أقسم الله تعالى بهذه الأصناف الخمسة على أن القيامة حق،وجواب القسم محذوف تقديره:"لتبعثن ولتحاسبن" . [٥]

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ [سورة النازعات : ٦-١٤]

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾ :

رجف : قيل هى النفخة الأولى التى تموت معها جميع الخلق ، والرادفة : النفخة الثانية التى تبعث معها الخلق قال أبو إسحق : الراجفة الأرض تتحرك حركة شديدة ، وقال مجاهد: هى الزلزلة ، وأصل الرجف الحركة والاضطراب الشديد ، أما الردف فكل شىء تبع شيئا فهو ردفه ، وإذا تتابع شىء خلف شىء فهو الترادف. [٦]

أى يوم ينفخ فى الصور النفخة الأولى التى يرتجف ويتزلزل لها كل شيء ، وهى نفخة الصعق ؛ حيث تمتلئ القلوب رعبًا فلا يبقى خلق فى السموات ولا فى الأرض إلا مات ، فإذا أذن الله تعالى بانتهاء الكون وانتهاء الحياة أمر ملكًا يدعى إسرافيل أن ينفخ فى الصور، فتتزلزل الأرض وتندك الجبال وتتشقق السماء، فتتناثر الكواكب وتنكدر الشمس وتنصهر الأجرام السماوية كالنحاس المذاب ، وهذه هى نفخة الفزع ، ثم يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الثانية ، وهى نفخة الصعق ، فتمطر السماء ماءً فتنبت الأجسام كما ينبت البقل . [٧]

-{عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ- : **«مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا ؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟** قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً ؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: « **ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ ، لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى ، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ**

(١) صفوة التفاسير –الصابونى ٥١٣/٣. (٢) معالم التنزيل –البغوى ٣٢٥/٨.
(٣) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ- السمين الحلبى ٤/٢. (٤) معانى القرآن الكريم وإعرابه- الزجاج ٢٧٧/٥.
(٥) صفوة التفاسير- الصابونى ٥١٣/٣. (٦) معانى القرآن الكريم وإعرابه- الزجاج ٢٧٨/٥ ، لسان العرب ٩٩/٩.
(٧) رحلة إلى الدار الآخرة –المصرى ٣٣٧.

الذَّنَبِ،وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ»} [١] ومعنى أبيت: أى أن تعرفه فإنه غيب لم يرد الخبر ببيانه ، وإن روى أبيت بالرفع معناه: أبيت أن أقول فى الخبر مالم أسمعه. [٢]

"فإذا مات ابن آدم وفارقت روحه جسده فإن هذا الجسد يبدأ فى اليبوس والتخشب حتى يصير كالتمثال الحجرى أو يكون الصلصال كالفخار ، وبعد دفنه يبدأ فى التحلل التدريجى الذى تقوم به البكتريات ، والفيروسات ، والفطريات والطحالب ، التى تعايشت مع الجسد فى حياته والتى توجد فى جو وتربة القبر الذى يدفن فيه فيتغير لونه وتنتن رائحته أى تفسد حتى يصير صلصالا من حمأ مسنون.

ثم يتحول إلى طين لازب بفقد جزء من محتواه المائى ، وبفقد كل مائه يتحول إلى تراب الأرض فيما عدا عظمة صغيرة سماها رسول الله -ﷺ- من قبل ألف وأربعمائة سنة باسم" عجب الذنب" ، ولم تعرفها العلوم المكتسبة إلا فى نهاية الثلث الأول من القرن العشرين ، وأخبر رسول الله -ﷺ- بأن الإنسان يركب منها ثم يعاد بعثه منها ، ووصفها بأنها عظمة فى حجم حبة الخردل توجد فى نهاية العصص فى الفقرة الأخيرة من العمود الفقرى ، وإنها لا تبلى أبداً وأن الإنسان يبعث منها فى يوم القيامة بعد إنزال مطر خاص فتنبت كما تنبت البقلة من بذرتها [٣] فيخرج الكل ينفض عن نفسه التراب ، يشخص ببصره إلى هذا الملك الكريم ، الذي يقود الناس إلى أرض المحشر للحساب والوقوف بين يدى الله قائلاً:

" **أيتها العظام البالية ، أيتها الأجساد العارية ، أيها الناس لقد حان وقت القيام للوقوف بين يدى الله عز وجل**" ، ويخرج الخلق لقراءة كتبهم وأخذها بأيمانهم أو شمائلهم أو من وراء ظهورهم ، ثم يذكر الله أوصاف ذلك اليوم الرهيب[٤].

أخرج البيهقى بسند قوى عن ابن مسعود موقوفًا :

" ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض فينفخ فيه والصور -قرن- فلا يبقى خلق فى السموات ولا فى الأرض إلا مات إلا من شاء ربك ، ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون ". [٥]

ثم تتبعها **النفخة الثانية** ، وهى نفخة القيام من القبور ، [٦] فقمت من رقدتك الطويلة يعلوك تراب قبرك ، شاخص بصرك نحو النداء ، وقد قام الخلائق كلهم مغبرون من غبار الأرض ، وإذا بالرعب والفزع يرتسمان على وجوههم ، فلا تسمع إلا همس أقدامهم ، فها هو الكون كله يتجه إلى أرض المحشر للوقوف فى انتظار بدء الحساب .

﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾ :

النفخة الثانية . "قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد : "هما الصيحتان، **فالأولى** :تميت كل شىء، **والثانية**: تحى كل شىء بإذن الله".

(١) (٤٩٣٥)صحيح البخارى -كتاب تفسيرالقرآن -باب يوم ينفخ فى السور فتأتون أفواجا.
(٢) لسان العرب ١٤/٤.
(٣) تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم - زغلول النجار ٩٦/٢-٩٧.
(٤) رحلة إلى الدار الآخرة – محمود المصرى ٣٣٧ .
(٥) فتح الباري ٣٧٨/١١ كتاب الرقاق –باب نفخ الصور .
(٦) صفوة التفاسير -الصابونى ٥١٣/٣ .

قال عطاء :"الراجفة القيامة ، والرادفة البعث ، وأصل الرجفة الصوت والحركة ".[١]

﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ :

وجف :أى مضطربة قلقة لما تشاهد من الأهوال .[٢]

أى قلوب الكفار فى ذلك اليوم خائفة مضطربة لما يجتمع عليها من الذل والانكسار .

﴿ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴾ :

أى أبصار أصحابها ذليلة حقيرة مما عاينت من الأهوال .

ويمضى السياق ويتحدث عن انبهارهم حين يقومون من القبور فى ذهول ، وهم يتساءلون... .

﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴾ :

هذا مثل لمن يرد من حيث جاء يقال :(رجع فلان فى حافرته ، وإلى حافرته) أى فى الطريق التى جاء فيها، ثم عبر به عن الرجوع إلى الحالة الأولى (فى الحافرة) أى أنحيا بعد أن نموت إنكاراً منهم للبعث ، وقيل الحافرة : الأرض جعلت قبورهم ومعناه أإنا لمردودون ونحن فى القبور ؟. [٣]

أى يقولون فى الدنيا استهزاءً واستبعاداً للبعث : أنحن مردودون إلى الحياة عائدون إليها بعد الموت ، ويندهشون كيف يكون هذا بعد أن كانوا عظامًا نخرة !!!. [٤]

قال القرطبى :" إذا قيل لهم إنكم تبعثون ، قالوا منكرين متعجبين : أنرد بعد موتنا إلى أول الأمر فنعود أحياء كما كنا قبل الموت ؟ . [٥]

أنه لسؤال يتكرر فى كل عصر وأوان .. فبعض الناس يتساءل : **كيف ستعود الأجساد كما هى بعد أن بليت ؟ الجواب** : هذا أمر يسير على الله سبحانه وتعالى فالذى أوجد من العدم، وخلق على غير مثال أوجدهم فى الحياة الدنيا ولم يكونوا موجودين، من السهل عليه أن يعيدهم لأنه إيجاد من موجود . [٦]

﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَ لَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾ [سورة مريم :٦٦-٦٧]

﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴾ :

نخر : أى بالية ، من قولهم نخرت الشجرة : أى بليت حتى سمع فيها نخير الريح أى صوتها ، وقيل ناخرة : يعنى فارغة يجئ منها عند هبوب الريح كالنخير ، والنَخيرُ صوت من الأنف. [٧]

أى هل إذا صرنا عظاماً بالية متفتتة سنرد ونبعث من جديد ...؟!! [٨]

فهم يستيقظون ويعلمون أنها الحياة الآخرة ، ولكن بعد فوات الأوان فيشعرون بالخسارة ؛ حيث لم يقدموا شيئًا لهذا اليوم ، فيقولون فى أنفسهم :

(١)معالم التنزيل- للبغوى ٣٢٦/٨ ،البحر المحيط ٤١٢/٨ ،الخازن ٢٠٥/٧. (٢)عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ- السمين الحلبى٤ /٢٨٦.
(٣) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ- السمين الحلبى ٤٣١/١ ، معانى القرآن الكريم وإعرابه- الزجاج ٥ /٢٧٨.
(٤) صفوة التفاسير – الصابونى ٥١٤/٣. (٥) تفسير القرطبي ١٩٤/١٩ . (٦) نهاية العالم – الشعراوى ١٠٥.
(٧) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ - السمين الحلبى ١٥٣/٤. (٨) صفوة التفاسير-الصابونى ٥١٤/٣

﴿ قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ :

أى كرة خسران ، والمعنى أهلها خاسرون[١]، والخسر والخسران انتقاص رأس المال ، وينسب ذلك إلى الإنسان فيقال :خسر فلان ، وإلى الفعل فيقال: خسرت تجارته .[٢]

أى إن كان البعث حقًا ، وبعثنا من بعد موتنا ، فسوف نكون من الخاسرين ؛ لأننا من أهل النار .[٣]

﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ :

فإنما هى صيحة واحدة ينفخ فيها فى الصور ، للقيام من القبور.

﴿ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾ :

سهر: قيل هى أرض بيضاء لم يعص الله تعالى عليها ، وقيل: وجه الأرض ، وقيل :الأرض المستوية ، والسهر عدم النوم ، فكأن أرض القيامة من كثرة الوطء عليها سهرت من ذلك .[٤]

﴿إذا﴾ الفجائيه ؛ للدلالة على سرعة حضورهم ،أى صاروا على وجه الأرض ، بعد ما كانوا فى جوفها.

ثم يذكر الله تعالى لنبيه وحبيبه تسلية له ولما يلاقيه من كفار مكة قصة سيدنا موسى ، وما لاقاه من قومه ومن فرعون من تكذيب ، وكيف كان حالهم ، ثم يأخذ فى عرض مصرع من مصارع المكذبين ، وتحذير لأهل مكة من أن يحل بهم ما حل بالأمم السابقة.[٥]

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة النازعات : ١٥-٢٦]

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ :

هنا توجيه الخطاب إلى الرسول ﷺ، والاستفهام للتمهيد والتشويق وإعداد النفس والأذن لسماع القصة، أى هل جاءك يا محمد خبر موسى الكليم ؟.[٦]

﴿ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ :

الوادى المقدس: أى المبارك ، طوى : اسم الوادى الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام .[٧]

ولنقف للحظات هنا مع سيدنا موسى ، هذه اللحظات الرهيبة إنه نداء الله سبحانه وتعالى إلى عبد من عباده وتكليفه بهذا الأمر الإلهى المقدس، وذلك حين ناجاه ربه بالوادي المطهر المسمى (طوى) فى أسفل

(١) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٢٧٩/٥ . (٢) مفردات ألفاظ القرآن الكريم -الأصفهانى ٢٨١. (٣) صفوة التفاسير –الصابونى ٥١٤/٣.
(٤) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ- السمين الحلبى ٢٢٩/٢. (٥)، (٦) صفوة التفاسير – الصابونى ٥١٤/٣.
(٧) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٢٧٩/٥.

جبل طور سيناء. [١]

﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ :

فرعون : اسم أعجمى يقال لكل من ملك مصر فهو فرعون ،وقيل: كل من ملك العمالقة فهو فرعون ،كما أن كل من ملك الروم فهو قيصر، ومن ملك الفرس كسرى ، وكل من ملك اليونان بطليموس ، وكل من ملك الحبشة فهو نجاشى[٢].

طغى: أى تجاوز الحد فى العصيان .[٣]

أى اذهب إلى فرعون الذى جاوز الحد فى الطغيان والظلم ، ومعنى طغى أى علا وتكبر وكفر بالله .

﴿ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ :

أى تتزكى وتتطهر من الشرك .أو أن تتطهر من الكفر والعيوب والرذائل ، وقال بعضهم تزكّى: تسلم ، وقيل تقول :" لا إله إلا الله" والأول أعمّ. [٤]

فالله يعلم كيف يخاطب هذا الطاغية ، فالله رحيم بعباده حتى أشدهم طغيانًا وظلمًا ، فهو يرسل إلى عبده إنذارًا بعد إنذار لعله يتعظ ويعود إلى ربه .

﴿ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴾ :

أى وأرشدك إلى معرفة ربك وطاعته فتتقيه وتخشاه ، فلو عرفت الله ما عصيته ولذبت شوقًا وحبًا إليه .

قال الزمخشرى:ذكر الخشيه لأنها ملاك الأمرفمن خشى الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر.[٥]

﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴾ :

قال مجاهد: الآية الكبرى عصاه ، ويده[٦] ، وقال الزجاج: اليد التى أخرجها تتلألأ من غير سوء .[٧]

لقد أقام الله عليه الحجة ، فلقد بلغ موسى عن ربه ما كلف بتبليغه ولم يفلح هذا الأسلوب فى إلانة القلب الطاغى الخالى من معرفة الله ، فأراه الله المعجزة الكبرى ، وهى قلب العصا حية تسعى، وإخراج اليد البيضاء ، وجعلهما آية واحدة لأن الثانية تتبع الأولى ، ويحتمل أن يريد الأولى وحدها. [٨]

﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴾ :

أى فكذب فرعون نبى الله موسى ، وعصى أمر الله بعد ظهور تلك المعجزة الباهرة .

﴿ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴾ :

أى ولى هاربًا من الحية يسرع فى مشيه من هول ما رأى .

﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ :

ينتقل بنا سياق الآيات إلى مشهد آخر ، وهو مشهد فرعون الذى يتولى عن موسى ، ويسعى فى جمع السحرة

(١) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨١٤/٦.
(٢) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ- السمين الحلبى ٢١٩/٣ .
(٣) مفردات ألفاظ القرآن- الأصفهانى ٥٢٠.
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٣٣/٢ .
(٥) تفسير الكشاف ٦٩٥/٤ .
(٦) (٧٩) صحيح البخارى-كتاب تفسير القرآن - باب يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا ٣٢٠/٣.
(٧) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٢٨٠/٥ .
(٨) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٣٣/٢.

ليقيم مباراة بين السحر والحق ؛ حيث عز عليه أن يستسلم ويذعن للحق والهدى ، [١] فالحقيقة أمامه واضحة ولكنها مكابرة النفس ، فلقد حشر السحرة والجماهير الغفيرة ،وها هو يتطاول على رب العالمين تعالى الله وعلا علوًا كبيرًا فى الأرض والسماء، حيث قال ...

﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ :

فقال لهم بصوت مرتفع : أنا ربكم المعبود العظيم الذى لا رب فوقى ."لقد غر هذا الأحمق ملكه الذى وهبه له خالقه ، وغرته قوته وثروته ، وفى غفلة من الجماهير وخواء قلوبهم من الإيمان ، فما كان ليقول ذلك لو وجد أمة واعية كريمة مؤمنة تعرف أنه عبد فقير لايقدر على شيء ، وأمام هذا التطاول الوقح بعد الطغيان البشع كان رد السماء وتحركت القوى الكبرى".[٢] .... فماذا حدث ؟؟؟ .

﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ :

نكال :نكل به نكال الآخرة والأولى أى أغرقه فى الدنيا ،ويعذبه فى الآخرة. [٣]

والأخذ التناول باليد ، ويستعار كثيرًا للمقدرة والغلبة ، والمعنى : فلم يفلت من عقاب الله ، أى فأهلكه الله عقوبة على مقالته. ونلاحظ هنا أن الآخرة قد تقدمت على الأولى ؛ حيث الخلود فى نار جهنم لأنها أشد وأبقى ، فهو النكال الحقيقى الذى يأخذ الطغاة والعصاة ، ونكال الأولى كان عنيفًا قاسيًا فكيف بنكال الآخرة وفرعون ذو قوة وسلطان .[٤]

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾ :

أى فيما ذكر من قصة فرعون وطغيانه وما حل به من العذاب والنكال لعظة واعتبار لمن يخاف الله عز وجل ويخشى عقابه ، "وهنا تعريض بسادة قريش من أهل الكفر وعلى رأسهم أبو جهل الذى كان يلقب بفرعون الأمة . فليأخذوا العبرة من أمثالهم من الأمم ، وهنا نجد تخويف وتهديد لأهل مكة على تكذيبهم الرسول ﷺ- وإبطال شبهتهم على نفي البعث وما أعقبوه به من التهكم والسخرية المبني على توهم إحالة البعث . إذ قد فرضوا استحالة عودة الحياة إلى الأجسام البالية فجاء الرد بإبطال شبهتهم بقياس خلق أجسادهم على خلق السموات والأرض [٥] فقال الله تعالى :

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة النازعات : ٢٧-٣٣]

وبعد هذه الجولة فى مصارع الطغاة المعتدين بقوتهم يعود إلى المشركين المغترين بقوتهم من منكرى البعث ، من كفار قريش فنبههم إلى آثار قدرته ، ومظاهر عظمته وجلاله التى لا تبلغ قوتهم بالقياس إليه شيئًا ، فالذى خلق السماء قادر على البعث الذى شملت رحمته كل شيء ، ومن الرحمة أن يجد الشر جزاءه ، وألا يتساوى مع الخير فى مصيره .

(١) ، (٢) فى ظلال القرآن – سيد قطب ٣٨١٥/٦ بتصرف .
(٣) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج ٢٨٠/٥.
(٤) التحرير والتنوير – ابن عاشور بتصرف ٨١/٣٠.
(٥) التحرير والتنوير –ابن عاشور ٨٢/٣٠.

فالله سبحانه يدعوهم إلى النظر فى كتاب الكون المفتوح، ومشاهد الكون الهائلة ،الشاهدة بالقوة والتدبير والتقديرللألوهية المنشئة للكون ،المهيمنة على مصائره في الدنيا والآخرة.فيعرضها في تعبيرات قوية الأسر[١]

"فالإنسان يعيش فى هذه الدنيا وقد ألف أشياء تعود على رؤيتها ومعايشتها حتى صارت جزء من حياته لا تلفت إنتباهه ، وهو ما نسميه الثابت وغير المتغير فى الحياة الدنيا ، إنه ألف أن تشرق الشمس كل يوم وأن تغرب ، وألف الليل والنهار والأرض بمظهرها الثابت ، ألف كل عطاء ؛ ولذلك فهو لا يفكر فيها ، إنه يأخذها وكأنها حق مكتسب ، لا يتأمل فى خلقها ولا فى نظامها ، وقد لا يتساءل عن القوة والقدرة التى خلقتها ، والتى تحفظها وتبقيها تعمل بهذا النظام الدقيق"[٢] فأما النواميس التي وراءها فهي كذلك من الدقة والعظمة بحيث تروع وتدهش من يعرفها.

فتظل هذه الحقيقة تروع القلوب وتدهشها كلما اتسع علمها وكبرت معرفتها ..!!

﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ ﴾ :

سمو: السماء كُلُّ ما علاك فأظلك من سقف ونحوه ، ولفظها مفرد والمراد به جمع ، وهمزتها عن واو لأنها من سما يسمو أى ارتفع [٣]استفهام للتقريع والتوبيخ لايقبل الجدل ، أى هل أنتم يا معشر المشركين أشق وأصعب خلقًا أم السماء العظيمة البديعة ؟ فإن من رفع السماء على عظمتها هين عليه خلقكم ، فكيف تنكرون البعث وتجحدون قدرته على إحيائكم بعد مماتكم..؟!

﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[سورة غافر :٥٧]

﴿ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴾ :

سوى: تسويتها تتضمن بناءها وترتيبها . [٤]

أى رفعها فوقكم محكمة البناء ، والمقصود برفع سمكها أى أعلى سقفها فوقكم ، فجعلها مستوية لا شقوق بها ولا فطور. والبناء يفيد المتانة والتماسك ، أى أن السماء وهى فوقك لاترى شيئاً يحملها ، ومع ذلك فإنها سقف متماسك متين. [٥]

« فتأمل خلق السموات ، وارجع البصر فيها كرة بعد كرة تراها من أعظم الآيات في علوها وارتفاعها وسعتها وقرارها ... ولا عمد تحتها ، ولا علاقة فوقها ، بل هى ممسوكة بقدرة الله الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا.

ثم تأمل استواءها واعتدالها فلا صدع فيها ولا فطر ولا شق ولا أمت ولا عوج. ثم تأمل ما وضعت عليه من هذا اللون الذي هو من أحسن الألوان وأشدها موافقه للبصر وتقوية له ... [٦]

﴿ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾ :

غطش : أى أظلمه وجعله شديد الظلمة، وأصل الإغطاش من قولهم : رجل أغطش إذا كان فى عينيه شبه عمش والتغاطش التعامى . [٧] ضحاها : أظهر نورها بالشمس. [٨] ، أى جعل ليلها مظلمًا حالكًا ، ونهارها

(١)فى ظلال القرآن – سيد قطب ٣٨١١/٦-٣٨١٦. (٢) نهاية العالم– الشعراوى ٥٦. (٣) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ– السمين الحلبى ٢٤٤/٢.
(٤) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ– السمين الحلبى ٢٥١/٢. (٥) صفوة التفاسير–الصابونى ٥١٥/٣. (٦) مفتاح دار السعادة– ابن القيم ٥٨٩/٢.
(٧) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ– السمين الحلبى ١٦٦/٣ . (٨) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج ٥/ ٢٩١ .

مشرقًا مضيئًا .[١]

فهل تعلم عزيزى القارئ أن أصل ما يحيط بالأرض هو الظلمة ،حيث اكتشف العلماء فى النصف الأخير من القرن العشرين أن نور النهار المبهج لا يتعدى سمكه مائتى كيلو متر فوق مستوى سطح البحر فى نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس ، بينما يعم الظلام الكون فى غالبية أجزائه حيث تبدو الشمس بعد تجاوز نور النهار قرصاً أزرق باهت فى صفحة سوداء .[٢]

﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ :

الدحو: أى البسط [٣] ، ودحوها : أى تمهيدها وبسط قشرتها ؛ بحيث تصبح صالحة للسير عليها صالحة للإنبات ، وإرساء الجبال هو نتيجة لاستقرار سطح الأرض ووصول درجة حرارتها إلى الاعتدال الذى يسمح بالحياة .[٤]

"فإذا نظرت إلى الأرض وكيف خُلِقَتْ رأيتها من أعظم آيات فاطِرها ومبدعها. خلقها سبحانه وتعالى فراشًا ومِهادًا ، وذلّلها لعباده وجعل فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعايشهم ، وجعل فيها السُّبُل ليقضوا فيها حوائجهم ، وأرساها بالجبال فجعلها أوتادًا تحفظها لئلا تميد بهم ، ووسّع أكنافها ، ودحاها فمدّها وبسطها، وطحاها فوسّعها من جوانبها ، وجعلها كفاتًا للأحياء تضمّهم على ظهرها ما داموا أحياءً ، وكفاتًا للأموات تضمّهم في بطنها إذا ماتوا ؛ فظهرها وطن للأحياء وبطنها وطن للأموات، وقد أكثر تعالى من ذكر الأرض في كتابه ودعا عباده إلى النظر إليها والتفكّر في خلقها فقال تعالى:

﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ [سورة الذرايات:٤٨] ، ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [سورة غافر: ٦٤] ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ [سورة البقرة: ٢٢] ، ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[سورة الغاشية:١٧-٢٠]

وهذا كثير في القرآن فانظر إليها وهي ميتة هامدة خاشعة ، فإذا أنزل الله عليها الماء اهتزّت فتحرَّكت ورَبَت فارتفعت ، واخضرَّت وأنبتت من كل زوج بهيج ، فأخرجت عجائب النبات في المنظر والمخبر ، بهيج للناظرين كريم للمتناولين ، فأخرجت الأقوات على اختلافها وتباين مقاديرها وأشكالها وألوانها ومنافعها ، والفواكه والثمار، وأنواع الأدوية ، ومراعي الدواب والطير .[٥]

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [سورة الحج:٥] ومن الملاحظ أن كتلة الأرض وأبعادها ومسافتها من الشمس قدرت بدقة بالغة ، فلو كانت الأرض أصغر قليلا لاندفعت بعيدا عن الشمس ، ولفقدت الكثير من طاقتها ، ولما كان بمقدورها الاحتفاظ بغلافها المائى والغازى ولاستحالت الحياة على سطحها ، ولو كانت أكبر قليلا لاندفعت إلى

(١) صفوة التفاسير –الصابونى ٥١٥/٣. (٢) تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم -زغلول النجار ٢٨٩/١ . (٣) لسان العرب ٢٥١/١٤.
(٤) فى ظلال القرآن– سيد قطب ٣٨١٦/٦ . (٥) مفتاح دار السعادة-ابن القيم ٥٦٩/٢- ٥٧٠.

مسافة أقرب من الشمس ولأحرقتها حرارتها ، ولزادت قدرتها على جذب الأشياء زيادة ملحوظة ، كذلك يعتمد طول السنة الأرضية على بعد الأرض من الشمس ،ويعتمد طول يوم الأرض على سرعة دورانها حول محورها، وكل ذلك مرتبط بأبعاد الأرض، وكذلك يعتمد تبادل الفصول المناخية على ميل محور دوران الأرض فلو لم يكن مائلاً ما تبادلت الفصول ، ولاختل نظام الحياة على الأرض.

فلو قصر اليوم الأرضى لإخل إخلالاً كبيراً بتوزيع طاقة الشمس على مساحة محدودة من الأرض ، وبالتالى يخل بجميع العمليات الحياتية مثل النوم ، واليقظة ، والتنفس ، والنتح ، كما يخل بجميع الأنشطة المناخية مثل الدفء ، والبرودة ، والجفاف وحركة الرياح ، والأعاصير ، والأمواج.(١)

﴿ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴾ :

أخرج من الأرض عيون الماء المتفجرة ، وأجرى فيها الأنهار ، وأنبت فيها الكلأ والمرعى مما يأكله الناس والأنعام .(٢) وكوكب الأرض هو أغنى الكواكب فى توافر المياه به ؛ ولذلك يطلق عليه اسم الكوكب المائى أو الكوكب الأزرق حيث تغطى المياه ٧١٪ من مساحة الأرض بينما تشغل اليابسة ٢٩٪ .

لقد حار العلماء فى محاولة تفسير كيفية تجمع هذا الكم الهائل من المياه على سطح الأرض ، من أين أتى ؟ وكيف نشأ ؟ والشواهد تؤكد أن كل ماء الأرض قد خرج أصلاً من جوفها ، ولايزال خروجه مستمرًا من داخل الأرض عبر الثورات البركانية ، كذلك فإن أكثر الغازات اندفاعًا ثانى أكسيد الكربون وهو لازم لعملية البناء الضوئى للنبات ، ولا تزال ثورات البراكين تلعب دورا مهماً فى إثراء الأرض بالمياه وفى تغيير مجموع تلك الغازات والتركيب الكيميائى لغلافها الغازي .

لقد ثبت أخيرًا أن كميات المياه المخزونة تحت سطح الأرض تفوق كثيرًا جميع التقديرات ، لقد شاءت إرادة الله أن يكون فى الأرض هذا القدر الهائل من المياه الذى يكفى جميع متطلبات الحياة ، فلا يسعنا إلا أن نقول سبحان الله وتعالى الله وعلا علوًا كبيرًا فى الأرض والسماء ومابينهما.(٣)

﴿ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ﴾ :

رسى : الرسو الثبوت(٤) ، أي الجبال جعلها كالأوتاود لتستقر الأرض وتسكن بأهلها ، فهى كمصدات للرياح ومخازن للماء ، فلا تميد ولاتضطرب ، وهى ملجأ لهم من عدوهم ، وفيها مراعى أغنامهم ، وفيها من الثروات والمعادن ما هو مكنوز فيها ، فهذه الجبال هى مخازن لأقوات البشر ، كما يقول الله تعالى:

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾
[سورة فصلت: ١٠]

إن تقدير الأقوات جاء بعد خلق الجبال ، وهذه الجبال الصماء التى نراها فيها مخازن أقوات البشر إلى يوم

(١) تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم –زغلول النجار٢٤٨/٣- ٢٤٩- ٢٧٦ .
(٢) صفوة التفاسير –الصابونى ٥١٥/٣ .
(٣) تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم – زغلول النجار ٣٠٦/٤.
(٤) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ – السمين الحلبى ٩٢/٢ .

القيامة لأن عوامل التعرية تأتى فتشقق الجبال ،ثم ينزل المطر فيحمل معه المواد الخصبة التى تشققت ويأخذها إلى الوادى ، هذه المواد التى تقوم الأمطار بنحتها من سفوح الجبال نسميها (الغرين) أو الطين المخصب ، وهو يحتوى على كل العناصر اللازمة لخصوبة الأرض بحيث لا تفقد الأرض خصوبتها إلى يوم القيامة، وهذه المادة هى التى تعطى للزرع ما يحتاجه من العناصر لينمو ويشتد عوده ،ويجعل إنتاج الأرض يتزايد عاما بعد آخر . (١)

إنها من الآيات الكونية الناطقة بكمال القدرة الإلهية المبدعة فى خلق الأرض، وأن الذى يملك القدرة الخلاقة المبدعة قادر على إفناء خلقه وعلى إعادة البعث من جديد .

﴿ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَ لِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ :

كل ذلك منفعة للعباد وتحقيق لمصالحهم ومصالح أنعامهم ومواشيهم ، فهذا لم يكن وليد الصدفة فكل شئ محسوب حسابًا دقيقًا ، فالأرض قد مهدت وجهزت لهذا الإنسان الذى سيستخلف فى الأرض والذى يقتضى وجوده ونموه ورقيه تمهيدًا وتصميمًا للكون ، وهذه المشاهدات واضحة لكل إنسان وفى كل بيئة وزمان ، فلا تحتاج إلى علم أو معرفة . (٢)

إن الإنسان جاء إلى الحياة وكل شئ قد أعد له قبل أن يوجد ؛ بل إن هناك أشياء أكبر من قدرة الإنسان خلقت وسخرت لتخدمه بدون مقابل ، وأخرى سخرت له تعطيه ما يشاء ، ولكنها تحتاج إلى جهد الإنسان حتى تتم عمارة الكون . (٣)

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الجاثية :١٣]

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾

[سورة النازعات : ٣٤-٤١]

هذه النشأة الكونية والنشأة الإنسانية لايكون معقولاً أن ينتهى أمرها بانتهاء الحياة القصيرة ، وأن يستمر الظلم والطغيان فيها دون حساب ولاجزاء ، وأن يتساوى من عمل صالحاً وخاف مقام ربه ومن كان كافرًا فاجرًا ، وكان ذلك تمهيدًا للحديث عن الطامة الكبري ، وما يصاحبها من جزاء على ما كان فى الحياة الدنيا .

(١) الرزق – محمد متولي الشعراوي ٢٠. (٢) فى ظلال القرآن– سيد قطب ٣٨١٧/٦بتصرف. (٣) الأدلة المادية على وجود الله – الشعراوى ١٤.

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ :

طمم :هى القيامة سميت بذلك لأنها تطم على كل شىء أى تغلب على كل شىء ، وأصله من الطم وهو الغلبة على الشىء ، [١] فالطامة عند العرب هى الداهية التى لا تستطيع.

أى إذا جاءت القيامة ، وهى الداهية العظمى ، وهذا الوصف يوحى بالشدة والهول ، وقد وصفت بأوصاف عديدة فى القرآن مثل :(الصاخة، والقارعة، والغاشية) ، لقد ذكر ابن كثير ليوم القيامة أكثر من ثمانين اسما ، ولكن ..**ما السر فى كثرة أسماء يوم القيامة ؟** [٢]

يقول القرطبي : " وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته ، وكثرت أسماؤه ، فالقيامة لما عظم أمرها وكثرت أهوالها سماها الله تعالى بأسماء عديدة ، ووصفها بأوصاف كثيرة ". قال ابن عباس :" هى القيامة سميت بذلك ؛ لأنها تطم على كل أمر هائل مفظع. [٣]

إن الحياة الدنيا متاع ؛ ولكن متاع ينتهى إلى أجل معين ، فإذا جاءت الطامة الكبرى غطت على كل شيء من متاعها الزائف[٤]، عندئذ يستيقظ الإنسان ويتذكر بعد فوات الأوان سعيه ، يتذكر ما قدمه فى دنياه لآخرته ، فالدنيا مزرعة الآخرة ، ونحن نحصد ما نزرعه يوم القيامة ، فالواجب علينا ألا نكون ممن نعض على أناملنا ، ونتمنى أن نعود إلى الدنيا مرة أخرى لنعمل عملاً صالحاً ، فلنغتنم الفرصة قبل فوات الأوان .

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾ :

أى فى ذلك اليوم الرهيب يتذكر الإنسان ما عمله من خير أو شر ويراه مدونا فى صحيفة أعماله ، [٥]وإن كانت أحداث الحياة وشواغل الدنيا قد جعلته يغفل عن آخرته حيث يعرض عليه عمله فيعترف به حينئذ يتذكر فى هذه اللحظات الحاسمة المصيرية سعيه، ولكن بعد فوات الأوان حيث لاينفعه التذكر فلا يزيده ذلك إلا حسرة وأسى وندم على ما فرط فى جنب الله حيث لا ينفع الندم ، هذه الآية هى ميزان دقيق لمعرفة الإنسان نفسه ؛ هل هو من السعداء أم من الأشقياء؟ .

إخوانى إلى كم تماطلون بالعمل وتطمعون فى بلوغ الأمل وتغترون بفسحة المهل ، ولا تتذكرون هجوم الأجل ، ما ولدتم فللتراب ، وما بنيتم فللخراب ، وما جمعتم فللذهاب ، وما عملتم ففى كتاب مدخر ليوم الحساب . [٦]

﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾ :

أى أظهرت جهنم للناظرين فرآها الناس رؤيا العين ، وعندئذ تختلف المصائر ، فالكل قلبه يخفق من الخوف ترتجف أطرافه ، هل هو من أهل النار أم من أهل الجنة ، إنه يوم فظيع تشيب له الرءُوس ، وتضع كل ذات حملٍ حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى!!!!

-{عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ**

(١)عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ– السمين الحلبى ٤١٦/٢. (٢) صفوة التفاسير –الصابونى ٥١٦/٣.
(٣) عمدة التفسير– ابن كثير ٦٣٦/٣ . (٤) فى ظلال القرآن – سيد قطب ٣٨١٨/٦. (٥) صفوة التفاسير –الصابونى ٥١٦/٣.
(٦) بحر الدموع – أبى فرج بن الجوزى ٤٢.

زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»} [١]

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ :

طغى : أى تجاوز الحد فى الكفر والعصيان. [٢] ، فلقد آثر الحياة الدنيا على الآخرة ، واختار الشيء القريب الذى يراه ، وترك الإيمان بالغيب ، لم يضع فى حساباته أنه سوف يحاسب على ما يفعل ،لقد ظن أنه سيعيش فقط فى الحياة الدنيا ولن يكون هناك حساب ولا جزاء ؛ ولكن.. **لماذا قدم ذكر الطغيان على إيثار الحياة الدنيا** ؟ لأن الطغيان من أكبر أسباب إيثار الحياة الدنيا ، وذلك إرضاء لهوى النفس ، وذلك لأن السادة يعلمون جيدًا أن ما يدعوهم إليه الرسول هو الحق ، ولكنهم يكرهون متابعته استكبارًا وحتى لا تضيع مكانتهم وسيادتهم ، ولكن ما مصيرهم وماذا ينتظرهم فلننظر... !! .

﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ :

هاهو يرى بأم عينيه نتيجة اختياره فلا يلومن إلا نفسه ، فإن جهنم المتأججة هى منزله ومأواه لا منزل له سواها. [٣] ... يا راحلاً بلا زاد والسفر بعيد ، العين جامدة والقلب أقسى من الحديد . أنت تغرق فى بحر المعاصى فى كل يوم جديد ، ما أيقظك الشباب ، ولا أنذرك المشيب ، ما أرى صلاحك إلا بعيد . [٤]

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴾ :

الذى يخاف الله لا يقدم على معصية ، فإذا قدم عليها بحكم ضعفه البشرى قاده الخوف إلى الندم والاستغفار والتوبة. [٥]

﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ :

الهوى: هوى النفس إراداتها ، وفى التهذيب معنى نهى النفس عن الهوى : أى نهاها عن شهواتها ، وما تدعو إليه من معاصى الله عز وجل. [٦]

" فالهوى هو ميل النفس إلى ما تهواه ، من غير تحكيم العقل أو الرجوع إلى الشرع ، وهو الهوى المذموم ، فإن مالت إلى ما يوافق الشرع فهو الممدوح ، واتباع الهوى المذموم قد يكون فى الشبهات ، وقد يكون فى الشهوات .

وهوى الشبهة قد يوصل صاحبه إلى حد الابتداع فى الدين ، وأما هوى الشهوة فقد يكون فى الأمور المباحة كالأكل والشرب والنكاح والملبس وقد يكون فى الأمور المحرمة كالزنا والخمر ، وإذا تأملت أمراض الحياة البشرية كلها من كبر وعجب وحسد وحب الجاه وفواحش وغيبة ونميمة وكل ما يخطر على بالك من أمراض فإنك تجد وراءه شيئاً واحداً هو اتباع الهوى . واتباع الهوى وطاعته نوعان :

١. نوع يكون كفرا ، وذلك حين يكون الهوى هو المعبود والمطاع من دون الله حيث يؤدى بصاحبه إلى ممارسة الكفر وفعله .

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف:٢٨].

---

(١) (٢٥٧٣) سنن الترمذي- أَبْوَابُ صِفَةِ جَهَنَّمَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ النَّارِ. (٢) مفرادت ألفاظ القرآن- الأصفهانى ٥٢٠.
(٣) صفوة التفاسير –الصابونى ٥١٦/٣. (٤) بحر الدموع – أبى فرج بن الجوزى ١٢٨. (٥) فى ظلال القرآن– سيد قطب ٣٨١٨/٦ . (٦) لسان العرب ٣٧٢/١٥.

٢. نوع يكون فسقا ومعصية دون الكفر؛ حيث يقع فى المعصية ، فهذا لا يخرج صاحبه من الملة كالزنا وشرب الخمر وغير ذلك من المعاصى ،[١] وهو الذي تتحدث عنه الآية الكريمة :

﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾.

والذى يخاف مقام ربه لا يقدم على معصية ، فإذا أقدم عليها بحكم ضعفه البشرى قاده خوف هذا المقام إلى الندم والاستغفار والتوبة فظل فى دائرة الطاعة .[٢]

وإذا تغلب الهوى على العقل أسكره فلا يستطيع أن يميز بين الحق والباطل ، وربما زاد تأثيره عليه حتى يقلب عنده الموازين فيرى الحق باطلاً والباطل حقاً .

قال شيخ الإسلام : أن الإنسان يجب عليه أن يعرف الحق وأن يتبعه وهذا هو الصراط المستقيم ، فالضال الذى لا يعرف الحق، والغاوى الذى يتبع هواه ، وكثير من الناس لا يعلم الحق بل يتبع الظالمين تقليدا، وقد يكون تركه النظر لأجل الهوى وطلب الدنيا وقد يكون لقصوره ونقص إدراكه.[٣]

والحق أن هوى النفس لا يكاد ينجو منه أحد ، وهذه الأهواء ما دامت حديث النفس فإن صاحبها لا يلام عليها، لكن إن اتبعها قولاً أو فعلاً فإنه يلام على ذلك.

-{ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ**»}[٤]

و مما لا شك فيه أن مغالبة الهوى ومجاهدته أمر صعب على النفوس، ولذا كان الخوف من الله ومنع النفس عن هواها موجبًا لدخول الجنة لذلك كان خير الناس من أخرج الشهوة من قلبه وعصى هواه فى طاعة ربه،[٥] فالهوى هو الدافع لكل طغيان ، وعلاج الهوى يكون بأمور منها : خشية الله ومراقبته فى السر والعلن ومعرفة إن الله يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور،وتذكر عواقب الهوى ،وآثاره السيئة فى الدنياوالآخرة.

﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ :

هذا هو الميزان الدقيق لمعرفة الإنسان نفسه ؛ هل هو من أهل الجنة أم من أهل النار ؟وهل هو من السعداء أم من الأشقياء ؟

فمن طغى وبغى وآثر شهوات الحياة على طاعة ربه فهو الشقي المعذب بالجحيم، أما من أمسك بزمام نفسه ونهى نفسه عن اتباع هواها فلابد له من مكافأة وذلك أن الله يعلم قيمة هذا الجهاد والانتصار على هوى النفس. ..... ثم يعود بنا سياق الآيات إلى هؤلاء المكذبين بالساعة المستهزئين :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾

(١) كيف الخلاص وكلهم أعدائى – هويدا الخطيب ٩٤– ٩٥– ٩٨.
(٢) فى ظلال القرآن – سيد قطب ٦/٣٨١٨– ٣٨١٩.
(٣) منهاج السنة– ابن تيمية ٢ /١١– ١٤.
(٤) (٥٢٦٩) صحيح البخاري – كِتَابُ الطَّلاَقِ– بَابُ الطَّلاَقِ فِي الإِغْلاَقِ وَالكُرْهِ، وَالسَّكْرَانِ وَالمَجْنُونِ وَأَمْرِهِمَا، وَالغَلَطِ وَالنِّسْيَانِ فِي الطَّلاَقِ وَالشِّرْكِ وَغَيْرِهِ
(٥) كيف الخلاص وكلهم أعدائى– هويدا الخطيب -١٠٤.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ :

كان المشركون يسمعون أنباء القيامة وأوصافها الهائلة ، مثل : **(الطامة ، القارعة ، الصاخة)** فيقولون على سبيل الاستهزاء متى يوجدها الله ؟ ومتى تحدث وتقع ؟ وذلك لأنهم ظنوا استحالة وقوع الساعة ، وربما طلبوا التعجيل بوقوعها ، وكانوا يسألون بذلك الرسول فأجابهم الله أن علم الساعة غيب لا يعلمه إلا الله، فلم يطلع عليه ملكاً مقربًا ولا نبيًا مرسلاً. (١)

﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴾ :

أى ليس علمها إليك حتى تذكرها لهم ؛ لأنها من الغيوب التى استأثر الله بعلمها ، فلماذا يسألونك ويلحون فى السؤال ؟! (٢)

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴾ :

أى مردها ومرجعها إلى الله ، فلا أحد يعلم وقتها إلا هو سبحانه وتعالى .

﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴾ :

فأنت يا محمد لا تنذر إلا من ينفعه الإنذار ، فيتعظ ويعمل لها حسابها ، وخص الإنذار بمن يخشى ؛ لأنه هو الذى ينتفع بذلك الإنذار . (٣)

﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ :

إن هؤلاء الكفار عندما يشاهدون القيامة وأهوالها سيتيقظون ويعلمون أنهم ما لبثوا إلا ساعة من نهار ويندمون حيث لا ينفع الندم ، ويتمنون أن لو يعودون إلى الأرض فيعملون عملاً صالحاً . (٤)

هذه الدنيا التى يتقاتل عليها الناس ويتطاحنون ويرتكبون ما يرتكبون من آثام ومعاصى وطغيان ، إنها قصيرة تافهة أمام الآخرة زهيدة ، أفمن أجل عشية وضحاها يضحون بالآخرة !
ومن أجل شهوة زائلة يدعون جنة عرضها السموات والأرض !! . يالها من حماقة يرتكبها الإنسان ... !!

إن أهم شيء أن تعرف لماذا أنت فى الدنيا ؟ لا أن تكتشف هذه الحقيقة وأنت على شفير القبر أو على فراش الموت .

فجدير بمن الموت مصرعه ، والتراب مضجعه ، والدود أنيسه ، ومنكر ونكير جليسه ، والقبر مقرنه، وبطن الأرض مستقره ، والقيامة موعده ،والجنة أو النار مورده ، أن لا يكون له فكر إلا فى ذلك ولا استعداد إلا له . (٥)

*****

(١) ، (٢) ، (٣) صفوة التفاسير –الصابونى ٥١٧/٣ .
(٤) فى ظلال القرآن – سيد قطب٣٨٢٠/٦ بتصرف.
(٥) البحر الرائق فى الزهد والرقائق – أحمد فريد ٢٦٠.

﴿ سُورَةُ عَبَسَ ﴾

■ **ما المحور الذى تدور حوله السورة ؟؟:**

يوجهنا الله إلى أن الميزان الذى نزن به الناس ليس ما يمتلكون من مال أو جاه أو سلطان ، إنما الميزان هو التقوى. إنها تتناول أموراً تتعلق بالعقيدة وأمر الرسالة ، وتتحدث عن دلائل القدرة والوحدانية فى خلق الإنسان والنبات والطعام ، وفيها حديث عن القيامة وأهوالها وشدة ذلك اليوم العصيب .

■ **ما سبب نزول الآيات؟**

روى أن النبى -ﷺ- كان مشغولا مع صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام ، وكان يطمع فى إسلامهم رجاء أن يسلم أتباعهم ، فبينما هو مشتغل بما عنده من وجهاء قريش جاء إليه (عبدالله بن أم مكتوم) رضي الله عنه وهو أعمى ، فقال: " يا رسول الله علمنى مما علمك الله " ، وكرر ذلك ، وهو لا يعلم أن الرسول مشغول مع هؤلاء المشركين ، فكره الرسول قطعه لكلامه وعبس وأعرض ، وقال فى نفسه يقول : هؤلاء أتباعه العميان والسفلة والعبيد ، فعبس وجهه وأقبل على القوم يكلمهم . (١)

■ **ما ترشد إليه السورة :**

١.ابتدأت السورة بذكر قصة الصحابى الجليل (عبد الله بن أم مكتوم) -رضي الله عنه- السابق ذكرها فنزل القرآن الكريم بالعتاب للنبى-ﷺ- .

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ ﴾ [سورة عبس : ١-٦]

٢.جحود الإنسان وكفره الفاحش بربه مع كثرة نعم الله تعالى عليه .

﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ﴾ [سورة عبس : ١٧-٢٠]

٣.تناولت السورة دلائل القدرة فى هذا الكون ؛ حيث يسر الله للإنسان سبل العيش .

﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ۝٢٦ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ۝٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ۝٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ۝٢٩ ﴾ [سورة عبس : ٢٤-٢٩]

٤.ختمت السورة ببيان أهوال القيامة ، وفرار الإنسان من أحبابه من شدة الهول والفزع ، وبينت حال المؤمنين وحال الكافرين فى ذلك اليوم العصيب . (٢)

(١) أسباب النزول - للواحدى٤٧٢، وتفسير القرطبى٢١٠/١٩.

(٢) صفوة التفاسير- الصابونى ٥١٨/٣.

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة عبس : ٣٣-٤٢] .

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾

[سورة عبس : ١-١٦]

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ :

العبوس: أى قطب وجهه ، والعبوس قطوب الوجه لضيق الصدر. (١)

والتولي : أصله تحوّل الذات عن مكانها ، ويستعار لعدم اشتغال المرء بكلام يلقَى إليه أو جليس يحلّ عنده ، وهو هنا مستعار لعدم الاشتغال بسؤال سائل ولعدم الإقبال على الزائر. (٢)

إن هذه السورة لتلقى الضوء على حقيقة كبيرة ؛ وهى ..كيف يزن الناس كل أمور الحياة ؟ ومن أين يستمدون القيم التى يزنون بها ويقدرون الناس؟ .

إننا ندرك عظمة هذا الدين حين نرى أن الرسول الكريم قد وجه من ربه بهذا التوجيه وهذا العتاب الرقيق، فلقد خاطبه **الله** بضمائر الغيبه : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ تلطفا به -ﷺ- وإجلالا له .

الله يريد أن يوجهنا فى هذه السورة إلى أن الميزان الذى نزن به الناس في هذه الدنيا ليس بما يمتلكون من جاه أو سلطان أو مال أو قوة أو نفوذ ؛ ولكن الناس يتعاملون بقيم أخرى ومقاييس متفاوتة ، يتحكم فيها النسب ، و القوة ، والمال ، إنما الميزان عند الله يتلخص فى قوله تعالى: (٣)

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [سورة الحجرات : ١٣]

والله يسوق لنا هذه القصة لنأخذ منها العبرة ونتعظ ، فمقياس الناس غير مقياس الله ، وقد سبق أن

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم- للراغب الأصفهانى٥٤٤.
(٢) التحرير والتنوير –ابن عاشور ١٠/٣٠
(٣) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٢٣/٦-٣٨٢٤.

ذكرنا قصة ذلك الأعمى سابقًا فى أسباب النزول .

لقد أعرض النبى -ﷺ- عن (عبدالله بن أم مكتوم) ، ذلك الرجل الفقير الذى أخذ يلح على النبىﷺ أن يعلمه مما علمه الله ، وهنا تتدخل كلمة السماء لتقول كلمة الفصل ولتقرر الميزان الذى توزن به القيم .

وعبر عن (ابن أم مكتوم) بـــ ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾ ترقيقًا للنبي -ﷺ- ؛ ليكون العتاب ملحوظاً فيه أنه لما كان صاحب ضرارة فهو أجدر بالعناية ؛ لأن مثله يكون سريعاً إلى انكسار خاطره. (١)

وكان الرسول -ﷺ- بعد نزول آيات العتاب إذا جاءه (عبد الله بن أم مكتوم) يقول له: مرحبًا بمن عاتبنى فيه ربى ، ويبسط رداءه له . (٢)

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ :

أى وما يعلمك ويخبرك يا محمد لعل هذا الصحابى الذى أعرضت عنه يشرق قلبه بنور الله ويتطهر من ذنوبه بما يتلقاه عنك من العلم والمعرفة . (٣)

فلعله يزّكى تزكية عظيمة حيث كانت نفسه متهيئة لها ساعتئذ إذ جاء مسترشداً حريصاً ، وهذه حالة خفية لايعلمها إلا الله .فهو لا يعلم أن هذا المشرك مضمر الكفر والعناد ، والله يعلم أنه لا يؤمن ، وقد يكون المؤمن فى حالة صفاءَ نفس وإشراقَ قلب لا يتهيأن له في كل وقت. (٤)

﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴾ : أو يتعظ بما يسمع فتنفعه موعظتك .

﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴾ :

أما من أظهر الاستغناء عنك وعن دينك وعن الهدى والخير بما له من الثروة والمال ،(٥) فأنت تتصدى له وتحفل لأمره وتجهد لهدايته وهو عنك معرض، بعض الناس يظن فى نفسه القوة والعزة والجاه فيستغنى عن الله لكن الله سبحانه وتعالى يؤدبه فيصيبه بمرض أو كرب أو ضيق فى نفسه حتى تضيق عليه الأرض بما رحبت حتى يعود ذليلاً منكساً رأسه وجبهته لله تعالى ، أما المؤمن فهو دائما أبداً محتاج إلى الله تعالى فى كل خطوة يخطوها.

﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴾ :

تصدى: أى تقبل عليه. (٦) أى تتعرض له و وتصغى لكلامه وتهتم بتبليغه دعوتك.

﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾ :

أى لاحرج عليك ألايتطهر من دنس الكفر والعصيان ، فأنت لا تسأل عن ذنبه ، ولا تنصر به ، ولست بمطالب بهدايته إنما عليك البلاغ .(٧)

(١) التحرير والتنوير –ابن عاشور ١٠٤/٣٠ . (٢) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٢٧/٦. (٣) صفوة التفاسير –الصابونى ٥١٩/٣.
(٤)التحرير والتنوير- ابن عاشور ١١٢/٣٠. (٥) صفوة التفاسير –الصابونى ٥١٩/٣ . (٦) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٢٨٤.
(٧) صفوة التفاسير –الصابونى ٥١٩/٣.

﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴾ :

والسعي : شدة المشي ، كُنِي به عن الحرص على اللقاء فهو مقابل لحال من استغنى لأن استغناءه استغناء المُمْتَعِض من التصدّي له .[١] وأما من جاءك يسرع ويمشى فى طلب العلم لله ، ويحرص على طلب الخير .

﴿ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴾ :أى وهو يخاف الله تعالى ويتقى محارمه .

﴿ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴾ :

أى فأنت يا محمد تتشاغل عنه وتتلهى بالانصراف عنه إلى هؤلاء الكفار .

ثم يبين حقيقة هذه الدعوة وعظمتها واستغناءها عن كل أحد وعنايتها فقط بمن يريدها لذاتها كائناً ما كان وضعه ووزنه فى موازين الدنيا.

أين هذا ..؟ ومتى... ؟ فى مكة ، والدعوة مطاردة والمسلمون قلة والتصدى للكبراء لا ينبعث من مصلحة ذاتية ، والانشغال عن الأعمى الفقير لا ينبعث من اعتبار شخصى . وإنما هى الدعوة أولاً وأخيراً.[٢]

﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴾ :

أى لا تفعل بعد اليوم مثل ذلك ، فهذه الآيات موعظة وتبصرة للخلق .

﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ :

أى فمن شاء من عباد الله اتعظ بالقرآن ، واستفاد من إرشاداته وتوجيهاته .

﴿ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴾ :

أى هو فى صحف مكرمة عند الله ، الموكل بها السفراء من الملأ الأعلى فهى كريمة طاهرة فى كل ما يتعلق بها وما يمسها من قريب أو بعيد ، فهى فقط لمن يعرف كرامتها ويطلب التطهر بها .

﴿ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴾ :

أى عالية القدر والمكانة ، منزهة عن أيدى الشياطين ،وعن كل دنس ونقص فهى كريمة فى صحفها، المرفوعة المطهرة الموكل بها السفراء من الملأ الأعلى ينقلونها إلى المختارين فى الأرض ليبلغوها.[٣]

﴿ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴾ :

السفرة :كتبة الملائكة الذين يحصون الأعمال ، وعن ابن عرفة: أن الملائكة سموا سفرة لأنهم يسفرون بين الله تعالى وأنبيائه ، وعن أبى بكر رضى الله عنه أنهم ينزلون بالوحى ، وبما فيه صلاح الخلق اشتقاقاً من السفير وهو الساعى بالصلح.[٤] أى بأيدى ملائكة جعلهم الله سفراء بينه وبين رسله .[٥]

﴿ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴾ : أى مكرمين عند الله أتقياء صلحاء.

ثم تتحدث الآيات بعد ذلك عن جحود الإنسان ، وكفره الفاحش لربه وهو يذكره بمصدر وجوده وأصل

(١) التحرير والتنوير –ابن عاشور ١٠٩/٣٠.
(٢) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٢٥/٦.
(٣) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٢٠/٣.
(٤) لسان العرب ٣٧٠/٤.
(٥) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٢٠/٣ .

نشأته وتيسير حياته وتولى ربه له فى موته ونشره ثم تقصيره بعد ذلك فلا يؤدى ما عليه لخالقه .[١]
فأنت أيها الإنسان تعيش فى نعم ثلاث: نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهدى والإرشاد ، فلقد أوجدك الله من العدم ، وأمدك بما تحتاج إليه من هواء وماء وطعام وسخر لك مافى السموات والأرض لخدمتك ثم هداك إليه وأرشدك ، فعلام تتكبر وتستغنى وتعرض عن ربك... !!.

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾[سورة عبس:١٧-٢٣]

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾:
وفعل قُتل فُلانٌ أصله دعاء عليه بالقتل. والمفسرون الأولون جعلوا: { قتل الإنسان } أنه لُعِن، رواه الضحاك عن ابن عباس وقاله مجاهد وقتادة وأبو مالك .[٢]
أى لعن الكافر وطرد من رحمة الله ، ما أشد كفره بالله مع كثرة إحسانه إليه !![٣] لأنه كفر بوحدانية الله، وبقدرته على إعادة خلق الأجسام بعد الفناء ، وبإرساله الرسول ، وبالوحي إليه-ﷺ- وأنه كفر قوي لأنه اعتقاد قوي لا يقبل التزحزح ، وأنه مستمر لا يقلع عنه مع تكرر التذكير والإنذار والتهديد [٤]
تأمل أيها الإنسان نعم الله عليك التى لا تعد ولا تحصى ، فلقد خلقك من عدم ، وشفاك من سقم ، وأطعمك من جوع ، وكساك من عرى ، وأرواك من ظمأ .
فلو نظر هذا الإنسان الكافر المتكبر إلى أصل نشأته وخلقه لشكر الله ، وإلا فعلام يتكبر! ويستغنى ويعرض عن خالقه !! .
﴿ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ :
أى من أى شيء خلق الله هذا الكافر حتى يتكبر على ربه ؟ ثم بدأ الله تعالى فى وصف مراحل خلق الإنسان منذ كان جنيناً فى بطن أمه إلى أن يتوفاه الله ، ثم بعثه للحساب والجزاء.
﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾ :
أى من ماء مهين حقير بدأ خلقه فقدره فى بطن أمه أطواراً ؛ من نطفة ثم علقة ، والمقصود بالعلقة الدم المتجمد إلى أن تم خلقه .[٥] قال ابن كثير: قدر رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد .[٦]

– { عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ الصَّادقُ المصْدُوق- قَالَ: " **إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا يُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كلماتٍ وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلهُ ورِزْقَهُ وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنفخُ فيه الرُّوحُ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ منْكُمْ ليَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وبَيْنَ الجَنَّة إلا ذِرَاعٌ ، فيَسْبِقُ عَلَيْه كِتَابهُ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ،**

(١) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٦/ ٣٨٢٢.
(٢) التحرير والتنوير –ابن عاشور١٢٠/٣٠.
(٣) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٢٠/٣ .
(٤) التحرير والتنوير –ابن عاشور١٢١/٣٠.
(٥) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٢٠/٣ .
(٦) عمدة التفسير-ابن كثير ٦٣٩/٣

وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ }[١]

يقول ابن القيم : "انظر إلى النطفة بعين البصيرة ؛ وهى قطرة من ماء مهين ضعيف ، لو مرت بها ساعة من زمان فسدت وأنتنت ،كيف استخرجها سبحانه وتعالى من بين الصلب والترائب ، منقادة لقدرته مطيعة لمشيئته مذَّللة القياد على ضيق طرقها ،واختلاف مجاريها، إلى أن ساقها الله إلى مستقرها ومجمعها، وكيف جمع سبحانه بين الذكر والأنثى، وألقى المحبة بينهما، وكيف جعل لها قراراً مكيناً لا يناله هواء يفسده، ولا برد يجمده، ولا عارض يصل إليه، ولا آفة تتسلط عليه ،ثم قَلَبَ تلك النطفة البيضاء المشرقة إلى علقة حمراء تضرب إلى السواد ، ثم جعلها مضغة لحم مخالفة للعلقة فى لونها وحقيقتها وشكلها، ثم جعلها عظاما مجردة لا كسوة عليها ، وانظر كيف قسم تلك الأجزاء المتساوية المتشابهة إلى الأعصاب والعظام والعروق ، ثم كيف ربط بعضها ببعض، وكيف كساها لحما، وكيف صورها فأحسن صورها، وشق لها السمع والبصر والفم والأنف ،ومد اليدين والرجلين ،وقسم رءوسهما بالأصابع، ثم قسم الأصابع بالأنامل، وركب الأعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والأمعاء كل واحد منها له قدر يخصه ، ومنفعة تخصه، وكيف قدرها ربها وخالقها بمقادير مختلفة ، وأشكال مختلفة .

ثم انظر الحكمة البالغة في تركيب العظام قوامًا للبدن وعِمادًا له، وكيف قدّرها ربّها وخالقها بتقادير مختلفة ، وأشكال مختلفة ؟ فمنها الصغير والكبير والطويل والقصير والمنحنى والمستدير والدقيق والعريض والمصمت والمجوف، وكيف ركب بعضها فى بعض .[٢]

"حيث إن الهيكل العظمى يتركب من مائتى وستة عظمة ، صممت لكى تعين الإنسان على الحركة ، وجعل الله من تلك العظام المفاصل التى تسمح للإنسان بالوقوف مستقيمًا والجلوس والاضطجاع والانحناء والثنى،حيث يلعب العمود الفقرى دورا خطيرا إذ إنه يقوم بعملية التوازن الهامة لثقل الجسم وتوزيعه بطريقة متساوية على المفاصل والأطراف السفلى أثناء الحركة والوقوف والجلوس"

ونلاحظ أن عظام العمود الفقرى صغيرة وقصيرة وسميكة الفقرات حتى تستطيع أن تؤدى دورها تماما إذ أن قصرها يسمح للأنسان بالإنحناء والإنثناء إلى كافة الجهات وسمكها يمكنها من حماية الحبل الشوكى"[٣]

ولما كان الإنسان محتاجا إلى الحركة بجملة بدنه وببعض أعضائه للتردد فى حاجته لم يجعل عظامه عظما واحدا بل عظاما متعددة ،وجعل بينها مفاصل حتى يتيسر بها الحركة ، وكان قدر كل واحد منها شكله على حسب الحركة المطلوبة،" [٤] ومن الملاحظ أن أحجام العظام ليست متساوية فعظام الساق والساعد طويلة كى تساهم فى المشى وحمل الأثقال وعظام الساقين مجوفة لتكون قادرة على حمل ثقل الإنسان فتستطيع عظمة الساقان أن تتحمل وزنا يزيد على وزن صاحبها أضعافا مضاعفة ولو كانت مصمتة لكانت ثقيلة جدا لدرجة أن الإنسان يشعر بالتعب من خلال مجهود حركتها وعظام الرسغ واليد والكف

(١) (٣٢٠٨) صحيح البخاري -كِتَابُ بدء الخلق – بَابٌ ذكر الملائكة.
(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة –ابن القيم ٥٤٠.
(٣) من عجائب الخلق فى جسم الإنسان –إسماعيل الجاويش ٥٩-٦١.
(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة –ابن القيم ٥٤٢.

والقدم صغيرة كى تساعدنا على أداء الحركات الدقيقة كالكتابة أو غيرها من المهارات"[١] .

ثم انظر إلى الحكمة البالغة فى جعل عظام أسفل البدن عظيمة قوية لأنها أساس له ، وانظر كيف كسا العظام العريضة كعظام الظهر والرأس كسوة من اللحم تناسبها،والعظام الدقيقة كسوة تناسبها كالأصابع، والمتوسطة كذلك كعظام الذراعين والعضدين ".[٢]

فالله تعالى يقول للإنسان : انظر إلى دقة تكوينك انظر إلى أصلك هل يعقل أن هذا الماء المهين هو وحده أصبح إنساناً سوياً ، من جعل الشعر على رءوسنا ١٢٠ ألف شعرة ، لكل شعرة وريد وشريان وعصب وغدة دهنية وغدة صبغية" .[٣]

من جعل شعر الرأس يطول وشعر الحاجبين لا يطول ؟ من الذي جعل فى الأنف شعراً وفى الفم لا يوجد شعر ؟ من خلق المفاصل؟ مفصل لليد ومفصل للقدم ، ومن جعل بعضها مجوفا والآخر مستقيماً ؟.

"لابد من النظر والتدبر فى كيفية خلق الإنسان لأن فيه من دلائل القدرة الإلهية العظيمة ما يبهر العقول ويملأ القلوب إيمانا وخشوعا وتبتلا ويجعلها تتقرب من ذلك النور الإلهى فترى الذى أنشأ وأبدع وخلق الإنسان من هذا الماء الدافق هذا الماء المهين يتطور فى نشأته، وخلقته طوراً بعد طور، ومرحلة بعد مرحلة، وخلقاً بعد خلق ، حتى يخرجه طفلاً ثم يبلغ أشده ، ثم يعود أدراجه إلى الشيخوخة إلى الوهن والضعف، ثم إلى حفرة ضيقة لا أنيس فيها ولا صديق، ثم إلى بعث ونشور وحين يتأمل الإنسان فى عجائب خلقه لابد أن يذهب ذلك من نفسه كل ريب فى البعث والنشور .[٤]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ ﴾ [سورة الحج : ٥]

ولو تدبرنا معا يا إخوانى عملية خلق الإنسان لما ملكنا إلا أن نقول سبحان الله !!!

فهل من المعقول أن نقطة الماء تصبح بعد تسعة أشهر طفلاً له جمجمة ودماغ وعين وحواجب ورموش وأعصاب ومعدة وعظام أمعقول هذا ؟ !!

﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴾ :

لقد اختلف فى تفسير هذه الآية على عدة آراء نعرض منها :

قال ابن عباس : أى يسر له سبيل خروجه من بطن أمه ، والآخر: طريق الخير والشر ، والثالث: السبيل أى النظر السليم المؤدى إلى الإيمان ، والأول أرجح لعطفه على قوله من نطفة خلقه فقدره .[٥]

(١) من عجائب الخلق فى جسم الإنسان –إسماعيل الجاويش٦٢–٦٥. (٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة –ابن القيم ٥٥٠. (٣) من عجائب الخلق فى جسم الإنسان –إسماعيل الجاويش٩٤. (٤) خلق الإنسان بين الطب والقرآن –محمد على البار ٠١١٧ (٥) التسهيل لعلوم التنزيل٢/٥٣٨.

"وقيل : يسر على كل أحد ما خلق له وقدر عليه .
وقيل : سهل له العلم بطريق الحق والباطل ."[١]

لقد فطر الإنسان على معرفة الخير من الشر ؛ فالله تعالى قد خلقنا حنفاء أى أن فطرتنا تتوافق مع الشريعة بل لقد وضع فى كل إنسان ضميراً حياً يرشده ويهديه إلى طريق الحق وهذه هى **هداية الدلالة** :

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [سورة البلد : ١٠]

فإذا عمل الإنسان عملاً حسنًا تجده سعيداً منشرح النفس، وإذا عمل شرًا تجده تعيساً حزيناً ، فأنت عندما تخطئ تجد فطرتك تنفر من هذا الخطأ ، وضميرك يؤنبك ، فالله قد تفضل علينا ومنحنا العقل الذى نستدل به إلى طريق الحق ، وأرسل إلينا رسلاً لتأخذنا إلى طريق الهداية ، ولم يتركنا هكذا ؛ بل إن من تقرب إلى الله تقرب إليه الله وفتح له أبواب الخير ، وهذه هى **هداية المعونة** : وهى أن يوفقك الله إلى عمل الخير ويقبضك عليه .[٢]

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [سورة محمد : ١٧]

﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴾ :

أقبره :أى ثم أماته وجعل له قبرًا يوارى فيه إكراماً له ، ولم يجعله ملقى للسباع والوحوش والطيور ، وهذه تكرمة لبنى آدم على سائر الحيوانات [٣] يلفت الله عز وجل نظرنا إلى تكريم الله للإنسان ؛ حيث جعل له قبراً يوارى سوءته ؛ حيث تذكرنا هذه الآيات بأول جريمة قتل حدثت فى الكون ، وذلك عندما طوعت نفس قابيل قتل أخيه هابيل حسداً وبغياً وعندما قتله وقف حائراً لا يعرف كيف يوارى سوءة أخيه فبعث الله له غراباً يحفر بمنقاره ورجله الأرض ؛ ليريه كيف يستر جسد أخيه .

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة المائدة : ٣٠-٣١]

﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾ :

أى حين شاء الله أحياه للبعث والحساب والجزاء ، فأنت أيها الإنسان لم تخلق سدى ولن تذهب بدون حساب ولاجزاء فهذه الدنيا ما هى إلا دار امتحان وبلاء ليميز الله الخبيث من الطيب .

﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾ :

هذا الكافر ليرتدع وينزجر عن تكبره وتجبره ، فإنه لم يؤد ما فرضه الله عليه ، ولم يفعل ما كلفه به ربه من الإيمان والطاعه ، ولم يشكر خالقه وهاديه.[٤]

فى الواقع إن كثيرا من الناس تمضى بهم الحياة دون أن يعرفوا الغاية من وجودهم فيها ، أو أن يحققوا شيئاً

(١) معالم التنزيل –للبغوى ٣٣٧/٨، وتفسير الخازن ٢١٠/٧. (٢) خواطر الشعراوى . ٨٤/١. (٣)تفسيرالخازن ٢١٠/٧. (٤) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٢١/٣

من واجباتهم فتنتهى آجالهم وكل واحد منهم صفر اليدين من الحسنات ومثقل الكاهل بالذنوب وهؤلاء ممن تنطبق عليهم الآية الكريمة :

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [سورة الكهف : ١٠٣-١٠٤]

ولما ذكر الله خلق الإنسان وكيف أحسن وأغدق عليه من أنواع النعم فيشكر ربه ويطيعه [(١)]على ما وهبه ثم تنتقل بنا الآيات إلى معجزة توفير الطعام لجميع الكائنات الحية ، وفى مقدمتها الإنسان وأنعامه .

" إن هذا الكون بكل مافيه قد وجد أولا قبل أن يخلق الإنسان ، فلا نستطيع أن نقول إن الإنسان قد جاء ولم تكن هناك أرض يعيش عليها ، ولا شمس تشرق عليه ولا ليل ولانهار ولا هواء يتنفسه ؛ بل إن الإنسان قد جاء وكل شيء قد أعد له قبل أن يوجد ؛ بل إن هناك أشياء أكبر من قدرة الإنسان خلقت وسخرت لتخدمه وتعطيه كل متطلبات الحياة بدون مقابل ، كالإبل والأنعام والهواء والشمس والقمر والليل والنهار ، وهناك أشياء أخرى خلقت وسخرت للإنسان ولكنها محتاجة إلى جهد الإنسان وعمله حتى تتم عمارة الأرض ،[(٢)] فهو يبذر البذرة أولاً ويسقيها ويتعهدها بالرعاية ، ثم بإذن الله تنمو يقول الله تعالى فى كتابه العزيز :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الجاثية:١٣]

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة عبس : ٢٤-٣٢]

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ :

هذه هى دعوة لكل ذى بصر وبصيرة ؛ حيث يذكرنا الله بإحسانه إلينا ، فانظر إلى ما حولك فهل لك يد فى هذا الإبداع ،إن اليد التى أخرجته للحياة وأبدعت خلقه هى ذاتها اليد التى أخرجت لنا الطعام وأبدعت خلقه . [(٣)]

فهذا الطعام بألوانه الجميلة وتنوع أصنافه وأشكاله بيد من الذى أبدع هذا الجمال ، فهناك فاكهة فى الصيف وفاكهة فى الشتاء ؛ بل إن النوع الواحد منه أشكال وأنواع مختلفة عن مثيله ، وكل نوع له طعمه الخاص به ؛ بل إنه يسقى بماء واحد ، ولكن كل ثمرة لها طعم وشكل ولون ورائحة وحجم يختلف عن الأخرى، فهذه حلوة وهذه مرة وهذه صغيرة وهذه كبيرة،وهذه لونها أحمر وتلك لونها أصفر،وهذه لها رائحة نفاذة وتلك ليس لها رائحة ؛ بل الأعجب من ذلك أنك ترى ثمرة نأكلها ونترك ما بداخلها مثل المشمش

(١) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٢١/٣ . (٢) الأدلة المادية على وجود الله –الشعراوى ١٤. (٣) فى ظلال القرآن – سيد قطب ٣٨٣٢/٦ .

والبلح ، وثمرة ننزع غلافها ولا نأكله ولكننا نرميه كالبرتقال والبطيخ ، وثمرة لها غلاف هش كالبرقوق، وثمرة غلافها جامد قوى لا تستطيع أن تنزعه بيدك كالجوز والبندق ، بيد من هذا ؟!! (١)

﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴾ :

صبب: الصبب السكب بسرعة وكثرة،(٢) وقال الأصفهانى: صب الماء أى إراقته من أعلى. (٣)
أى أنزلنا الماء من السحاب إلى الأرض (٤)، فلتنظر أيها الإنسان حولك ستجد كل شيء يسير بميزان دقيق، إن الأشياء الأساسيه التى بها قوام حياتك لا أحد يتحكم فيها أبدًا إلا الله ، فمن رحمته تعالى أن خزن المياة فى الآبار وفى السحاب المحمل بالماء ، تخيل معى لو أن هذا الماء النازل من السماء ماء مالح فكيف تكون الحياة ؟ .

إن الحياة على وجه الأرض قوامها الماء ، تخيل معى عزيزى القارئ الحياة بدون ماء كيف ستكون... ؟ مما لاشك فيه سوف يهلك الزرع والضرع ،فهل تعلم عزيزى القارئ أن فى كل ثانية تسقط ستة عشرة مليونا من الأطنان من الماء!! تصور معى أن هذا الماء سقط دفعة واحدة ماذا يحدث..؟

سوف نموت جميعا غرقا، ولكن الله لطيف بعباده لم يسقط هذا الماء دفعة واحدة حتى لا يتلف الزرع ولا يتحطم ولايهلك الحرث والنسل، ولكنه ينزله على شكل قطرات صغيرة وهذا لطف ورحمة وحكمة من الله سبحانه وتعالى "لو نظرنا بعين التأمل لوجدنا أن الماء يغطى حوالى ٧١٪ من مساحة الأرض، وأن اليابسة تغطى حوالى ٢٩٪ ، وإذا تسألنا عن سبب زيادة نسبة الماء عن اليابسة ؛لوجدنا أن الماء يلعب دوراً أساسياً فى تهيئة مناخ الأرض لاستقبال الحياة فلولا هذه المساحات المائية والجليدية الشاسعة لاستحالت الحياة لأن درجة الحرارة كان من الممكن أن تصل إلى أكثر من مائة درجة مئوية بالنهار، وأن تنخفض إلى ما دون المائة درجة تحت الصفر المئوى بالليل ،ولكن شاءت إرادة الله ورحمته أن تحمينا من هذه المخاطر بواسطة الغلاف المائى للأرض الذى ينظم درجة حرارة الأرض، وينظم درجة حرارة الهواء حيث تحدث عملية التبخير حيث تسلط أشعة الشمس على البحار حينئذ يتبخر الهواء ، ويحمل بخار الماء ،و من الملاحظ أن هذا الكم الهائل من بخار الماء يتكاثف على هيئة السحاب والضباب والندى وينزل إلى الأرض على هيئة مطر وثلج وبرد، وما يصاحب ذلك من رعد وبرق ، وما يصاحب ذلك من إحياء الأرض بعد موتها بتقدير الخالق البارئ المصور." (٥)

﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴾ :

إن الماء ينصب من السماء ، ثم نراه يشق الأرض ويتخلل تربتها ، أوترى النبت يشق تربة الأرض شقًا بقدرة الخالق وينمو على وجهها وهو ضعيف ، ولكن القدرة المدبرة تشق له الأرض شقًا وتعينه على النفاذ فيها . (٦)

وإسناد الصّب والشق والإنبات إلى ضمير الجلالة لأن الله مقدِّر نظام الأسباب المؤثرة في ذلك ، ومُحْكِمُ نواميسها ومُلهمُ الناس استعمالها . (٧)

(١) الأدلة المادية على وجود الله- الشعراوى ٤٨. (٢) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ – السمين الحلبى ٣١٣/٢.
(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم– للراغب الأصفهانى ٤٧٣. (٤) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٢١/٣ . (٥) تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم–زغلول النجار١٢٣/٢ . (٦) فى ظلال القرآن– سيد قطب ٣٨٣٣/٦. (٧) التحرير والتنوير –ابن عاشور ١٣١/٣٠.

﴿ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴾ :

الحبُّ : كل ماحصد كالحنطة ، والشعير ، وكل ما يتغذى به ، [١] القضب : قيل هى الفِصْفصة ، وقيل هى علف البهائم .[٢]

أي فأخرجنا بذلك الماء أنواع النباتات والحبوب ، حباً يقتات الناس به ، وعنباً شهياً وسائر البقول مما يؤكل رطباً .

﴿ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴾ :

أى وأخرجنا كذلك أشجار الزيتون والنخيل ، فالزيتون هو هبة السماء لنا ، فمما لا شك فيه أنه يدخل فى نتاج العديد من الأدوية والدهانات الطبية وزيوت الشعر والصابون ، وبه كانت توقد المصابيح قديماً .

" وذكر النخل دون ثمرته وهى التمر ؛ وذلك لأن منافع النخيل كثيرة فهم يقتاتون ثمرته من تمر ورطب وبسر ، ويتخذون من نوى التمر علفا لإبلهم ، فضلا عن اتخاذهم البيوت والأواني من خشبه ، ويصنعون الحصر من سعفه ، والحبال من ليفه.[٣]

"أن النخلة كلها منفعة ، لا يسقط منها شيء بغير منفعة ؛ فثمرتها منفعة ، وجذعها فيه من المنافع ما لا يُجهَل للأبنية والسقوف وغير ذلك ، وسعفها تسقف به البيوت مكان القصب ويستر به الفُرَجْ والخلل، وخوصها يُتَّخذ منه المكاتل والزنابيل وأنواع الآنية والحُصُر وغيرها، وليفها مافيه من المنافع ما هو معلوم عند الناس ". [٤]

﴿ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴾ :

غلباً: أى عظيمة متكاثفة ملتفة الأغصان. [٥] أى بساتين ذات أشجار مثمرة وملتفة الأغصان .

﴿ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴾ :

أبب : الأب هو الكلأ ، وعبر بعضهم عنه بأنه المرعى مطلقا، وقال مجاهد: الفاكهة ما أكله الناس ، والأب ما أكلته الأنعام ، وقال الزجاج: الأَبُّ هو جميع الكلأ الذى تعتلفه الماشية،وقال الفراء : الأَبُّ مايأكله الأنعام .[٦] وقال الأصفهانى : هو المرعى المتهيئ للرعى والجز . [٧]

وهكذا تعددت الأقوال حول معنى الأب والخلاصة أن الفاكهة هى الثمار التى تؤكل للتفكه لا للاقتيات مثل الرطب والعنب والرمان ، والأبُّ : ما تأكله البهائم من العشب.[٨]

وهكذا يعدد الله نعمه التى لا تحصى وفضله على الإنسان ورعايته له وصدق الله القائل:

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾ [سورة النحل : ١٨]

فكل ما حولنا يشير إلى يد القدرة ، فالتربة واحدة والحبوب متنوعة ، وكلها تسقى بماء واحد ، ولكن اليد المبدعة تنوع الثمار فهناك فاكهة للصيف وفاكهة للشتاء ، بل إن النوع الواحد تجد منه ألوان متعددة ،

(١) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج ٢٨٦.
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٣٨/٢.
(٣) التحرير والتنوير – ابن عاشور ١٣٢/٣٠.
(٤) مفتاح دار السعادة- ابن القيم ٦٦٠/٢.
(٥) لسان العرب ٦٥٢/١.
(٦) لسان العرب ١ /٢٠٤، الزجاج ٢٩٦.
(٧) معجم ألفاظ القرآن الكريم – للراغب الأصفهانى ٥٩.
(٨) التحرير والتنوير – ابن عاشور ١٣٣/٣٠.

وأشكال مختلفة ، وكل منها لها طعم مختلف عن نظيره ، وكل ذلك يتناسب مع الإنسان وحاجاته مع تغير الفصول ، فما يصلح أكله فى الشتاء لا يصلح أكله فى الصيف .

"فتأمّل الحكمة الإلهية في إخراج الأقوات والثمار والحبوب والفواكه متلاحقة شيئًا بعد شيء، متتابعة ولم يخلقها كلها جملةً واحدةً ؛ فإن كل فصلٍ وأوان يقتضي من الفواكه والنبات غير ما يقتضيه الفصل الآخر، فهذا حار وهذا بارد ، وهذا معتدل ؛ وكلٌّ في فصله موافق للمصلحة لا يليق به غير ما خلق فيه.

ثم إنه سبحانه خلق تلك الأقوات لمنافع أُخَر من ذلك العصف والخشب والورق والنور والسعف وغيرها من منافع النبات والشجر غير الأقوات ؛كعلف البهائم وأداة الأبنية والسفن والرِّحال والأواني وغيرها ...

فسَلْ الجاحد مَن أعطاها هذا ....ومن هداها إليه ووضعه فيها ؟ فلو اجتمع الأوَّلون والآخرون هل كانت قدرتهم وإرادتهم تصل إلى تربية ثمرة واحدة منها هكذا بإشارة أو صناعة أو حيلة أو مُزاولة ؟ وهل ذلك إلاّ من صنع من شهدت له مصنوعاته ودلّت عليه آياته؟ (١)

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ [سورة الواقعة : ٦٣-٦٤]

﴿ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ :

أى ليكون منفعة ومعاشًا لكم أيها الناس ولأنعامكم .

قال ابن كثير :" وفى هذه الآيات امتنان على العباد ،وفيها استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة دليل على إحياء الأجسام بعد ما كانت عظاما بالية وأوصالاً متفرقة ". (٢)

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة عبس : ٣٣-٤٢]

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ :

أى إذا جاءت صيحة القيامة التى تصخ الآذان حتى تكاد تصمها فهذه هى الخاتمة التى تتفق مع التقدير الطويل والتدبير الشامل لكل خطوة من خطوات الإنسان . (٣)

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾:

وهنا تمهيد لمشهد الإنسان حين يفر وينسلخ من ألصق الناس به ، الذين تربطهم به روابط القرابة ؛" فابتدئ بالأخ لشدة اتصاله بأخيه من زمن الصبا ، فينشأ بذلك إلف بينهما ، وقدمت الأم فى الذكر عن الأب ؛ لأن إلف ابنها بها أقوى منه بأبيه ، ثم انتقل إلى الزوجة والبنين وهم أشد الناس قرباً وملازمة" (٤)

(١) مفتاح دار السعادة –ابن القيم ٦٤٠- ٦٤١.
(٢) عمدة التفسير– ابن كثير ٦٣٩/٣.
(٣) فى ظلال القرآن– سيد قطب ٣٨٣٤/٦.
(٤) التحرير والتنوير – ابن عاشور ١٣٥/٣٠.

وحيث يسود شبح الهول والفزع فلكل إنسان له نفسه وشأنه ، ولديه من الهم الخاص به فى هذه اللحظات الرهيبة ، يتناسى الإنسان أولاده ،أحب وأقرب شيء إلى نفسه وأمه وأبيه سبب وجوده بعد الله، بل وينسى إخوانه ويفر منهم ، ويفر من زوجته فياله من مشهد ، حتى الأنبياء ليقول الواحد منهم : نفسى نفسى .

ولما بين الله تعالى حال القيامة وأهوالها بين بعدها حال الناس وانقسامهم فى ذلك اليوم إلى سعداءوأشقياء وهنا قدم وجوه أهل النعيم على وجوه أهل الجحيم ؛ لأن هذه السورة أقيمت على التنويه بشأن رجل من أفاضل المؤمنين ، والتحقير لشأن عظيم من صناديد المشركين [١]. فأما السعداء فوصفهم بقوله تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴾ :

أسفر :أضاء، وقال الفراء: أى مشرقة مضيئة [٢]، وقال الزجاج: مضيئة قد علمت مالها من الفوز والنعيم . وقد عبر بالوجه لأن الوجه هو السِّمة المعبرة عن نوازع النفس الإنسانية ، وعليه تبدو الانفعالات والمشاعر وهو أشرف ما في المرء ، أى وجوه فى ذلك اليوم مضيئة مشرقة من البهجة والسرور .

﴿ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ :

أى قد عرفت مصيرها ، وتبين لها مكانها فتهللت واستبشرت بعد الهول المفزع ، فهى فرحة مسرورة بما رأته من كرامة الله ورضوانه ، مستبشرة بذلك النعيم الدائم . [٣]

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾:

غبرة : لون الغبار، والغبرة اغبرار اللون يغبر للّهمَّ والحزن. [٤]

قال ابن عطية: الغبرة من العبوس والكرب ، كما يقتر وجه المهموم والمريض ، والقترة هي غبار الأرض، وقال الزمخشري: الغبرة: غبار يعلوها، والقترة سواد، فيعظم قبحها باجتماع الغبار والسواد. [٥]

أى ترتسم على الوجوه وتعلوها غبرة الحزن والحسرة والندم على مافرطت فى جنب الله ، وذلك لأن آثار الأعراض النفسانية في القلب تظهر على الوجه ، ففي الفرح يظهر الإسفار والإشراق ، وفي الحزن يظهر الكلوح والغبرة ."حيث يغشاها سواد الذل والأنقباض وقد عرفت مصيرها واستيقنت ما ينتظرها من جزاء" . [٦]

﴿ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ :

القتر :ضيق العيش ،وأقتر : قل ماله ، وفى التهذيب القترة :غبرة يعلوها سواد. [٧]

حيث يغشاها ويعلوها سواد الذل والانقباض ، وقد عرفت مصيرها واستيقنت بما ينتظرها من جزاء. [٨]

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾ :

أولئك الذين لم يؤمنوا بالله ورسالاته ، الذين خرجوا عن حدوده وانتهكوا حرماته فهم يجمعون بين الكفر والفجور وفى هذه الوجوه و تلك قد ارتسم مصير هؤلاء وهؤلاء. [٩]

---

(١) التحرير والتنوير – ابن عاشور ١٣٧/٣٠.
(٢) لسان العرب٣٦٩/٤ ، معانى القرآن وإعرابه– الزجاج٢٨٧.
(٣) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٢٢/٣ .
(٤) لسان العرب ٥/٥ .
(٥) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٣٩/٢.
(٦) فى ظلال القرآن – سيد قطب ٣٨٣٤/٦.
(٧) لسان العرب ٧١/٥ .
(٨)، (٩) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٣٤/٦.

﴿ سُورَةُ التَّكْوِيرِ ﴾

- **ما المحور الذى تدور حوله السورة ؟**

هى تعالج حقيقتين مهمتين هما: حقيقة القيامة ، وحقيقة الوحى والرسالة .

- **ما ترشد إليه السورة:**

١.ابتدأت السورة الكريمة ببيان القيامة وما يصاحبها من انقلاب كونى هائل يشمل الشمس والنجوم والجبال والبحار والأرض والسماء والأنعام والوحوش ، كما يشمل البشر ويهز الكون هزاً عنيفاً ، ينثر فيه كل ما فى الوجود ، ولا يبقى شيء إلا وقد تبدل وتغير من هول ما يحدث فى ذلك اليوم الرهيب .

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ ﴾ [سورة التكوير : ١-٦]

٢.تناولت حقيقة الوحى وصفة النبى الذى يتلقاه ، ثم شأن القوم المخاطبين بهذا الوحى الذى نزل لينقلهم من ظلمات الشرك والضلال إلى نور العلم والإيمان .

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣﴾ [سورة التكوير : ١٩-٢٣]

٣.ختمت السورة ببيان بطلان مزاعم المشركين حول القرآن العظيم ، وذكرت أنه موعظة من الله تعالى لعباده . (١)

﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩ ﴾ [سورة التكوير : ٢٦-٢٩]

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤ ﴾[سورة التكوير : ١-١٤]

(١) صفوة التفاسير- الصابونى ٣/٥٢٣.

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ :

قال ابن عباس :" أظلمت " [١] ، كور: جمع ضوءها ولف كما تلف العمامة ، وقال مجاهد :كورت اضمحلت وذهبت ، وقال الأخفش: تلفُّ فتمحى. [٢]

وأصل التكوير جمع بعض الشيء إلى بعض، وذلك كتكوير العمامة وهو لفها على الرأس ، ومعناه أن الشمس يجمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمى بها ، وإذا فعل ذلك ذهب ضوءها . [٣]

تبدأ السورة بمشهد الانقلاب الكونى ، الذى يشمل الأجرام السماوية والأرضية والوحوش والأنعام ، إن هذا الكون الجميل سينفرط عقد نظامه وتتناثر أجزاؤه ، فالأرض يحدث بها زلزال رهيب وينفجر ما بداخلها ، والشمس تنطفئ شعلتها وتتناثر النجوم وتنفك من مجال الجاذبية التى تحتفظ به فى مساراتها ، ويكون ذلك بإرادة الله ، فالذى خلق الكون وقوانينه هو القادر على تعطيل هذه السنن والقوانين .

"فالذى ألفت خدمته لك بتسخير الله قد انتهى تسخير الله له وأصبح غير مسخر لخدمتك ، فالأرض التى كانت تعطيك الزرع والثمر الذى تأكله لا تعطيك شيئا ، والجبال التى كانت أوتاد الأرض تحفظ توازنها تنسف نسفاً ، والشمس التى كانت تعطيك الدفء والنور وتبعث الحياة فى الكون انتهت مهمتها ، وحتى سيطرتك على نفسك زالت ، حتى قدمك لم تعد تخضع لك تمشى بها إلى حيث تشاء ؛ بل أصبحت تخضع لخالقها ، فأنت تمشى إلى حيث إراد الله ، ويدك التى كنت تبطش بها انتهت سيطرتك عليها ، ولسانك لا ينطق إلا إذا شاء الله . لقد كان الناس يحسبون أنهم يعيشون بقدراتهم ، ويتكلمون بقدراتهم ؛ ولكن الله الذى أعطاهم هذه القوانين سيسلبها منهم ." [٤]

﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾ :

كدر: أى انتثرت ، وأصله من الكدر ، وهو ضد الصفاء ، والمعنى تغيرت بالتناثر وذلك لأنها إذا تناثرت تغير شكلها وهيئتها التى كانت بها زينة للسماء . [٥]

أى إذا النجوم تساقطت عن مواضعها وتناثرت من هذا النظام الذى يربطها ، وانطفأت شعلتها وذهب ضوءها . [٦]

﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ :

سيرت : أى قلعت عن وجه الأرض ، فصارت هباءً منثوراً . [٧]هل تتصور معى أخى القارئ أن جبلاً مثل جبل الهمالايا الذى يرتفع عن سطح البحر اثنى عشر ألف متر - وثلثاها تحت الأرض - يصبح كالعهن المنفوش ، أى الصوف المنتوف.

ولنتساءل معا هل فى الأرض قوة تستطيع تحريك هذا الجبل من مكانه ؟! ؛ بل إن كل جبال الدنيا ستزول وتصبح هباءً منثوراً ، أى رملاً متحركاً " فيوم القيامة سوف تتحرك الجبال حركة شديدة ، وبعد أن كانت حجارة صلبة ستصير رملا منثوراً ، فنظراً لشدة الحرارة على سطح الأرض يوم القيامة فإن الجبال ستنفجر تلقائيا ، وبهذا يتم نسفها وتصبح كالصوف المتطاير [٨] في أثناء هذه اللحظة لحظة الانقلاب

(١) تفسير الطبرى ٢٤/٢٣٧. (٢) لسان العرب ٥/١٥٦. (٣) تفسير الطبرى٢٤/٢٣٨. (٤) نهاية العالم- الشعراوى١٠١ – ١٠٢.
(٥) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ- السمين الحلبى ٣/٣٧٩. (٦) فى ظلال القرآن – سيد قطب ٦/٣٨٣٨.
(٧) معالم التنزيل - البغوى٨/٣٤٨. (٨) للكون إله- صبرى الدمرداش ٢٧٤.

الكونى ، فكل ما يملكه الإنسان لا قيمة له ، فلقد كورت الشمس وانكدرت النجوم وسيرت الجبال ، ولذلك كانت الآية التالية تحدثنا بأنه لا قيمة لما يملكه الإنسان فى هذه اللحظات الرهيبة التى تمر بالإنسان .

﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ :

عشر :جمع عشراء ، وهى الناقة الحامل يكون ولدها فى بطنها ، وقيل : هى التى تضع لتمام سنة ، وقيل : هى التى مر على حملها عشرة أشهر، [١]عطلت: أى أهملت وشُغل عنها أهلها مع أنها أعظم أموالهم وأحبها إليهم. والتعطيل الإهمال . [٢]

فمن يهمل هذا المال ؟ أى أن هذه النوق تركت بلا راع . [٣] وقد ذكرت هنا فى الآية لأنها من أثمن كرائم أموال العرب ، [٤] فعند وقوع زلزال فهذه الأموال لا قيمة لها ، تهمل ولا يهتم بشأنها ، فالكل يقول نفسى نفسى ، ويبحث عن النجاة من هذه الأهوال والمشاهد المفزعة المروعة .

﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ :

أى وإذا الوحوش جمعت من أوكارها ذاهلة من قوة الفزع . [٥] فكل الحيوانات سوف تحشر ليقتص بعضها من بعض - وهى ليست مكلفة - فهذه الشاة التى نطحت أختها سوف تحاسب ، فكيف بنا نحن ؟!!

حيث تقبل الوحوش من البرارى والجبال منكسة رءوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ، ولكن حشرتهم شدة الصعقة ، وهول النفخة شغلهم ذلك عن الهرب والتوحش. [٦]

﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ :

سجر :قيل فجرت ، وقيل: ملئت ، وقيل: جعلت مياهها نيرانا بها يعذب أهل النار. [٧]
أى وإذا البحار تأججت ناراً ، وصارت نيراناً تلتهب .

ولنقف قليلاً مع هذه الآية ، فهل تعلم عزيزى القارئ أن الماء يتكون من أوكجسين وهيدروجين ، وأن الأوكجسين يساعد على الاشتعال ، والهيدروجين شديد الاشتعال ، فبقدرة الله تعالى أنهما يصنعان الماء ، والعجيب أن الماء يطفئ النيران !

فهل تعلم عزيزى القارئ أنه عندما يجمع الله الشمس والقمر ، ويختفى القمر فى داخل الشمس ، حيث تصل شدة الحرارة على سطح الأرض إلى آلاف الدرجات مما يؤدى إلى تبخر مياة البحار والمحيطات نتيجة اشتعالها من جراء اتحاد الهيدروجين شديد الاشتعال مع الأوكجسين فتصبح البحار والمحيطات نيرانا مشتعلة [٨] ، فهل تتصور معى أخى القارئ أن أربعة أخماس الأرض التى تمثل البحار على الأرض سوف تشتعل !!.

(١) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ– السمين الحلبى ٧٧/٣. (٢) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ– السمين الحلبى ٩٣/٣.
(٣) فى ظلال القرآن– سيد قطب ٣٨٣٨/٦. (٤) ، (٥) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٢٤/٣ .
(٦) رحلة إلى الدار الآخرة– محمود المصرى ٣٦٨. (٧) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج ٢٩٠ .
(٨) للكون إله – صبرى الدمرداش ٢٧٢.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ :

"اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم :

١. وروي عن عكرمة قال: ردت الأرواح فى الأجساد.

٢. وقال الحسن وقتادة : ألحق كلّ إنسان بشيعته ، اليهود باليهود ، والنصارى بالنصارى .

٣.أو يكون معناها ضم كل جماعة من الأرواح المتجانسة بعضها إلى بعض ، كما قال الله تعالى :

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [سورة الواقعة :٧-١١]

وقسم النفوس إلى أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة والسابقين . روى عن النعمان بن بشير ، عن عمر بن الخطاب أنه سئل عن معناها فقال :

"يقرن بين الرجل الصالح والرجل الصالح فى الجنة ، ويقرن بين الرجل السوء والرجل السوء فى النار" . (١)

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ :

وأد ابنته يئدها : إذا دفنها فى القبر وهى حية ، إما دفعا للعار، وإما خشية الفقر . (٢)

أى إذا البنت التى دفنت وهى حية تقول لأبيها توبيخاً : بأى ذنب قتلتنى ؟! و معنى سؤالها بأى ذنب قتلت؟! تبكيت لقاتلها فى القيامة ؛لأن جوابها : قتلت بغير ذنب ، فلقد كانت بعض القبائل تدفن البنات وهم أحياء خوفاً من العار أو خوفاً من الفقر ؛ بل كانت المرأة تكره ولادة الأنثى خشية فراق زوجها ، فقد يهجر الرجل زوجته إذا ولدت أنثى ، وقد توارثت بعض الشعوب هذا الجهل ؛ بل فى زماننا هذا نجد هذه الفكرة تسيطر على أفكار بعض الرجال ، فالذكر والأنثى كل من عند الله ، وقد تكون الأنثى أفضل من الذكر ، فمن الممكن أن يرزق بابن عاق أو فاسد ؛ بل إن بعضهم قد يحرم الأنثى من ميراثها .

فهى هنا تسأل توبيخاً لقاتلها ما ذنبها حتى قتلها ؟ ولكن ...**لماذا خص سؤال الموؤدة بالذكر دون غيره مما يسأل عنه المجرمون ؟؟**

خص سؤال الموؤدة بالذكر وذلك لأن الله جعل فى فطرة الآباء حب أبنائهم ، فكيف يطاوعهم قلبهم على إزهاق أرواحهم ، فالوأد هو أفظع أعمال الشرك . (٣)

﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ :

أى صحف الأعمال نشرت وبسطت عند الحساب ، وأعطى كل إنسان كتابه بيمينه أو بشماله على قدر عمله (٤) حيث يكشف المخبوء ، ويظهر المستور ، ويفتضح المكنون فى الصدور ، فكل إنسان عنده أسرار وملفات يخفيها عن الناس ، فكم من سوأة مستورة يخجل صاحبها ذاته من ذكراها ، ويرجف ويذوب من كشفها ! فإذا بها جميعها فى ذلك اليوم منشورة مشهودة . (٥)

(١) أخرجه الطبري ٢٤/٢٤٥ . (٢) لسان العرب ٣/٤٤٢. (٣) التحرير والتنوير – ابن عاشور١٤٤/٣٠بتصرف .

(٤) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٢٩١/٥. (٥) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٤٠/٦.

﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴾ :

كشط: كشط الغطاء عن الشيء, والجلد عن الجزور، وكشطت البعير كشطاً: نزعت جلده ، ولا يقال سلخت [١] كشط: قلعت كما يقتلع السقف. [٢]

أى إذا السماء أزيلت ونزعت من مكانها كما ينزع الجلد عن الشاة .

﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ :

سعر: السعير النار الموقدة ، والسعر: التهاب النار وشدة إضرامها. [٣]

أى إذا نار جهنم أوقدت وأضرمت لأعداء الله .

﴿ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ : أى إذا أدنيت وقربت من المتقين . [٤]

﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ :

"فكل نفس تعلم ما لها وما عليها ، وهى لا تملك أن تغير شيئاً مما أحضرت ولا تزيد ولا تنقص شيئاً ، فكل شيء مكتوب ومسجل ، وقد انقطعت عن عالمها ، وقد تغير وتبدل كل شيء ، فالدنيا كلها قد فنيت ولم يبق إلا وجه الله الكريم .

ثم يقسم الله تعالى على صدق القرآن الكريم وصحة رسالة محمد-ﷺ وصفة الرسول الذى يحمله والرسول الذى يتلقاه وموقف الناس حياله وفق مشيئة الله . "[٥]

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾

[سورة التكوير : ١٥-١٨] .

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴾ :

خنس: الكواكب التى تخنس بالنهار ، وقيل الخنس : هى زحل والمشترى والمريخ لأنها تخنس فى مجراها أى ترجع [٦] وقيل سميت خنس : لأنها تخنس أحيانا فى مجراها حتى تخفى تحت ضوء الشمس ، وتكنس: أى تستتر كما تكنس الظباء فى مغارتها وهى الكناس ، وخنوسها استخفاؤها بالنهار ، ويقال سميت خنسا: لتأخرها . [٧]

قال قتادة :هى النجوم التى تبدو بالليل وتخنس بالنهار ، فتختفى فلا ترى ، وأصل الخنوس الرجوع إلى الوراء ، والكنوس أن تأوى إلى مكانسها، وهي المواضع التي تأوي إليها الوحوش . [٨]

الخنس الذهاب فى خفية ، وقيل النجوم تخنس فى المغيب لأنها تختفى نهاراً وتطلع ليلا ، والخناس صفة للشيطان لأنه يخنس إذا ذكر الله تعالى .

(١) لسان العرب ٣٨٧/٧. (٢) معانى القرآن الكريم وإعرابه- الزجاج٥/ ٢٩١. (٣) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ- السمين الحلبى ١٩٩/٢. (٤) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٥/ ٢٩١ . (٥) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٤١/٦. (٦) مفردات ألفاظ القرآن الكريم- للأصفهانى ٣٠٠. (٧) لسان العرب ٧٢/٦. (٨) معالم التنزيل – البغوى ٣٤٩/٨.

﴿ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴾ :

كنس :جمع كانس ،والكانس من الوحش: مادخل كناسه كالظبي وبقر الوحش، والمراد هنا النجوم شبهها فى استتارها ببروجها بالوحش الداخل كناسه ،وقد كنست كنوسا ، وقيل :هى من الكواكب الخمس زحل والمريخ والمشترى وعطارد والزهرة ، وقيل :كل كوكب ، وقيل: أراد البقر الوحشية والظبى .[١]

أى التى تجرى وتسير مع الشمس والقمر ، ثم تستتر وقت الغروب كما تستتر الظباء فى مغاراتها ، قال القرطبى : "النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل ، وتكنس وقت غروبها ، أى تستتر" [٢] .

﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾ :

قال أبو إسحق بن سرى: عسس الليل إذا أقبل ، وعسس إذا إدبر ، والمعنيان يرجعان إلى شىء واحد وهو ابتداء الظلام فى أوله وإدباره فى آخره [٣] أى أضاء والمراد بقوله تعالى عسس إذا أقبل الليل بظلامه حتى غطى الكون .[٤]

﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ :

أى إذا أقبل الصبح بضيائه حيث تدب الحياة فى كل كائن حى ، وتبدأ حركة الحياة والنشاط عند ظهور ضوء النهار.

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة التكوير : ١٩-٢٥]

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ :

إن هذا القرآن لقول رسول كريم وهو سيدنا جبريل -عليه السلام- فهو كريم عند ربه .

﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ :

أى شديد القوة صاحب مكانة رفيعة ومنزلة سامية عند الله . وهذه الصفات فى مجموعها توحى بكرامة هذا القول ، وضخامته وسموه وارتفاعه. كما توحى بعناية الله سبحانه وتعالى بالإنسان ، حتى ليختار هذا الرسول صاحب هذه الصفة ليحمل الرسالة إليه ، ويبلغ الوحى إلى النبى المختار وهى عناية تخجل هذا الكائن الذى لايساوى فى ملك الله شيئا لولا أن الله سبحانه وتعالى يتفضل عليه فيكرمه هذه الكرامة![٥]

﴿ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ :

الأمين : الذى يحفظ ماعهد له به حتى يؤديه دون نقص ولا تغيير [٦] أى مطاع فى الملأ الأعلى ، تطيعه الملائكة ، مؤتمن على الوحى الذى ينزل به على الأنبياء .[٧]

(١) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ– السمين الحلبى ٤٢٣/٣. (٢) تفسير القرطبي – ٢٣٦/١٩ . (٣) لسان العرب ١٣٩/٦. (٤) عمدة التفسير– ابن كثير ٦٤٥/٣. (٥) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٤٢/٦. (٦)التحرير والتنوير– ابن عاشور ١٥٧/٣٠. (٧)صفوة التفاسير –الصابونى ٥٢٥/٣.

﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ :

"أقسم تعالى على أن القرآن نزل به جبريل الأمين ، وأن محمداً ليس بمجنون كما يزعم أهل مكة فنفى عنه تعالى الجنون وكون القرآن من عند نفسه".(١)

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ :

أى لقد رأى محمد -ﷺ- سيدنا جبريل فى صورته الملكية التى خلقه الله عليها بجهه الأفق الأعلى ، وهذه الرؤية بعد أمر غار حراء حين رأى سيدنا جبريل على كرسى بين السماء والأرض فى صورته ، له ستمائة جناح قد سد بين المشرق والمغرب ، وقيل هى الرؤية التى رآه فيها عند سدرة المنتهى، وسمى ذلك الموضع أفقاً مجازاً،ووصف الأفق بالمبين لأنه روى أنه كان فى المشرق من حيث تطلع الشمس قاله قتادة وسفيان .(٢)

﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ :

الغيب : ما غاب عن عِيان الناس أو عن علمهم ، والمراد ما استأثر الله بعلمه ، إلا أن يطلع عليه بعض أنبيائه ومنه العلم بصفات الله تعالى وشؤونه ومشاهدة مَلك ،(٣)ضنن: أى بخيل من الضنة،وهى البخل .(٤)
أى وما محمد على الوحى ببخيل يقصر فى تعليمه وتبليغه ؛ بل يبلغ رسالة ربه بكل أمانة وصدق.(٥)

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ :

أى وما هذا القرآن بقول شيطان ملعون كما يقول المشركون .

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة التكوير : ٢٦-٢٩]

﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ :

قال الزجاج: أي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم.(٦) أى طريق تسلكون فى تكذيبكم للقرآن واتهامكم له بالسحر والكهانة والشعر مع وضوح آياته وسطوع براهينه ؟(٧)

إن فى أعماق الإنسان أصواتاً خفية تناديه وأسئلة تلحُّ عليه منتظرة الجواب الذى يذهب القلق وتطمئن به النفس ، ما الإنسان .. ومن أين جاء ..؟ ما الحياة ..؟ وما الموت.. ؟ ماذا بعد الموت.. ؟

هذه الأسئلة التى ألحت على الإنسان من يوم خلق وإلى إن تطوى صفحة الحياة لن تجد لها أجوبة شافية إلا فى الدين ، فهو المرجع الوحيد الذى يستطيع أن يجيبنا عن تلك الأسئلة بما يرضى الفطرة ويقنع العقل .

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ :

أى ما هذا القرآن إلا موعظة وتذكرة للخلق أجمعين .

(١) تفسير الخازن ٢١٥/٧ .
(٢) البحر المحيط ٤٢٦/٨.
(٣) التحرير والتنوير –ابن عاشور ١٦٠/٣٠ .
(٤) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ – السمين الحلبى ٣٨٧/٢.
(٥) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٢٦/٣ .
(٦) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج٢٩٣/٥ .
(٧) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٢٦/٣.

﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴾ :

أى لمن شاء أن يتبع الحق ويستقيم على شريعة الله ويسلك طريق الأبرار .

﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ :

أى وما تقدرون على شىء إلا بتوفيق الله ولطفه ، فاطلبوا من الله التوفيق إلى أفضل طريق، ، وفيه إعلام أن أحداً لا يعمل خيراً إلا بتوفيق الله تعالى؛ ولا شراً إلا بخذلانه ، ومشيئته،[١] فكل شىء وقع أراده الله، وكل شىء أراده الله وقع ، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة ، وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق .

لقد أثبت أهل السنة عموم القدرة والمشيئة لله ، وأنه تعالى لا يكون فى ملكه ما لا يشاء ، أو يشاء ما لا يكون ، وأن أهل سمواته وأرضه أعجز وأضعف من أن يخلقوا ما لايخلقه الله ، أو يحدثوا ما لايشاؤه ، بل ما شاء الله كان ووجب وجوده بمشيئته ، ومالم يشأ لم يكن، وامتنع وجوده لعدم مشيئته له ، وأنه لا حول ولا قوة إلا به ، ولا تتحرك فى العالم العلوى والسفلى ذرة إلا بإذنه .[٢]

فالإنسان أعجز من أن يفعل شيئا فى الكون ، ذلك أن الكون لا يخرج عن مراد الله الفعلى ، فالله سبحانه وتعالى له ما يشاء فى كونه ولا شىء فى كون الله يخرج عن مشيئة الله .[٣]

هذه الآية لا تناقض فيها أبداً بين اختيار الإنسان وكون الأفعال من الله تعالى ، فإرادة الله تعنى أنه سمح للإنسان أن يفعل ما يشاء لأنه مخير ، والله تعالى يتولى إمداده بالقوة ، فالإنسان يكسب الطاعة أو يكتسب المعصية ، أما الفعل فهو فعل الله ، فحينما يريد الإنسان الحق والخير يدله الله ويعينه عليه ، وحينما يصر على المعصية يسمح الله له بإظهار ما فى نفسه لأنه مخير ، فإرادة الله شاءت أن تكونوا أصحاب مشيئة ، ولولا أن الله شاء أن تكونوا أصحاب مشيئة لما شئتم ؛ أن هذه المشيئة من مشيئة الله تعالى ، وليس معناها الجبر ولكن معناها الفضل ، فالله سبحانه وتعالى أعطانا حرية الاختيار ، وإلا لما كان للعمل الصالح قيمة ، ولا للعمل السيئ قيمة ، ولما حوسب الإنسان على عمله ، إن الإنسان مخير فيما كلف به وما يحقق مصالحه ، يختار أى الطريقين شاء أن يطيع الله أو يعصاه ، فما من عقيدة فاسدة تشل حركة الإنسان وتجعله قاعداً مستسلماً لمصيره المحتوم كعقيدة الجبر ؛ أن يعتقد أن الله أجبره على كل أعماله وسوف يحاسب عليها مع أنه مجبر عليها .[٤]

ولكن هناك سؤال يلح علينا ..**هل الذين كفروا ولم يؤمنوا بوجود الله أرادهم الله تبارك وتعالى كفاراً ؟**

أن الإنسان أكثر شىء جدلا.. وأن الإنسان يحاول دائما أن يجد منفذا ليهرب به من عذاب الله سبحانه وتعالى ، ولكنك أنت الذى تختار الطريق إلى مشيئة الله فتدخل فى رحمته ونعيمه ، وأنت الذى تختار الطريق إلى مشيئة الله لتدخل فى غضبه وعذابه ، وفى يدك أنت المفتاح فأنت تؤمن فيزيدك الله إيمانا وأنت تقوم الليل فيزيدك الله مقاما وأنت تقرأ القرآن فيزيدك الله ثواباً، وأنت تفعل الخير فيزيدك الله مقاماً عالياً ، وأنت تعرض عن هذا كله فيزيدك الله بعداً عن طاعته ويتركك للشيطان .[٥]

(١) تفسير الخازن ٢١٥/٧ .
(٢) مفتاح دار السعادة – ابن القيم ٨٠٧/٢.
(٣) القضاء والقدر – الشعراوى ٧.
(٤) مقومات التكليف – محمد راتب النابلسي (١٩٦-١٨٨-١٨٩ -١٩١ -١٨٥).
(٥) القضاء والقدر –الشعراوى ٩٨.

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾

[سورة الإسراء:١٨-٢٠]

إن الكفار خالفوا مراد الله الشرعى فى كونه ، ولكنهم لا يستطيعون أن يخالفوا أمر الله الفعلى فى كونه وذلك لأن الله تعالى خلقهم مختارين فى أن يطيعوا ، وأن يعصوا ،ولولا أنه سبحانه وتعالى أعطاهم حرية هذا الاختيار ما كان واحد منهم يستطيع المعصية.

فكل ما فى الكون مخلوق على القهر إلا الإنس والجن فلهم حرية الاختيار فى المنهج أفعل ولا تفعل ، نقول لهؤلاء الناس الذين يدعون أن لهم اختيار فى كون الله لا تحسب أن لك اختيار كاملا فى الكون بل أنت خاضع لأقدار الله ، وإلا فقل لى هل فى استطاعتك أن تدفع عن نفسك المرض وتختار الصحة ؟ وإذا جاءك الموت فتمرد على قدر الله وقل لن أموت ، وإذا اصابتك مصيبة فى أهلك أو أولادك فامنعها ، وإذا توقف قلبك فأعد إليه النبض مرة أخرى ، ذلك أنك مقهور فى أشياء ، مختار فى أشياء أخرى والاختيار جاءك بمشيئة الله. (١)

فإنك أعجز من أن تفعل شيئاً إلا أن يشاء الله ، فالفعل محتاج إلى زمان ومكان ومحتاج إلى مفعول به ومحتاج إلى فاعل ، وأنت لا تملك شيئاً من هذا كله .

فإذا جئنا إلى **الفاعل**: وهو أنت ، فأنت لا تملك حتى اللحظة التى تعيش فيها ولا تضمن أن يمتد بك العمر ثانية واحدة ، فإذا جئنا **للزمن**: فأنت لا تملك الزمن ، فقد يأتى زمن التنفيذ فتفاجأ بحدث يمنعك، فإذا جئنا **للمكان**: فأنت لاتملك المكان ، فقد تقرر أنك ستذهب إلى مكان ما فتجد نفسك فى مكان آخر ، فإذا جئنا **للمفعول به**: أى من يقوم لك بعمل ما فقد يرفض أن يعمل معك ، فأنت لا تملك شيئاً من عناصر الفعل كلها ، ولذلك طلب منك الله سبحانه وتعالى أن تتأدب وتعطى الشىء لأهله ، وتنسبه إلى الفاعل الحقيقى فقدر الله عليك ينفذ رغم إرادتك. (٢)

*****

(١) نهاية العالم –الشعراوى ٣٨.

(٢) الأدلة المادية على وجود الله –الشعرواي ٢٧.

﴿ سُورَةُ الانفِطَارِ ﴾

- **ما المحور الذى تدور حوله السورة ؟**

تعالج الانقلاب الكونى يوم القيامة الذى يصاحب قيام الساعة وما يحدث فى ذلك اليوم ، ثم تبين حال الأبرار وحال الفجار يوم البعث والنشور.

- **ما ترشد إليه السورة :**

١.مشاهد الانقلاب الكونى يوم القيامة ؛ من انفطار السماء وانتثار الكواكب وتفجير البحار وبعثرة القبور ، وما يعقب ذلك من الحساب والجزاء .

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ ﴾ [سورة الانفطار : ١-٥]

٢ .جحود الإنسان وكفرانه لنعم الله ؛ فهو لا يعرف للنعمة حقها ، ولا يعرف لربه قدره ، ولا يشكر على الفضل والنعمة والكرامة .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [سورة الانفطار : ٦-٨]

٣.ذكرت علة هذا الجحود والنكران ، ووضحت أن الله تعالى وكل بكل إنسان ملائكة يسجلون عليه أعماله ويتعقبون أفعاله .

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الانفطار : ٩-١٢]

٤ .انقسام الناس فى الآخرة إلى قسمين أبرار وفجار ، وبينت مآل الفريقين .

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥﴾[سورة الانفطار :١٣-١٥]

٥. تصوير يوم القيامة وتجرد كل نفس من كل حول وقوة ، وتفرد الله جل وعز بالحكم والسلطان .[١]

﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩ ﴾ [سورة الانفطار : ١٦-١٩]

(١) صفوة التفاسير–الصابونى ٥٢٧/٣.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ ﴾ [سورة الانفطار : ١-٥]

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾ :

انفطرت :انشقت السماء يوم القيامة بالغمام.(١)

ترسم لنا هذه السورة مشاهد الانقلاب الكونى يوم القيامة ، وتحس وأنت تقرأ السورة وكأننا أمام مشاهد واقعية ، وكأننا نرى ونسمع بالصوت والصورة ؛ حيث تنشق السماء بأمر الله فهنا ترسم لنا الآيات مشهداً من مشاهد التغير العنيف فى هذا الكون المنظور وانتهاء نظامه المعهود وانفراط عقده .(٢)

﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾ :

نثر :تساقطت وتهافتت.(٣)

أى إذا تساقطت الكواكب وانتثرت وزالت عن بروجها وأماكنها ،(٤) فبعد تماسكها الذى تجرى معه فى أفلاكها فى سرعة هائلة ، فبعد أن كانت تدور فى مدارات لا تتعداها ستنثر ، وذلك من آثار اختلال قوة الجاذبية التي أقيم عليها نظام العالم الشمسي ، فكل كوكب منجذب إلى كوكب آخر بقانون الجاذبية ونشعر كأننا أمام عقد تنفرط حباته وتتناثر فى الفضاء . (٥)

" وبالرغم من ضآلة قوة الجاذبية فى الأرض ؛ فإن قوة الجاذبية قوة جبارة فى السموات حيث الكتل الهائلة التى تتماسك بالرغم من تباعدها بقوى الجذب التى تمسك أجرام السماء وتمنعها من الانفراط لأن مدبر الكون لم يأذن بعد بانفراطها، وقوى الجاذبية هى القوى غير المرئية التى يعتمد عليها بناء السموات.(٦)

فها هو نظام الكون قد انفرط عقده ، فهذه النجوم بدلا من أن تبقى فى مسارات مغلقة يدور بعضها حول بعض ، ينفرط هذا النظام وتنفلت هذه الكواكب والنجوم ، وتسبح فى الفضاء الخارجى ، فالله تعالى يمسك هذه الكواكب أن تخرج عن مسارها ، أما يوم القيامة فينفرط عقد النظام وتسبح فى الفضاء الكونى بلا نظام . وصدق الله تعالى القائل :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [سورة فاطر : ٤١]

﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ :

فجرِّ بعضها على بعض حتى تذهب مياهها ، وقيل: تفجر العذب على المالح فيختلطان وذلك هو خراب الدنيا وهلاك ما عليها من حيوان أو نبات أو شجر .(٧)

(١) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج ٢٩٥/٥. (٢) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٤٦/٦. (٣) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج ٢٩٥/٥.
(٤) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٢٨/٣. (٥) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٤٦/٦. (٦) للكون إله – صبرى الدمرداش ٢٨٨ .
(٧) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ– السمين الحلبى ٢٠٤/٣.

أى إذا البحار فتح بعضها على بعض ، فاختلط عذبها بمالحها وأصبحت بحراً واحداً . (١)

﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ :

بعثر : قال الزجاج بعثرت: أى قلب ترابها وبعث الموتى الذين فيها . (٢)

أى إذا قلبت القبور ونبش ما فيها من الموتى ، وصار ما فى باطنها ظاهرا على وجهها ، وبعث الناس للحساب والجزاء. (٣)

﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ :

أى علمت كل نفس ما قدمت من خير أوشر ، فالناس نيام وإذا ماتوا انتبهوا، فندموا حيث لاينفع الندم ، "فلكل واحد منا له سجلا محفوظا عند الله شاهدا عليه يوم القيامة فكل شيء مسجل عليك بالصوت والصورة ، حتى الأرض التى ارتكبت عليها المعاصى ستشهد عليك ، وأشد من ذلك أن تشهد عليك جوارحك ما اقترفت من معاصى ، حيث لا تستطيع أن تنكر شيئا مما حدث ليجعل الله سبحانه وتعالى الإنسان شهيدا على نفسه .

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [سورة الإسراء:١٣- ١٤]

هذا السجل وهذه الحياة المسجلة لحياة كل إنسان تبلغ من الدقة والتسجيل فى هذا الكتاب.

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾

[سورة المجادلة :٦]

هذه الآية الكريمة تجعلنا نخجل من ارتكاب المعصية ونحن نعلم أنها تسجل علينا ، و سوف تعرض يوم المشهد العظيم أمام الله سبحانه وتعالى وتشهدها الخلائق كلها على مرأى ومسمع منها ." (٤)

وحين يقف الإنسان بين يدى ربه ذليلا ، فيقول له : يا عبدى ماذا فعلت من أجلى؟ وماذا فعلت فيما استخلفتك فيه ؟ . فهيئ الجواب من الآن . ما العمل الصالح الذى قدمته ؟ وما العمل السيئ الذى تكره أن تفضح به يوم القيامة أمام الله وأمام الخلائق كلها من أيام أبينا آدم إلى يوم بعثك ، فالإنسان حركته فى الحياة تتلخص فى شيئين ؛ شيء فعله وشيء لم يفعله ، فالشيء الذى فعله ليته لم يفعله ، والشيء الذى لم يفعله ليته فعله ، هذا هو حال الكافر ، أما حال المؤمن فشيء فعله ليته فعل أضعافه ، وشيء لم يفعله ليته ابتعد عنه أضعافاً .

ثم تتجه السورة بعد ذلك إلى ذلك الإنسان الذى هو لاه عن ذكر ربه ، لايعرف لربه قدره ولا يشكره على ذلك الفضل وتلك النعمة فى خلقه وتركيبه ، فلقد اختار له ربه هذه الصورة السوية المعتدلة الجميلة ولا يشكر ولا يقدر ، وإن عجائب الإبداع فى خلقه لأضخم من إدراكه هو وأعجب من كل ما يراه حوله. (٥)

(١) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٢٨/٣. (٢) معانى القرآن وإعرابه – الزجاج ٥ /٢٩٥. (٣) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٢٨/٣.
(٤) الخير والشر – الشعراوى ١٠٣-١٠٤. (٥) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٤٥/٦-٣٨٤

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾ [سورة الانفطار : ٦-٨]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ :

ماغرك : ما خدعك وسول لك حتى أضعت ماوجب عليك. (١) ومعنى اغتر الإنسان بالله أى ظن أنه لا يحاسب عباده ، ولن يعاقبهم فجهل الإنسان بربه جعله يغتر به .

إنه خطاب توبيخ وعتاب يهز كل ذرة فى كيان الإنسان حين تستيقظ إنسانيته ، أى شىء خدعك بربك الكريم الحليم ، كيف قابلت إحسان ربك بالعصيان ورأفته بك بالتمرد والعصيان ، (٢)حين أغلقت الأبواب وأرخيت الستور واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور ، وظننت أن يوم الفصل بعيد فإذا رأيت الله يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره ؛ بل إن الله قد يفتح لك أبواب الدنيا وأنت لست أهلا لها ، فهذا اسمه استدراج .

"ولكن ...**ما سبب غرور الإنسان ؟**

قد يغر الإنسان جهله ، وقد يغره شيطانه المسلط عليه ، وقد يغره ستر الله عليه ، وقد يغره طمعه ، وقد تكون هذه أسباب الغرور لأن كل واحد منهم مما يغر الإنسان إلا أن بعضها قد يغر قوما ،وبعضها قد يغر قوما أخرين .

ولكن ...**لماذا وصف الله تبارك وتعالى نفسه بالكريم مع توبيخه للإنسان ؟**

الجواب : أن الكريم ينبغى أن يعبد ويطاع شكرا لإحسانه ، ومقابلة لكرمه ، ومن لم يفعل ذلك فقد كفر النعمة". (٣)

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ :

والتسْوية : جعل الشيء سويّاً ، أي قويماً سليماً ، ومن التسوية جعل قواه ومنافعه الذاتية متعادلة غير متفاوتة في آثار قيامها بوظائفها بحيث إذا اختل بعضها تطرق الخلل إلى البقية فنشأ نقص في الإدراك أو الإحساس أو نشأ انحراف المزاج ، أو ألم فيه ، فالتسوية جامعة لهذا المعنى العظيم(٤)، فعدلك :خلقك فى أحسن تقويم. (٥)

والتعديل : التناسب بين أجزاء البدن مثل تناسب اليدين ، والرجلين ، والعينين ، وصورة الوجه ، فلا تفاوت بين أجزاؤه ، ولا بشاعة في مجموعها . وجعَلَه مستقيم القامة. (٦)

"إن خلق الإنسان على هذه الصورة الجميلة السوية المعتدلة أمر يستحق التدبر والشكر العميق لربه الكريم، فقد كان الله قادراً أن يركبه فى أية صورة أخرى يشاؤها ولكنه اختار له هذه الصورة السوية المعتدلة الجميلة .

---

(١) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج ٥/ ٢٩٥.
(٢) صفوة التفاسير –الصابونى- ٥٢٨/٣بتصرف .
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل بتصرف ٢٤٥/٢.
(٤) التحرير والتنوير-ابن عاشور ١٧٥/٣٠- ١٧٦.
(٥) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٢٩٥/٥.
(٦) التحرير والتنوير-ابن عاشور ١٧٥/٣٠ -١٧٦

إن الإنسان ليقف حائراً مدهوشاً أمام عجائب تكوين الإنسان الجسدى من الجهاز الهضمى والعظمى والدموى والتنفسى والتناسلى ، إن الإنسان لمخلوق جميل التكوين ، وإن عجائب الإبداع فى خلقه لأضخم من إدراكه هو وأعجب من كل ما يراه حوله ، إن الجمال والاعتدال ليبدو فى تكوينه الجسدى والعقلى والروحى .(١)

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم ، وصوره فأحسن صورته انظر إلى عينيك ، انظر إلى حواسك الخمس ، انظر إلى أعضائك انظر إلى كمال خلقك ، هذا من تكريم الله لك ، بل انظر إلى هذا القوام الفريد ، وهذا التناسق بين الأعضاء ، وهذه المرونة في حركة كل عضو...وهذه المرونة والتكيّف في حركة الأعضاء بعضها مع بعض.. وهذا التناسق في العمل بين العقل والجسد.. والروح.

فلقد أوجدك الله من العدم فجعلك سوياً سالم الأعضاء تسمع وتعقل وتبصر وتتحرك فى أى مكان شئت، ولنقف وقفة طويلة مع هذه الآية العظيمه !!

فهل تعلم عزيزى القارئ أن جسد الإنسان يفقد فى كل ثانية من عمره حوالى ١٢٥ مليون خلية فى المتوسط، ويتجدد غيرها فى الحال مع بقاء الإنسان هو هو بذاكرته وعواطفه ومشاعره وطموحه فسبحان الله !!. (٢)

إن فى خلق الإنسان معجزات كثيرة منها مثلا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر:

العقل البشرى : الذى ميز الله سبحانه وتعالى به آدم وذريته الذى بإمكانه أن يستوعب من المعلومات بعدد ذرات الكون ، فهل تعلم عزيزى القارئ إن أكبر العباقرة لم يستخدم من دماغه إلا جزءاً يسيراً !

فلو أرادت أن تخلق عقلا إلكترونيا يضاهى قوة العقل البشرى فإنك تحتاج إلى أضعاف مساحة الكرة الأرضية ليقوم لك بوظائف العقل البشرى من تذكر وإبداع ونطق وبيان إلى آخره من المعجزات ولا يستطيع أن يؤدى مهامه ،ولكن عندما تلقى نظرة تأمل على هذا العقل والمساحة المحدودة الموجود بها تجد ألف مليون خلية تعمل وتهاجم وتدافع ، لكى تعين الفرد على النطق والبيان والتعلم والتذكر والحفظ والإبداع والاختراع ، وتعينه على الإحساس والتحرك والسمع والبصر .

كذلك هناك ثلاثة الألف شعيرة تتذوق الطعام وتقول للإنسان هذا حلو وهذا مر ، وإذا اقترب جسدك من شيء ساخن صرخت ٣٠ ألف خلية فى مخك تصرخ احترس هذه نار ! إلى آخر الإعجاز فى الخلق . (٣)

بل انظر إلى العظام وتركيبها والعمود الفقرى وتناسقه تجد كل عظمة موضوعة فى مكانها المناسب لتفى

(١) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٤٨/٦.

(٢) تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم– زغلول النجار ٥٦١/١.

(٣) الله والنفس البشرية –الشعراوى بتصرف٥٧.

بالغرض الذى خلقت وصممت من أجله .

"لقد اقتضى التدبير والعناية الإلهية أن يكون الظهر محكما بعظام صلبة وهنا نطرح سؤالا:لماذا لا تكون تلك الفقرات كلها عظما واحدا ؟ والجواب : أنها لو كانت عظما واحدا لكانت إذا أصابها أى آفة تعطل الظهر كله ، أن هذا التدبير ليوحى بأن وراءه يد مدبرة وحكيمة تضع كل شىء فى مكانه المناسب." (١)

" **نعم خلقت من طين ولكن تكوينى عجيب** ! انظر أيها الإنسان كيف قسم الله تلك الأجزاء المتشابهة المتساوية إلى الأعصاب والعظام والعروق والأوتار واليابس والليّن وبين ذلك ؟ ثم كيف ربط بعضها ببعض أقوى رباط وأشدّه وأبعده عن الانحلال ؟ وكيف كساها لحمًا ركّبه عليها وجعله وعاءً لها وغشاءً وحافِظًا ، وجعلها حاملة له مُقيمة له؟

ثم انظر الحكمة البالغة في تركيب العظام قوامًا للبدن وعِمادًا له ، وكيف قدّرها ربّها وخالقها بتقادير مختلفة وأشكال مختلفة ؟ فمنها الصغير والكبير والطويل والقصير والمنحني والمستدير والدقيق والعريض والمصمت والمجوّف ، وكيف ركب بعضها في بعض؟ وكيف اختلفت أشكالها باختلاف منافعها كالأضراس فإنها لمّا كانت آلة للطّحن جُعِلَت عريضة، ولمّا كانت الأسنان آلة للقطع جعلت مستدقّة محدّدة ؟

ولمّا كان الإنسان محتاجًا إلى الحركة بجملة بدنه وببعض أعضائه للتردّد في حاجته لم يجعل عظامه عظمًا واحدًا، بل عظامًا متعدّدة، وجعل بينها مفاصل حتى تتيسّر بها الحركة ، وكيف قدر كلّ واحدٍ منها وشكله على حسب الحركة المطلوبة منه ، وكيف شدّ أسْر تلك المفاصل والأعضاء وربط بعضها ببعض بأوتار ورِباطات ، فإذا أراد العبد أن يحرّك جزء من بدنه لم يمتنع عليه ، ولولا المفاصل لتعذّر ذلك عليه.

ثم اقتضت حكمة الربّ الخالق سبحانه أن جعل ماء الأُذن مُرّاً في غاية المرارة ، فلا تقترب منه الحشرات والهوام بل إذا وصل إلى باطن الأُذُن أعمل الحيلة في رجوعه ، وجعل ماء العينين ملحًا ليحفظها ؛ فكانت ملوحة مائها صيانةً لها وحِفظًا لها من الفساد.

وجعل ماء الفم عذبًا حُلوًا ليُدرك به طعوم الأشياء على ما هي عليه وأودع فيه حاسة الذوق والكلام، وآلات الطحن والقطع ما يُبهِر العقول عجائبه؛ فأودعه اللسان الذي هو أحد آياته الدّالة عليه، وجعله ترجمانًا لملك الأعضاء مبيِّنًا مؤدّيًا عنه ، كما جعل الأُذن رسولاً مؤدّيًا مُبلِّغًا إليه ؛ فهي رسوله وبريده الذي يؤدّي إليه الأخبار، واللسان بريده ورسوله الذي يؤدّي عنه ما يريد.

ثم زيّن سبحانه الفم بما فيه من الأسنان التي هنّ جمال له وزينة ، وبهما قوام العبد وغذاؤه، وجعل بعضها للطحن، وبعضها آلة للقطع، فأحكم أُصولها، وحدّد رءوسها، وبيّض لونها، ورتّب صفوفها متساوية الرءوس متناسقة الترتيب كأنها الدّر المنظوم بياضًا وصفاءً وحُسْنًا. (٢)

(١) الجواهر– للجوهرى ٩٢/٢٥ بتصرف. (٢) مفتاح دار السعادة– ابن القيم(٥٤١/٢– ٥٤٢– ٥٤٤– ٥٤٦– ٥٤٧) .

وكذلك خلقه سبحانه لليدين اللتين هما آلة العبد، وعرّض الكفّ ليتمكّن به من القبض والبَسْط، مما أعطاهما القدرة على التحكم بهما فى كثير من الأمور مثل الكتابة والرسم وتناول الأشياء بدقة ، وتحمل عليها كل ما تريد، وقسم فيه الأصابع الخمس ، وقسم كل إصبع بثلاث أنامل ، والإبهام باثنتين ، ووضع الأصابع الأربعة في جانب والإبهام في جانب، لتدوّر الإبهام على الجميع فجاءت على أحسن وضع صَلُحَت بــه للقبض والبسط ومباشرة الأعمال.

وانظر كيف كسا العظام العريضة كعظام الظهر والرأس كسوة من اللحم تناسبها،والعظام الدقيقة كسوة تناسبها كالأصابع ، والمتوسطة كذلك كعظام الذراعين والعضدين؛ فهو مركّب على ثلاثمائة وستين عظمًا: مائتان وثمانية وأربعون مفاصل ، فلو زادت عظمًا واحدًا لكان مضرّة على الإنسان يحتاج إلى قلعه ، ولو نقصت عظمًا واحدًا كان نقصانًا يحتاج إلى جبر.

فأما **القلب** :فهو الملك المستعمل لجميع آلات البدن والمستخدم لها ، وهو أشرف أعضاء البدن وبه قوام الحياة، وهو منبع الروح الحيواني والحرارة الغريزية ، وهو معدن العقل والعلم والحلم والشجاعة والكرم والصبر والاحتمال والحبّ والإرادة والرضا والغضب ، وسائر صفات الكمال ؛ فجميع الأعضاء الظاهرة والباطنة وقواها إنما هي جند من أجناد القلب ؛ فإن العين طليعته ورائده الذي يكشف له المرئيات؛ فإن رأت شيئًا أدّته إليه، ولشدّة الارتباط الذي بينها وبينه إذا استقر فيه شيء ظهر فيها، فهي مرآته المترجمة للناظر ما فيه؛ كما أن اللسان ترجمانه المؤدّي للسمع ما فيه ؛ ولهذا كثيرًا ما يقرن سبحانه في كتابه بين هذه الثلاث .[١]

﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ :

أى ركبك فى أى صورة شاءها واختارها لك من الصور الحسنة .[٢] فلقد اختار له ربه هذه الصورة السوية المعتدلة الجميلة ولا يشكر ولا يقدر ، وإن عجائب الإبداع فى خلقه لأضخم من إدراكه هو وأعجب من كل ما يراه حوله [٣] ، فكان من الممكن أن يخلقه مثل الهرة مثلا ، يمشى على أربع ، ولكن الله الذى أحسن كل شيء خلقه خلق الإنسان فى أحسن صورة ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

﴿ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢ ﴾ [سورة الانفطار : ٩-١٢]

﴿ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴾ :

بالدين: تكذبون بأنكم تبعثون.[٤]

وبخ المشركين على تكذيبهم بيوم الدين ، أى ارتدعوا يا أهل مكة ولا تغتروا بحلم الله ، بل أنتم

(١) مفتاح دار السعادة – ابن القيم (٢/ ٥٤٩-٥٥٠-٥٥٢) بتصرف.
(٢) صفوة التفاسير –الصابونى٣/ ٥٢٨ .
(٣) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٦/٣٨٤٥-٣٨٤٨.
(٤) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج ٥/ ٢٩٦.

تكذبون بيوم الحساب والجزاء[١]إنه خطاب لكل عصر وزمان ، يقولون لك إن الدين لا يصلح لهذه الأيام ، فهم بهذا يكذبون الإله العظيم ، ويأبون الخضوع لأمره ونهيه .

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴾ :

إن عليكم ملائكة حفظه ، يكتبون ما تفعلون ، ويراقبون أعمالكم . [٢]

﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴾ :

أى كراماً على الله يكتبون أقوالكم وأعمالكم ، "لقد وصف الملائكة بأوصاف هى الحفظ والكرم والكتابة ، وابتدئ بوصف الحفظ لأنه الغرض الذى سيق من أجله الكلام ؛ وهو إثبات الجزاء على جميع الأعمال .

أما الكرم فهى الصفة الجامعة للكمال فى المعاملة ، أما وصفهم بالكتابة فالمقصود منه ضبط وحفظ ما وكلوا بحفظه بدون زيادة أو نقص أو نسيان فهم حافظون لما استحفظوا عليه ، وأول الحفظ الأمانة وعدم التفريط، والكرم أى طهارة النفس وضبط ما يجرى على يديه بحيث لا تضيع المصالح الخاصة ولا العامة.[٣]

﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ :

أى يعلمون ما يصدر منك من خير وشر ، ويسجلونه فى صحائف أعمالكم لتجازوا بها يوم القيامة .

ثم بين تعالى انقسام الخلق يوم القيامة إلى أبرار وفجار ، وذكر مآل كلٍ من الفريقين فقال :

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة الانفطار : ١٣-١٩]

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾ :

الأبرار:جمع بر وهو التقى .[٤]

إن المؤمنين الذين اتقوا ربهم فى الدنيا لفى بهجة وسرور يتنعمون فى الجنة التى فيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر [٥] ترى المؤمن فى جنة القرب من الله ، لأنه عرف الله فاستقامت أعماله ، فكان فى نعيم سواء فى الدنيا أو الآخرة .

﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ :

إن الكفار الفجار لفى جحيم لأنهم عصوا الله ، فهم فى نار محرقة وعذاب دائم . إن الفجار هم الذين عصوا الله ؛[٦] بل افتخروا بمعصيتهم ، ولكن قد يبدو لك الفاجر غنياً يأكل ما يشتهى ويسكن أجمل

(١) صفوة التفاسير–الصابونى ٥٢٨/٣. (٢) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٢٩/٣. (٣) التحرير والتنوير –ابن عاشور ١٧٩/٣٠ .
(٤) التحرير والتنوير –ابن عاشور ١٨٢/٣٠ . (٥)، (٦) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٢٩/٣.

بيت ، فالبطولة أن تنجو فى الآخرة من العذاب الأليم لا ما تلتذ به فى الدنيا فعمر الدنيا قصير إذا قيس بالآخرة ، فطوبى لمن ترك الدنيا قبل أن تتركه وبنى قبره قبل أن يدخله.

﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ :

أى يدخلونها ويقاسون حرها ، وذلك فى يوم الجزاء وهو يوم القيامة الذى كانوا يكذبون به .

﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴾ :

أى لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ، ولا يخفف عنهم من عذابها ، ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة ولو يوماً واحداً . (١)

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ :

تعظيم له وتهويل أى ما أعلمك ماهو يوم الدين وأى شيء فى شدته وهوله ؟

﴿ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ :

كرر ذلك تعظيماً لشأنه وتهويلاً لأمره ، أى تجاوز حد الوصف والتعبير ، كأنه تعالى يقول: إنه يوم الجزاء فلا أحد يدرى مقدار هوله وعظمته ، فهو فوق الوصف .

﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ :

أى هو ذلك اليوم الرهيب ، الذى لا يستطيع أحد أن يدفع عن أحد بشيء ، ولا أن يدفع عنه ضراً . (٢)

حيث تقول الأم لابنها : يا بنى جعلت لك صدرى سقاء وحجرى غطاء وبطنى وعاء ، فهل من حسنة يعود على خيرها اليوم ، فيقول: لها ابنها ليتنى استطيع ذلك يا أماه إنما أشكو مما أنت منه تشكين .

فتأمل نفسك يا مسكين فى هول ذلك اليوم وشدته إذ اجتمع الخلائق وتناثرت من فوقهم نجوم السماء ، وطمس ضوء الشمس والقمر وأظلمت الأرض ، وانشقت السماء وصارت كالمهل والجبال كالعهن وأنت تقف مذهولاً خائفاً فى انتظار حسابك ، ولا تعلم هل أنت من أصحاب اليمين أم من أصحاب الشمال ، فياله من يوم ما أصعبه ! .

﴿ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ :

أى والأمر فى ذلك اليوم لله وحده ، لاينازعه أحد .

*****

(١) ، (٢) صفوة التفاسير –الصابونى ٣/ ٥٢٩

﴿ سُورَةُ المُطَفِّفِينَ ﴾

- **ما المحور الذى تدور حوله السورة؟**

تدور السورة حول أربعة محاور:

١. إعلان الحرب على المطففين .
٢. تتحدث عن الفجار وجزائهم يوم القيامة .
٣. تتحدث عن الأبرار والنعيم الذى ينتظرهم .
٤. تصف ما يلاقيه الأبرار من الفجار من إيذاء وسخرية ، وما آل إليه أمر الأبرار وأمر الفجار فى عالم الخلود.

- **ما ترشد إليه السورة** :

١. إعلان الحرب على المطففين فى الكيل والوزن ، هؤلاء الذين لايخافون الآخرة ولا يحسبون حساباً للوقفة الرهيبة بين يدى أحكم الحاكمين .

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٦﴾[سورة المطففين :١-٦]

٢. تحدثت عن الفجار فى شدة وردع وزجر وتهديد بالويل والهلاك ، وجزائهم يوم القيامة وعذابهم بالحجاب عن ربهم كما حجبت الآثام فى الأرض قلوبهم .

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠﴾ [سورة المطففين : ٧-١٠]

٣. تتحدث عن الأبرار ورفعة مقامهم والنعيم المقرر لهم ، والنضرة التى تفيض على وجوههم ، والرحيق الذى يشربونه وهم على الأرائك ينظرون .

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ۝٢٦ ﴾[سورة المطففين : ٢٢-٢٦]

٤. يصف ما كان الأبرار يلاقونه من الفجار من إيذاء وسخرية وسوء أدب ليضع فى مقابله ما آل إليه أمر الأبرار وأمر الفجار. (١)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ ﴾

[سورة المطففين : ٢٩-٣٠]

(١) صفوة التفاسير- الصابونى ٣/٥٣٠-٥٣١.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ ﴾ [سورة المطففين : ١- ٦]

﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴾ :

ويل:كلمة تقال لكل من وقع فى عذاب أو هلكة ، وويل: وادٍ فى جهنم ، وقيل :باب من أبوابها. (١)
التطفيف: البخس فى الكيل والوزن ونقص المكيال ، وإنما قيل للفاعل مطفف لأنه لا يكاد يسرق فى المكيال والميزان إلا الشيء الخفيف الطفيف . (٢)
تبدأ السورة بالحرب على المطففين الذين ينقصون المكيال والميزان ، ويبخسون الناس حقوقهم .

-{عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: " لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ- ﷺ-الْمَدِينَةَ كَانُوا مِنْ أَخْبَثِ النَّاسِ كَيْلًا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴾[سورة المطففين:١] فَأَحْسَنُوا الْكَيْلَ بَعْدَ ذَلِكَ "} (٣)

فالله قد توعد المطففين بالعذاب والهلاك ، الذين ينقصون المكيال والميزان ، ولكن....**من المطففين ؟.**

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ﴾ :

أى إذا اشتروا لأنفسهم استوفوا الكيل والميزان .

﴿ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴾ :

أى إذا كالوا للناس أو وزنوا لهم ينقصون الكيل والميزان ، قال المفسرون:
" نزلت فى رجل يعرف بـــــ (أبى جهينة) كان له صاعان يكيل بأحدهما ، ويكتال بالآخر" . (٤)

﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ :

ألا يعلم ويستيقن أولئك المطففون أنهم سيبعثون ليوم عصيب شديد الهول كثير الفزع ؟! .
تتعجب الآيات الثلاثة من أمر المطففين ، الذين يتصرفون كأنه ليس هناك حساب على ما يكسبون فى الحياة الدنيا، وكأنه ليس هناك موقف جامع بين يدى الله العظيم يتم فيه الحساب ."

لقد كان الإسلام فى مكة يواجه حالة صارخة من التطفيف يزاولها الكبراء ، الذين كانوا أصحاب التجارات الواسعة ، فكانوا يحصلون على أكثر من حقهم قهراً ، فإن كالوا للناس أو وزنوا كان لهم من السلطان ما يجعلهم ينقصون حق الناس ، حتى يضطر الناس في قبول هذا الجور .
إن مجرد الظن أنهم مبعوثون لذلك اليوم كان يكفى ليصدهم عن التطفيف ، وأكل أموال الناس بالباطل، ولكنهم ماضون في التطفيف كأنهم لا يظنون أنهم مبعوثون" . (٥)

(١) لسان العرب ٧٣٨/١١. (٢) لسان العرب ٢٢٢/٩ . (٣) (٢٢٢٣) سنن ابن ماجه –كتاب التجارات––باب التوقى فى الكيل والميزان، مختصر ابن كثير ٦٥١/٣، أسباب النزول- للواحدى ٤٧٤ . (٤) تفسير الكشاف ٧١٨/٤ نقله الثعلبى عن السدى. (٥) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٥٥/٦.

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ :

أى يوم يقومون فى أرض المحشر حفاة عراة خاضعين لرب العالمين .

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧ ﴾ [سورة المطففين : ٧-١٧]

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾ :

الفاجر : هو المتجاوز الحد فى المعصية والإثم ، فهناك سجل لأعمال الفجار ، و﴿سِجِّينٍ ﴾ من السجن وهو وادٍ فى جهنم ، والسجن: الصلب الشديد من كل شىء ،ومعنى الآية الكريمة أن كتابهم فى حبس لخساسة منزلتهم عند الله عز وجل، وقيل: فى حجر تحت الأرض السابعة [١]مكان ضيق فى أسفل سافلين .

جاء "ابن عباس" إلى "كعب الأحبار" ، فقال أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ ، قال : "إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ، ثم يهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها ، فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهى بها إلى سجين ، وهو موضع جند إبليس ، فيخرج لها من سجين رق ، فيرقم ويختم ويوضع تحت جند إبليس . [٢]

وقد روى فى الأثر ماروى فى الآية ، وهو أن الملائكة تصعد بصحيفة عمل العبد فإن رضيها الله قال: اجعلوه فى عليين ، وإن لم يرضه قال: اجعلوه فى سجين. [٣]

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ :

استفهام للتعظيم والتهويل، أى هل تعلم ما هو سجين ؟ فهل تعلم عزيزى القارئ **لماذا سمى سجينا ؟**

من السجن وهو سبب الحبس والتضييق فى جهنم أو لأنه مطروح كما روى تحت الأرض السابعة فى مكان موحش مظلم وهو مسكن إبليس وذريته استهانه به. [٤]

﴿ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴾ :

أى هو كتاب مكتوب كالرقم فى الثوب ، لا ينسى ولا يمحى ، مثبت فيه أعمالهم الشريرة .

(١) لسان العرب ٢٠٣/١٣.
(٢) معالم التنزيل – للبغوي ٣٦٤/٨ ،والطبرى ٢٨٣/٢٤.
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٤٩/٢.
(٤) الكشاف ٧٢١/٤، والتسهيل لعلوم التنزيل ٢٥٨/٢.

قال ابن كثير: " سجين مأخوذ من السجن ، وهو الضيق ، ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهو أسفل سافلين أخبر تعالى أنه كتاب مرقوم ، أى مكتوب مفروغ منه ، لا يزيد فيه أحد ولا ينقص منه أحد.[١]

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ :

أى هلاك ودمار للمكذبين ، ويحدد الله تعالى موضع التكذيب وحقيقة المكذبين .

﴿ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ :

أساطير :أباطيل .[٢]

أى يكذبون بيوم الحساب والجزاء ، وما يكذب به إلا كل متجاوز الحد فى الكفر والضلال مبالغ فى العصيان ، إذا تليت عليه آيات القرآن الناطقة بالبعث والجزاء ، قال :هذه حكايات وخرافات الأوائل سطروها ، وزخرفوها فى كتبهم ؛[٣] بل إن تكذيبهم به جهل بحكمة الله تعالى فى خلقهم وتكليفهم ، فالحكمة من خلق الناس هو تحسين سلوكهم حتى تستقيم الحياة ، ويأمن كل شخص على ماله وعرضه ونفسه ، وإلا لتحولنا إلى قانون الغابة ، "فلو أهمل الله تقويم مخلوقاته وأهمل جزاء الصالحين والمفسدين ، فما الحكمة من الخلق ؟[٤]

قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥ ﴾ [سورة المؤمنون: ١١٥]

﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ :

الران :هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب ، قال الفراء :كثرت المعاصى منهم والذنوب فأحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها[٥] ، والرين كالصدأ يغشى على القلب.[٦]

أى غطى على قلوبهم ما كانوا يكسبون من الإثم والمعصية والعناد والإعراض حتى أصبح متأصلا فيهم ، والقلب الذى يتعود على المعصية ينطمس ويظلم ، ويغطيه غطاء كثيف يحجب النور عنه ، ويفقده الحساسية شيئاً فشيئاً حتى يتبلد ويموت .[٧]

يقول ابن القيم : " إن العاصى أسير شيطانه ، وسجين شهواته ، فالعاصى دائما فى أسر شيطانه وسجن شهواته وقيود هواه ، فهو أسير مسجون مقيد ، ولا أسير أسوأ حالا من أسير أسره أعدى عدو له ، ولا سجن أضيق من سجن الهوى ، ولا قيد أصعب من قيد الشهوة ، فكيف يسير إلى الله والدار الآخرة قلب مأسور مسجون مقيد ؟ وكيف يخطو خطوة واحدة" .[٨]

---

(١) عمدة التفاسير- ابن كثير ٦٥٣/٣ .
(٢) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٢٩٩/٥.
(٣) صفوة التفاسير-الصابونى ٥٣٢/٣ .
(٤) التحرير والتنوير –ابن عاشور ١٩٧/ ٣٠ .
(٥) لسان العرب ١٩٢/ ١٣.
(٦) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٢٩٩/٥.
(٧) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٥٧/٦- ٣٨٥٨.
(٨) الجواب الكافى لمن سئل عن الدواء الشافى –ابن القيم ١٣٦.

- {عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ :« **إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ** »
﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة المطففين: ١٤] . } [١]

يقول ابن القيم : " إن القلب ليصدأ من المعصية ، فإذا زادت غلب عليه الصدأ حتى يصير رانا ، ثم يغلب حتى يصير طبقاً وقفلاً وختماً فيصير القلب فى غشاوة وغلاف ، فإذا حصل ذلك بعد الهدى والبصيرة انتكس، فصار أعلاه أسفله ، فحينئذ يتولاه عدوه ، ويسوقه حيث أراد ، والمعافى من عافاه الله.

وقال عبد الله ابن مسعود :"كلما أذنب نكتت فى قلبه نكتة سوداء،حتى يسود القلب كله فأخبر سبحانه أن ذنوبهم التى اكتسبوها أوجبت لهم رينا على قلوبهم فكان سبب الران منهم . [٢]

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ :

لقد حجبت قلوبهم المعاصى والآثام ، حجبتها عن الإحساس بربها فى الدنيا ، وطمستها حتى أظلمت وعميت فى الحياة ، فالنهاية الطبيعية والجزاء الوفاق فى الآخرة أن يحرموا النظر إلى وجه الله الكريم ، وهذا الحجاب عذاب فوق كل عذاب ، وحرمان فوق كل حرمان ونهاية بائسة ،[٣] فهم محجوبون حجاب رؤيه ، وحجاب إهانه . ....

قال الشافعى : " لما حجب قوما بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضا " .

قال مالك: " لما حجب أعداءه ، فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه " . [٤]

﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴾ :

أى ثم إنهم مع الحرمان عن رؤية الرحمن لداخلون الجحيم وذائقون عذابها الأليم .

﴿ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ :

يقال لهم على وجه التوبيخ والتقريع هذا العذاب الذى كنتم تكذبون به فى الدنيا.

وبعد الحديث عن حال الفجار ذكر الله تعالى نعيم الأبرار .

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ

---

(١) (٣٣٣٤) « حَسَنٌ صَحِيحٌ» سنن الترمذي- أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -بَاب وَمِنْ سُورَةِ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ.

(٢) التفسير القيم- ابن القيم- ٥٦٣/١. (٣) فى ظلال القرآن -سيد قطب ٣٨٥٨/٦ . (٤) تفسير القرطبي ٢٥٩/١٩ .

فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

[سورة المطففين : ١٨-٢٨]

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾ :

كلا: ردع وزجر ، أى ليس الأمر كما يزعمون من مساواة الفجار بالأبرار ؛ بل كتابهم فى سجين وكتاب الأبرار فى عليين ، وهو مكان عالٍ مشّرف فى أعلى الجنة ، ﴿عِلِّيِّينَ﴾ للمبالغة أى فى أعلى الأمكنة [١] ، وهو مشتق من العلو ؛ لأنه سبب فى ارتفاع الدرجات فى الجنة، أو لأنه فى مكان علىّ،وقال ابن عباس: الجنة .[٢]

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾ :

تفخيم وتعظيم لشأنه ، أى وما أعلمك يا محمد ما عليون ، فهو أمر فوق العلم والإدراك .

﴿ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ :

كتاب الأبرار كتاب مكتوب فيه أعمالهم ، وهو فى عليين فى أعلى درجات الجنة ، يشهده المقربون من الملائكة .

وقد روى فى الأثر ما روى فى الآية : " وهو أن الملائكة تصعد بصحيفة فيها عمل العبد فإذا رضيه الله قال: اجعلوه فى عليين وإن لم يرضه قال: اجعلوه فى سجين . [٣]

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾ :

أى إن المطيعين لله فى الجنات الوارفة والظلال الممتدة يتنعمون .

﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ :

أى هم على السرر المزينة بفاخر الثياب ،ينظرون إلى ما أعده الله لهم من أنواع الكرامة والنعيم فى الجنة.

﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ :

أى إذا رأيتهم تعرف أنهم أهل نعمة ؛ لما ترى فى وجوههم من النور والبياض والحسن ،ومن بهجة السرور .[٤]

﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴾ :

الرحيق :الشراب الذى لا غش فيه [٥]، والمختوم : الذى لم يبتذل لأجل ختامه. [٦] ،فالرحيق الشراب الخالص المصفى الذى لا غش فيه ولا كدرة .

أى يسقون من خمر فى الجنة بيضاء صافية ، لم تكدرها الأيدى ، قد ختم على تلك الأوانى فلا يفك ختمها إلا الأبرار.[٧]

(١) لسان العرب ٩٣/١٥.
(٢) ، (٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٤٩/٢ .
(٤) التحرير والتنوير –ابن عاشور ٢٥٥/٣٠.
(٥) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٣٠٠/٥.
(٦) لسان العرب ١١٤/١٠.
(٧) صفوة التفاسير – الصابونى ٥٣٣/٣.

﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌۚ ﴾ :

أى آخره لأن آخر ما يجدونه رائحة المسك، وقال الفراء: قرأ علىّ -رضى الله عنه - ختامه مسك وقال : أما رأيت المرأة تقول للعطار اجعل لى ختامه مسكا تريد آخره.(١)

أى ختم وضع من أن تمسه يد إلى أن يفك ختمه الأبرار .

وقال ابن مسعود :" خلطه مسك".وقال قتادة :" طيب الله لهم الخمر فكان آخر شىء جعل فيها مسك، خُتِم بمسك ".(٢)

﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ :

قال الطبرى :" التنافس مأخوذ من الشئ النفيس ، وهو الذى تحرص عليه نفوس الناس وتشتهيه وتطلبه فليجدّ الناس فيه، وإليه فليستبقوا في طلبه، ولتحرص عليه نفوسهم"(٣) .

أى فى هذا النعيم والشراب الهنىء فليتسابق المتسابقون .

فالتنافس لا يكون فى الدنيا الرخيصة الفانية ؛ إنما التنافس يكون على نعيم الآخرة ، فهو مطلب يستحق المنافسة والذين يتنافسون على الدنيا إنما يتنافسون على حقير ، فالدنيا هى مزرعة الآخرة ، وبقدر ماتزرع فى دنياك تجنى لآخرتك .

﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴾ :

﴿تَسْنِيمٍ﴾ وأصل التسنيم في اللغة: الارتفاع، فهي عين ماء تجري من علو ألى أسفل؛ ومنه سنام البعير لعلوّه من بدنه ، وكذلك تسنيم القبور.(٤)

أى يمزج ذلك الرحيق من عين عالية رفيعة ، ينصب عليهم من علو فى غرفهم ومنازلهم .

﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ :

عين فى الجنة يشرب منها المقربون ، قال فى التسهيل : تسنيم اسم لعين فى الجنة يشرب منها المقربون صرفاً ويمزج منه الرحيق الذى يشرب منه الأبرار ،فدل ذلك على أن درجة المقربين فوق درجة الأبرار .(٥)

وتختم الآيات بالسخرية من الكفار وهم يشاهدون نعيم الأبرار في جناته، وكرامتهم في الملأ الأعلى.

على حين يشاهدون مهانتهم في الملأ الأعلى وعذابهم في الجحيم. وفى هذا تسلية للمؤمنين المعذبين المألومين من وسائل المجرمين الخسيسة ، وأذاهم البالغ ، وسخريتهم اللئيمة.. وما من شك أن هذا التذوق يمسح عنهم مرارة ما هم فيه من أذى وسخرية.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ

(١) لسان العرب ١٦٤/١٢ .
(٢) عمدة التفسير- ابن كثير ٣/ ٦٥٥ .
(٣) تفسير الطبري٢٤/٢٩٩.
(٤) القرطبى ٢٦٠/١٩.
(٥) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٥٠/٢ .

أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة المطففين : ٢٩-٣٦]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴾ :

نزلت هذه الآيات فى صناديد قريش كأبى جهل وغيره ، مر بهم على بن أبى طالب رضى الله عنه، وجماعة من المؤمنين فضحكوا منهم واستخفوا بهم.(١)

إن طبيعة الفجار المجرمين واحدة متشابهة فى كل عصر وزمان فى موقفهم من الأبرار فى جميع البيئات والعصور ، فهو يذكر لهم ما كان من أمر الدنيا أنهم كانوا يضحكون من الذين آمنوا استهزاءً بهم وسخرية منهم ؛ إما لفقرهم وإما لضعفهم عن رد الأذى مما يثير الضحك .(٢)

﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾ :

وإذا مر هؤلاء المؤمنون بالكفار غمز بعضهم بعضاً بأعينهم عليهم احتقاراً لهم وازدراءً ، يقولون : جاءكم ملوك الدنيا يسخرون منهم لإيمانهم واستمساكهم بالدين .(٣)

﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴾ :

الفكِهُ: الذى يحدث أصحابه ويضحكهم.(٤)

أى إذا انصرف المشركون ورجعوا إلى منازلهم وأهليهم رجعوا متلذذين ، يتفكهون بذكر المؤمنين والاستخفاف بهم بعد ما أشبعوا نفوسهم الصغيرة من السخرية من المؤمنين .

﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴾ :

أى إذا رأى الكفار المؤمنين قالوا : إن هؤلاء لضالون لإيمانهم بمحمد ، وتركهم شهوات الحياة ،(٥) وهذا هو العجيب أن يسخر الكافر من المؤمن ويتهمه بالضلال وهو على الحق .

﴿ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴾ :

أى وما وكلوا بشأن هؤلاء المؤمنين ، وما أقيموا عليهم رقباء ليشهدوا برشدهم أوضلالهم ، وفيه تهكم وسخرية بالكفار كأنه يقول: أنا ما أرسلتكم رقباء عليهم ولا وكلتكم بحفظ أعمال عبادى حتى ترشدوهم إلى مصالحهم ، فلم يشغلون أنفسهم بما لا يعنيهم ؟ .(٦)

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٢/ ٥٥٠ ،والكشاف ٧٢٤/٤. (٢) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٦٠/٦ (٣) صفوة التفاسير – الصابونى ٥٣٤/٣.
(٤) لسان العرب ٥٢٤/١٣ . (٥) صفوة التفاسير – الصابونى ٥٣٤/٣ . (٦) صفوة التفاسير – الصابونى ٣/ ٥٣٤.

﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ :

أى فى يوم القيامة يضحك المؤمنون من الكفار ، كما ضحك الكفار منهم فى الدنيا جزاءً وفاقاً .

﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ :

أى والمؤمنون على أسرة الدر والياقوت ينظرون ويضحكون عليهم .

﴿ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ :

أى هل جوزى الكفار فى الآخرة بما كانوا يفعلونه بالمؤمنين من السخرية والاستهزاء؟ .

لقد كانت القلة المؤمنة تلاقى من عنت المشركين وأذاهم ، ولكن الله لم يكن ليترك أهل الإيمان ولم يكن ليترك أهل الباطل للكفار ينتصرون فى الدنيا والآخرة ؛ ولكن الله كان يمهلهم ويستدرجهم ، فكل شيء مكتوب ومسجل عليهم، وحين تستشعر القلوب المؤمنة المجروحة الموجعة أن ربهم معهم ، وسوف يسخر من المجرمين الذين سخروا من المؤمنين، وذلك حين ترى حالهم عند ربهم ومهانتهم وحرمانهم من رؤية الله ودخولهم وخلودهم فى النار ، إن هذه الرؤية التى ينظر بها المؤمن إلى الكافر فى الدنيا والآخرة يمسح ما فيه من أذى وسخرية يلاقيها فى الدنيا ، وقد تتحول هذه المرارة إلى حلاوة وهى تشهد هذا القول الكريم حتى إذا وجدت هذه القلوب التى تعلم أن ليس أمامها فى رحلة الأرض شيء إلا أن تعطى بلا مقابل وأن تنتظر الآخرة موعداً للجزاء وموعداً للفصل بين الحق والباطل ، فهى لم توعد بشيء من المغنم فى الدنيا تتقاضاه ، ولم تتطلع إلى شيء من المغنم فى الأرض تعطاه ، وقد تجردت لله حقا يوم كانت لا تعلم لها إلا رضاه .[1]

قد يتبادر إلى الذهن سؤالا: لماذا سلط الله على أنبيائه وأوليائه ماسلط عليهم من القتل وأذى الناس وظلمهم لهم وعدوانهم عليهم ؟

ما كان ذاك لهوانهم عليه بل ذاك عين كرامتهم وهوان أعدائهم عليه وسقوطهم من عينه لينالوا بذلك ما خلقوا له من مساكنهم فى دار الهوان , وينال أولياؤه وحزبه ما هيء لهم من الدرجات العلى والنعيم المقيم فكان تسليط أعدائه وأعدائهم عليهم عين كرامتهم وعين إهانه أعدائهم.[2]

*****

(١) في ظلال القرآن – سيد قطب- ٦/٣٨٦٢ - ٣٨٦٣ .

(٢) مفتاح دار السعادة –ابن القيم ٢/١٠٦٢.

﴿ سُورَةُ الانشِقَاقِ ﴾

- **ما المحور الذى تدور حوله السورة ؟**

الآيات تطوف بالقلب البشرى فى مجالات كونية وإنسانية شتى ، فمن مشهد الاستسلام الكونى إلى لمسة لقلب الإنسان ، إلى مشهد الحساب والجزاء إلى مشهد الكون الحاضر ، إلى لمسة للقلب البشرى إلى التعجيب من حال الذين لا يؤمنون بعد ذلك كله ، إلى التهديد بالعذاب الأليم ، واستثناء المؤمنين بأجر غير ممنون .فالناس متقلبون فى أحوال مقدرة مدبرة لا مفر لهم من ركوبها ومعاناة أهوالها وشدائدها ، فاليد التى تمسك بأقدار هذا الكون وترسم خطواته وتبدل أحواله قادرة أن تبدل أحوال الناس الذين يعيشون فى هذا الكون ، وتنقلهم من الحياة إلى الموت ، ومن بعث إلى حساب ، فما لهؤلاء القوم لا يؤمنون بصيحة البعث والقيامة ، وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون ، بعد أن أوضحت لهم الدلائل . (١)

- **ما ترشد إليه السورة :**

١.مشهد الانقلاب الكونى والاستسلام لله ، استسلام السماء واستسلام الأرض فى طواعية وخشوع ويسر.

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ ﴾ [سورة الانشقاق : ١-٥]

٢.تحدثت عن خلق الإنسان الذى يكد ويتعب فى تحصيل أسباب رزقه ومعاشه ، ليقدم لآخرته ما يشتهى من صالح أو طالح ومن خير أو شر ، ثم هناك الجزاء العادل .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ ﴾ [سورة الانشقاق : ٦- ٨]

٣.تعرض لمشاهد كونية مما يقع تحت حس الإنسان على أن الناس متقلبون فى أحوال مقدرة مدبرة لا مفر لهم من ركوبها ومعاناتها .

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩ ﴾ [سورة الانشقاق : ١٦-١٩]

٤.توبيخ المشركين على عدم إيمانهم بالله ، مع وضوح آياته وسطوع براهينه ، وتبشيرهم بالعذاب الأليم فى دار الجحيم . (٢)

﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۝٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٢٥ ﴾ [سورة الانشقاق : ٢٠-٢٥]

(١) فى ظلال القرآن –سيد قطب بتصرف ٦/٣٨٦٤-٣٨٦٥.

(٢) صفوة التفاسير – الصابونى ٣/٥٣٦.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٥﴾ [سورة الانشقاق : ١-٥]

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾ :

انشقت يوم القيامة بالغمام .(١)

هذه الآيات بيان لأهوال يوم القيامة ، وتصوير للانقلاب الكونى لما سيحدث من أهوال وكوارث ، يفزع لها الخيال ؛ حيث تنشق السماء وتستسلم لأمر الله .

﴿ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴾ :

أذنت : أى استمعت .(٢) استمعت لأمر ربها وانقادت لحكمه ، وحق لها أن تسمع وتطيع ، وأن تنشق من أهوال القيامة .(٣)

﴿ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴾ :

مدَّ الأرض: أى بسطها وسواها .(٤) ومن معاني المدّ: أن يكون ناشئاً عن اتساع مساحة ظاهرها بتشققها بالزلازل وبروز أجزاء من باطنها إلى سطحها. ومن معاني المدّ: أن يزال تكويرها بتمدد جسمها حتى تصير إلى الاستطالة بعد التكوير. وذلك كله مما يؤذن باختلال نظام سير الأرض وتغير أحوال الجاذبية وما يحيط بالأرض من كرة الهواء فيعقب ذلك زوالُ هذا العالم.(٥) أى زادت الأرض سعة بإزالة جبالها وأكامها ، وصارت مستوية لا بناء فيها ولا جبال .(٦)

﴿ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴾ :

أى رمت ما فى جوفها من الموتى ورمت ما فيها من كنوز ومعادن .(٧)

فهى تلقى الخلائق التى لا تحصى والتى طوتها الأرض فى أجيالها المتعاقبه ، التى لا يعلم إلا الله مداها ، وكذلك ألقت سائر ما يختبئ فيها من معادن وكنوز .(٨)

﴿ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴾ :

أى واستمعت لأمر ربها وأطاعت ، وحق لها أن تسمع وتطيع .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ

(١) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج ٣٠٣/٥ . (٢) لسان العرب ١٠/١٣. (٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٥١/٢. (٤) لسان العرب ٣٩٧/٣.
(٥) التحرير والتنوير–ابن عاشور ٢٢٠/٣٠. (٦) صفوة التفاسير -الصابونى ٥٣٧/٣ . (٧) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج ٣٠٣/٥ .
(٨) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٦٦/٦.

أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴿١٥﴾﴾

[سورة الانشقاق : ٦-١٥]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ :

الكدح :العمل والسعى والكسب ،﴿كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحًا﴾ أى ناصب إلى ربك نصبا. (١)

أي: إنك ساع إلى ربك سعياً ، وعامل عملاً ﴿ فَمُلَٰقِيهِ ﴾ ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أوشر.

ومن الناس من يعيد الضمير على قوله: ربك، أي: فملاق ربك ، ومعناه: فيجازيك بعملك، ويكافئك على سعيك ، وعلى هذا فكلا القولين متلازم ، قال العوفي عن ابن عباس: يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحًا ﴾تعمل عملاً تلقى الله به خيراً كان أو شراً. (٢)

يا أيها الإنسان إنك تقطع رحلة حياتك كلها فى كد وكفاح وعناء وجهد ، إنك أيها الإنسان مهما كدحت وتعبت فلن تجد راحتك فى الدنيا ، إنما الراحة لمن يلاقى ربه فيكافئه على عمله ، "فالزمان يطير بك ، وكل لحظة تقربك من آخرتك حتى تلاقى ربك ، فيجازيك إن خيراً فخير وإن شراً فشر. (٣)

يا أيها الإنسان.. إنك كادح حتى في متاعك..فأنت لا تبلغه في هذه الأرض إلا بجهد وكد.إن لم يكن جهد بدن وكد عمل ، فهو جهد تفكير وكد مشاعر . إنما يختلف نوع الكدح ولون العناء ، وحقيقة الكدح هي المستقرة في حياة الإنسان.. ثم النهاية في آخر المطاف إلى الله. (٤)

﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾ :

أى فأما من أعطى كتاب أعماله بيمينه فهذه علامة السعادة . (٥)

﴿ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾:

أى فسوف يحاسب حساباً سهلاً يسيراً هيناً ، فلا يناقش ولا يدقق معه في الحساب. فيجازى على حسناته ويتجاوز عن سيئاته. (٦)

-{عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ**» قَالَتْ: قُلْتُ : أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [سورة الانشقاق: ٨] قَالَ: «**ذَلِكِ العَرْضُ**»}(٧)

﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴾ :

الانقلاب: الرجوع إلى المكان الذى جىء منه أى يرجع إلى الأهل والعشيرة من زوجة وأبناء وقرابة(٨) وهو

(١) لسان العرب ٥٦٩/٢ . (٢) عمدة التفسير –ابن كثير٦٥٨/٣. (٣) صفوة التفاسير –الصابونى٥٣٧/٣ .

(٤) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٦٦/٦ (٥) ، (٦) صفوة التفاسير –الصابونى٥٣٧/٣ . (٧) (٦٥٣٦) صحيح البخارى-كِتَابُ الرِّقَاقِ - بَابٌ مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ ، (٣٣٣٧) سنن الترمذى- أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ – بَاب وَمِنْ سُورَةِ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ. (٨) التحرير والتنوير –ابن عاشور ٢٢٣/٣٠.

تمثيل لحال المحاسب حسابا يسيرا فى المسرة والفوز والنجاة بعد العمل الصالح فى الدنيا بحال المسافر لتجارة حين يرجع إلى أهله بالمال [١] رابحاً أى يرجع إلى أهله فى الجنة مبتهجاً مسروراً بما أعطاه الله من الفضل والكرامة . [٢]

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴾ :

فتغل يده اليمنى إلى عنقه ، وتجعل يده اليسرى وراء ظهره ، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره ، [٣] فهذا هو جزاء من قضى حياته كادحاً فى المعصية والإثم والظلم ، فهذا هو الجزاء الذى ينتظره .

﴿ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴾ :

أى ينادى بالويل والهلاك ، إذا قرأ كتابه يقول : يا ويلاه ، يا ثبوراه [٤]، فهو ينادى بالويل والهلاك لينقذه مما هو مقدم عليه من الشقاء ، وحين يدعو الإنسان الهلاك لينجو به يكون فى الموقف الذى ليس بعده ما يتقيه ،حتى ليصبح الهلاك أقصى أمانيه ، [٥]ولكن هيهات... هيهات... ! من ينقذه ؟ .

﴿ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ :

أى يدخل ناراً مستعرة ، يقاسى عذابها وحرها .

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴾ :

لقد عاش فى دنياه غافلاً عما وراء اللحظة الحاضرة ، لاهياً عما ينتظره فى الدار الآخرة ، لا يحسب لها حساباً ولا يقدم لها زاداً . [٦]

لقد وصف الله أهل الجنة بالمخافة والحزن والبكاء فى الدنيا ، فجزاهم به النعيم والسرور فى الآخرة ، ووصف أهل النار بالسرور فى الدنيا والضحك فيها ، فجزاهم به الحزن الطويل . [٧]

﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ :

لن يحور: لن يبعث [٨] ، أى أنه ظن أنه لن يرجع إلى ربه ، ولن يحييه الله بعد موته للحساب والجزاء .

والحقيقة أن ربه كان مطلعاً على أمره ، محيطاً بحقيقته ، عالماً بحركاته وخطواته ، عارفاً أنه صائر إليه وأنه مجازيه بما كان منه، وكذلك كان حين انتهى به المطاف إلى هذا المقدور فى علم الله ، والذى لم يكن بد أن يكون. [٩]

﴿بَلَىٰٓ ۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ :

أى بلى سيعيده الله بعد موته ، ويجازيه على أعماله كلها خيرها وشرها ، فإنه تعالى مطلع على العباد لا تخفى عليه خافية من شئونهم . وفيه إشارة إلى حكمة البعث للجزاء لأن رب الناس عليم بأحوالهم فمنهم المصلح، ومنهم المفسد ، والكل متفاوتون فى ذلك ، فليس من الحكمة أن يذهب المفسد بفساده وما ألحَقَهُ

(١) التحرير والتنوير –ابن عاشور ٢٢٤/٣٠. (٢) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٣٨/٣ . (٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٥٢/٢.
(٤) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج ٣٠٣/٥ . (٥) فى ظلال القرآن –سيدقطب ٣٨٦٧/٦. (٦) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٦٨/٦.
(٧) تفسير القرطبى ٤٧١/١٩ . (٨) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٣٠٣/٥ . (٩) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٦٨/٦.

بالموجودات من مضار وأن يهمل صلاح المصلح ، فجَعَل الله الحياة الأبدية وجعلها للجزاء على ما قدّم صاحبها في حياته الأولى .[١]

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾ [سورة الانشقاق : ١٦-١٩]

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴾ :

الشفق :هو حمرة الأفق بعد غروب الشمس [٢] ، **ولكن ... لماذا يقسم الله بالشفق ؟؟**

إنه يدل على وقت غروب الشمس ، وهو مثل حالة الموت فهو يشبه انتهاء الدنيا ؛ [٣] وحيث يحس القلب بمعنى الوداع بما فيه من أسى صامت وشجى عميق لضوء الشمس الجميل ، ويحس برهبة الليل القادم ووحشة الظلام ، وفى النهاية خشوع وخوف خفي وسكون. [٤]

﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ :

أى الليل وما جمع وضم [٥] إليه فى ظلمته من الناس والدواب والهوام ، قال المفسرون : " الليل يسكن فيه كل الخلق ، ويجمع ما كان منتشر فى النهار من الخلق والدواب ، فكل يأوى إلى مكانه وسربه " . [٦]

﴿ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾ :

أى وأقسم بالقمر إذا تكامل ضوءه ونوره وصار بدراً ساطعاً مضيئاً ، [٧] إنه لمشهد هادئ رائع ساحر للقمر فى ليالى اكتماله وهو يفيض على الأرض جنيهات فضية ، فيفيض على الأرض بنوره الحالم الموحى بالصمت .

﴿ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴾ :

لتركبن أيها الناس حالاً بعد حال حتى تصيروا إلى الله من إحياء وإقامة وبعث . [٨]

-{عن مجاهد قال :قال ابن عباس:﴿ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴾حالا بعد حال قال هذا نبيكم ﷺ}.[٩]

﴿ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ۩ ٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٢٥ ﴾ [سورة الانشقاق : ٢٠-٢٥]

(١) التحرير والتنوير– -ابن عاشور ٢٢٥/٣٠. (٢) لسان العرب ١٨٠/١٠. (٣) التحرير والتنوير– ابن عاشور ٣٠ /٢٢٦.
(٤) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٦٨/٦. (٥) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج ٣٠٥/٥. (٦)،(٧) صفوة التفاسير–الصابونى ٥٣٨/٣.
(٨) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٣٠٥/٥ . (٩) (٤٩٤٠)صحيح البخارى –كتاب تفسير القرآن –باب لتركبن طبق عن طبق.

﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ :

استفهام يقصد به التوبيخ والإنكار ، أى فمالهم لايؤمنون بالله ولايصدقون بالبعث بعد الموت ، بعد قيام البراهين على وقوعه.[١]

﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ :

السجود بمعنى الخضوع والخشوع ، أى إذا قرأ عليهم القرآن لا يخضعون لله ولمعانى القرآن وحجته .[٢]

وفى مجئ الفعل بصيغة المضارع دلالة على حدوث التكذيب منهم وتجدده ، أى هم مستمرون على التكذيب عناداً وليس اعتقاداً .[٣]

فالله يخاطبهم بلغة الفطرة ويفتح قلوبهم للإيمان ، إن هذا القرآن فيه ما يمس شغاف القلوب ويتحرك به الوجدان ويستسلم ويخضع له كل ذرة وكيان إنسان ، فإن له حلاوة تمس القلب ما بعدها حلاوة .[٤]

آه لو تذوقوه ! فهو يمس الوجدان وتطرب له الآذان ، وتشعر أنك فى ملكوت آخر غير هذا الملكوت ، إنه كلام الله ! وما أدراك ما كلام الله..!! فكيف إذا سمعوا آيات القرآن لم يخضعوا ويسجدوا للرحمن ؟! .

﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴾ :

إن طبيعة هؤلاء الكفار التكذيب والعناد والجحود ، ولذلك لا يخضعون عند تلاوة القرآن[٥] فهم فى آذانهم وقر وعلى قلوبهم غشاوة ، فكيف يبصرون بحلاوة التلاوة .

﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ :

أى بما يضمرون فى قلوبهم من العناد ، مع علمهم بأن ما جاء به القرآن حق ، ولكنهم يظهرون التكذيب به ليكون صدودهم عنه مقبولا عند أتباعهم .[٦]

﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ :

فبشرهم على كفرهم وضلالهم بعذاب مؤلم موجع هنا تهكم على الكفار ؛ حيث وضع البشارة فى وصف العذاب الأليم ،[٧] فالبشارة تكون بشيء مفرح ، ولكن هنا البشارة بالعذاب ، وأى عذاب إنه عذاب أليم ليزيدهم غماً على غم .[٨]

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ :

أى الذين صدقوا الله ورسوله ، وجمعوا بين الإيمان والعمل الصالح .

﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ :

أى لهم ثواب فى الآخرة غير منقوص ولامقطوع ، بل هو دائم مستمر لا تشوبه شائبة كدر .[٩]

---

(١) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٣٨/٣. (٢) التحرير والتنوير – ابن عاشور ٢٣٢/٣٠.
(٣) التحرير والتنوير – ابن عاشور ٢٣٣/٣٠ .
(٤) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٦٩/٦. (٥) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٣٩/٣.
(٦) التحرير والتنوير – ابن عاشور ٢٣٤/٣٠.
(٧) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٥٤/٢. (٨) خواطر الشعراوى ٢٠٥/١.
(٩) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٣/٣

﴿ سُورَةُ البُرُوجِ ﴾

■ **ما المحور الذى تدور حوله هذه السورة؟**

هو حادثة "أصحاب الأخدود" ، وهى قصة التضحية بالنفس فى سبيل العقيدة والإيمان ، وتضرب المثل للذين فتنوا المسلمين بمكة ، وتتلخص قصة "أصحاب الأخدود" فى أن فئة من المؤمنين السابقين على الإسلام ، قيل أنهم نصارى ، كان ملكهم ملك ظالم كافر وآمن بعض أهل البلدة فأمر بالأخدود ، وهو عبارة عن شق مستطيل فى الأرض ، وأضرم بها النيران ، وأمر جنوده أن يأتوا بكل مؤمن ومؤمنة ويعرضوه على النار ممن لم يرجع عن دينه فليلقوه فيها ، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها ، فتقاعست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : يا أماه ، اصبرى إنك على الحق .[1]

■ **ما ترشد إليه السورة :**

١. ابتدأت السورة بالقسم بالسماءذات النجوم الهائلة ، ومدارتها الضخمة التى تدور فيها تلك الأفلاك ، وباليوم العظيم المشهود ، وهو يوم القيامة ، وبالرسل والخلائق على هلاك ودمار المجرمين الذين طرحوا المؤمنين فى النار ليفتنوهم عن دينهم .

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾

[سورة البروج:١-٧]

٢. الوعيد والإنذار لأولئك الفجار على فعلتهم الشنيعة القبيحة .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾

[سورة البروج: ١٠]

٣. قدرة الله على الانتقام من أعدائه الذين فتنوا عباده وأولياءه.

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾ [سورة البروج : ١٢-١٥]

٤. ختمت السورة بقصة الطاغية الجبار فرعون ، وما أصابه وقومه من الهلاك والدمار بسبب البغى والطغيان .[2]

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢ ﴾ [سورة البروج : ١٧-٢٢]

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٢/٥٥٧.

(٢) صفوة التفاسير- الصابونى٣/ ٥٤٠.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ ﴾ [سورة البروج : ١-٩]

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ :

البروج: ذات الكواكب ، ويقال : ذات القصور فى السماء. (١)

افتتاح السورة بالقسم تشويق إلى ما بعده ، وفيها من الإبهام ما يوجه أنفس السامعين إلى تطلب بيانه ، والقسم بالسماء ووصفها بذات البروج ليلفت أنظار المتدبر إلى ما فى هذه المخلوقات وهذه الأحوال من دلالة على عظيم القدرة وسعة العلم الإلهى ، إذ خلقها على تلك المقادير المضبوطة لينتفع بها الناس .

البروج ، إما أن تكون :

١. أجرام النجوم الهائلة ، وكأنها بروج السماء الضخمة .
٢. أو المنازل التى تنتقل فيها تلك الأجرام أثناء دورانها ، وهى مجالاتها التى لا تتعداها فى جريانها فى السماء ، والإشارة إليها يوحى بالضخامة . (٢)

من الملاحظ أن القسم يأتى فى القرآن لتنبيهنا إلى الأمر المقسم به ، فيا ترى ما طبيعة تلك البروج التى فى السماء ، والتى أقسم الله تعالى بها ، وسمى السورة باسمها... ؟؟ وما أهميتها...؟؟ .

"إن حقيقة التجمعات النجميه (البروج) أنها مساحات محدودة من السماء الدنيا ، يحوى كل منها وفى كل فترة زمنية محدودة أعداد من النجوم ، التى تبدو لنا متقاربة بعضها مع بعض على الرغم من المسافات الشاسعة التي تفصلها نظرا لبعدها الشاسع عنا ؛ لوجودها في اتجاهات محدودة بالنسبة لنا ، وهذه النجوم تبدو لنا من الأرض فى الاتجاه نفسه ، وقد تكون في مجموعات نجمية متفرقة تفرقاً بعيداً ، وليست مجموعة واحدة .

أهمية البروج :

١. علامات يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر .
٢. زينة للسماء .
٣. رجوم للشياطين .

ولنتناول كل واحدة بالتفصيل:

(١) لسان العرب ٢/٢١٢ و معانى القرآن وإعرابه– الزجاج ٥/٣٠٧.
(٢) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٦/٣٨٧٣ .

١. علامات يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر:

يمكن بواسطتها تحديد الاتجاهات الأربعة ، كما هو الحال مع النجم القطبى ، كما يساعد على التوجه الصحيح فى ظلمات البر والبحر ، وتحديد القبلة ، وتحديد غيرها من المواقع والاتجاهات .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [سورة الأنعام : ٩٧]

٢. زينة السماء :

البروج والنجوم هى من أهم الوسائل فى إنارة ظلمة الليل ، فالنجوم بأضوائها الذاتيه ، والكواكب والأقمار بانعكاس أضواء النجوم عليها نور ، ولولا ذلك لأصبح ليل الأرض حالك السواد قابضاً للنفس مخيفا .

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ [سورة الملك : ٥]

٣. رجوم للشياطين :

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ [سورة الجن : ٨]

ما الشهب ؟

هى أجسام صلبة تدخل الغلاف الغازى للأرض بسرعات كبيرة ، تصل إلى أربعين كيلو متراً فى الثانية ، فتحتك بجزيئات الغلاف الغازى احتكاكاً شديداً يؤدى إلى اشتعالها واحتراقها،إما احتراقاً كاملاً أوجزئياً ؛ بحيث يبقى عند احتراقها فضلات صلبة تعرف باسم النيازك ، التى ترتطم بالأرض بشدة بالغة ، فالبروج بنجومها هى جند مسخرة للإمساك بأطراف السماء الدنيا ، على الرغم من المسافات الشاسعة التى تفصلها فهى مرتبطة مع بعضها بالاتزان الدقيق بين قوى الجاذبية والقوى الطاردة المركزية ، على الرغم من تحركها بسرعات مذهلة فى صفحة السماء وفى حركات عديدة معقدة تشهد لله الخالق العظيم بطلاقة القدرة وبديع الصنعة . (١)

﴿ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴾ :

يوم القيامة (٢) هو يوم الفصل فى أحداث الدنيا ، وتصفية حساب الأرض وما كان فيها ، وهو الموعود الذى وعد الله بمجيئه ووعد بالحساب والجزاء فيه ، وهو اليوم العظيم الذى تتطلع إليه الخلائق ، وتترقبه لترى كيف تصير الأمور ، وفيه إشارة إلى وعيد أصحاب القصة المقسم على مضمونها ، ووعيد كفار قريش المعرض بهم . (٣)

﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ :

أى وأقسم بمحمد والأنبياء الذين يشهدون على أممهم يوم القيامة ، وبجميع الأمم والخلائق الذين يجتمعون فى أرض المحشر للحساب كقوله تعالى:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [سورة النساء : ٤١]

(١)تفسير الآيات الكونية -زغلول النجار ٣٨٧/٤ . (٢)معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٣٠٧/٥ . (٣) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٦ /٣٨٧٣.

وقيل الشاهد : هذه الأمة ، والمشهود : سائر الأمم ، ودليله :

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾

[سورة البقرة :١٤٣]

لقد اختلف المفسرون فى تفسير الشاهد والمشهود اختلافاً كبيراً ، حتى ذكر بعضهم فيه إلى ستة عشر قولاً ، فقيل الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة ، وقيل الشاهد هو جوارح الإنسان والمشهود عليه هو ابن آدم .[١]قال الصاوى : " والأحسن أن يراد ماهو أعم ، ولذلك نكرهم ليعم كل شاهد ومشهود ".[٢]

﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾ :

قال ابن عباس : كل شىء فى القرآن ﴿ قُتِلَ ﴾ فهو لعن .[٣] الجملة دعائية ، أى قاتل الله ، ولعن أصحاب الأخدود ، الذين شقوا الأرض طولاً وجعلوها أخاديد ، وأضرموا فيها النار ليحرقوا بها المؤمنين .

﴿قُتِلَ﴾ إعلان النقمة على أصحاب الأخدود ، وهى كلمة تدل على غضب الله على الفعلة وفاعليها،كما تدل على شناعة الذنب ونقمته ووعيده بالقتل لفعلته .[٤]

﴿ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴾ :

أى النار العظيمة المتأججة التى أشعلها الكفار فى تلك الأخاديد لإحراق المؤمنين:﴿ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴾ الوقود ما توقد به النار وهذا وصف لها بغاية العظم ، وارتفاع اللهب ، وكثرة ما فيها من حطب ، والقصد وصف النار بالشدة والعظم.[٥]

﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ :

هنا ترسم لنا الآيات مشاهد التعذيب والتنكيل بالمؤمنين الصابرين على هذا البلاء والقضاء ، الراضين بحكم الله طمعاً فى مغفرته ، يبدأ هذا المشهد المفجع بتصوير شدة النار وتلذذهم وهم يلقون بالمؤمنين ، وتشفيهم فيهم وهم قعود على النار قريبين من عمليات التعذيب البشعة ، وهم يشاهدون أطوار التعذيب وفعل النار فى الأجسام فى لذة وسعادة.

"ويلمح الله إلى عظمة العقيدة التى تعالت على فتنة الناس مع شدتها وانتصرت على النار وعلى الحياة ذاتها، فهذه النفوس هى أقوي من النار بل أقوى من الحياة ، وفى الآيات تخويف لكفار مكة فقد كانوا يعذبون من أسلم من قومهم ليرجعوا عن الإسلام ، فذكر الله تعالى قصة أصحاب الأخدود وعيداً للكفار وتسلية للمؤمنين المعذبين .[٦]

﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ :

ما أنكروا عليهم ذنبا إلا إيمانهم .[٧] لم يكن للمؤمنين من ذنب عندهم ولا ثأر ، إنما جريمتهم الوحيدة أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد الغالب الذى لايضام من لاذَ به ، الحميد فى جميع أفعاله وأقواله ،[٨] وإنما ذكر الأوصاف التى يستحق بها تعالى أن يؤمن به ،وهى كونه تعالى (عزيزاً):أى غالباً قادراً يخشى عقابه (حميداً)

(١) صفوة التفاسير– الصابونى ٥٤١/٣.
(٢) حاشية الصاوى ٣٠٦/٤.
(٣) تفسير القرطبى ٢٨٤/١٩.
(٤)فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٧٣/٦ .
(٥)التسهيل لعلوم التنزيل ٥٥٧/٢.
(٦)في ظلال القرآن– سيد قطب ٣٨٧٢/٦ -٣٨٧٣بتصرف.
(٧) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج٥/ ٣٠٨ .
(٨) عمدة التفاسير–ابن كثير ٣/ ٦٦٣.

أى منعماً يجب له الحمد على نعمه .(١)

﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ :

فهو وحده الذى يملك السموات والأرض ، وهو الشهيد على ما كان من أمر المؤمنين وأصحاب الأخدود ، " وهى لمسة تطمئن قلوب المؤمنين ففيها وعد للمؤمنين ووعيد للمجرمين .(٢)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة البروج : ١٠-١١]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ ﴾ :

والفَتْن: المعاملة بالشدة والإيقاع في العناء الذي لا يجد منه مخلصاً إلا بعناء أو ضرّ أخف أو حيلة.(٣)

أى عذبوا أو أحرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار ليفتنوهم عن دينهم ثم لم يندموا على ما فعلوه ويندموا على كفرهم وطغيانهم .(٤)

فى الواقع هناك سؤال قد يلح علينا ، وهو فيم هذا العذاب الذى لقيته القله المؤمنة وهم على الحق ؟؟ ولماذا لم يعصمهم الله عز وجل وهم جنوده ويجاهدون فى سبيله ؟؟ .

إنها سنة الله فى الأرض أن أول صفة للإنسان أنه مكلف ، أى مطالب من قبل الله - عز وجل- بحمل ما فيه من كلفة ومشقة وأمر الدعوة والجهاد لإعلاء كلمته ، ومن أهم مستلزمات العبودية لله تعالى أنه قد باع ماله وحياته لله يوم أن أعلن إيمانه لله ، وأن جميع أهوائه تابعة ومنقادة لله ، لذلك كان لابد للمؤمنين التمسك بدين الله وسلوك السبل الشاقة وبذل المهج والمال من أجل تحقيق ذلك ، مهما بلغت المصاعب والمشاق ،(٥)كذلك ليظهر الصادق من الكاذب ، فالظلم هو جندى من جنود الله ؛ حيث يختبر الله الناس ويمحصهم ويظهر معدن كل شخص يقول الله تعالى فى كتابه العزيز:

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [سورة العنكبوت : ٢-٣]

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران:١٤٢]

لذلك فلا ينبغى توهم القلة المؤمنة اليأس إذا ما عانوا شيئا من المشقة والمحنة، وليعلموا أن النصر قريب ، فتلك هى سنة الله فى جميع عباده ، فالحق هو أنك تجد فى العذاب والألم سيراً فى الطريق إلى الله ودنواً من النصر .

(١) البحر المحيط ٤٥١/٨. (٢) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٧٤/٦ . (٣) التحرير والتنوير –ابن عاشور ٢٤٦/٣٠.
(٤) صفوة التفاسير– الصابونى ٥٤٢/٣. (٥) فقه السيرة النبوية –البوطى ٧٨– ٧٩ .

﴿ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾ :

التعبير بلفظ الحريق يدل على عذاب جهنم ؛ ولكن يقابل الحريق فى الأخدود ، فالجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحدا ، فالله هو العدل المطلق ، ولكن هيهات أين حريق الدنيا من حريق الآخرة في شدته ومدته ! فحريق الدنيا نار يوقدها البشر ، وحريق الآخرة خلود فى النار ، ومع حريق الدنيا رضى الله عن المؤمنين ودخولهم الجنة ، ومع حريق الآخرة غضب الله على الكافرين ،[١] فهل يستطيع أحد ممن يعذبون العباد فى الدنيا أن يجعلوا لمعذبيهم جلوداً غير جلودهم فكلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها ليذوقوا العذاب ؟ فهل يستطيع أحد ممن يعذبون الناس فى الدنيا أن يعذب أحد بها عذاباً شديداً على مدار الحياة ؟ ففى الآخرة يعذب الكافر ولا يموت . وهل يستطيع أحد أن يوثق وثاق زبانيه العذاب ؟! .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ :

إن الذين جمعوا بين الإيمان الصادق والعمل الصالح لهم بساتين وحدائق زاهرة ، تجرى من تحت قصورها أنهار الجنة،[٢] وذلك ليستقر هذا المعنى فى قلوب القلة المؤمنة فى مكة ، وتصبر على ما تعانيه من العذاب ،

ولكن... لماذا دائما فى القرآن يقرن بين الإيمان والعمل الصالح ؟

لأن الإيمان هو عمل القلب أما العمل الصالح فهو عمل الجوارح ، فالقلب حينما يمتلىء بالإيمان يأمر الجوارح أن تطيعه ، فلا ينظر بعينه إلى محارم غيره ، ولا يسمع بأذنه اللغو ، ولايتكلم بالفاحش ولا بالكذب والبهتان ، واليد لا تسرق ، والقدم لا تمشى إلى محرم ، وبهذا يستقر الأمر فى نصابه .

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ :

الفوز والنجاح والنجاة من عذاب الآخرة ، فكيف بجنات تجرى من تحتها الأنهار؟ .

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة البروج : ١٢-١٦]

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ :

البطش : التناول بشدة عند الصَّوْلة ، والأخذ الشديد فى كل شىء بطش.[٣]

أى أن انتقام الله وأخذه الجبابرة والظلمة وأخذه إياهم بالعذاب والانتقام ،[٤] وإظهار حقيقة البطش وشدته هو الذى يناسب ما مر فى الحادث من مظهر البطش الصغير الهزيل ، الذى يحسبه أصحابه ويحسبه الناس فى الأرض كبيراً شديداً ، فالبطش الشديد هو بطش الجبار الذى له ملك السموات والأرض ، لا بطش الضعاف المهازيل الذين يتسلطون على رقعة من الأرض محدودة .[٥]

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ :

أى هو الخالق القادر الذى يبدأ الخلق من العدم ثم يعيدهم أحياء بعد الموت .[٦]

(١) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٧٤/٦.
(٢) صفوة التفاسير – الصابونى ٥٤٢/٣.
(٣) لسان العرب ٢٦٧/٦.
(٤) صفوة التفاسير الصابونى ٥٤٢/٣.
(٥) فى ظلال القرآن- سيد قطب ٣٨٧٥/٦ .
(٦) صفوة التفاسير - الصابونى ٥٤٢/٣.

﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ :

الودود : المحب لأولياءه.[١] المغفرة تتصل بقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ فهى من الرحمة والفضل الفائض بلا حدود ولا قيود ، إن باب التوبة لباب عظيم لا يغلق فى وجه عائد تائب ولو عظم الذنب وكبرت المعصية ، أما الود فيتصل بالمؤمنين الذين اختاروا ربهم على كل شيء، روى الضحاك عن ابن عباس قال:عن معنى الودود :أى المحب لهم يود أولياءه كما يود أحدكم أخاه بالبشرى والمحبة.[٢]

فماذا تكون الحياة التى ضحوا بها وهى ذاهبه ..!! وماذا يكون العذاب الذى احتملوه وهو موقوت..؟؟ ماذا يكون هذا فى لحظة رضى وود من الله الخالق العظيم...؟؟ فلتهن الحياة وليهن الألم والعذاب ، ويهون كل غال عزيز فى سبيل لمحة رضى يجود بها المولى الودود .[٣]

﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾ :

أى صاحب العرش العظيم ، ولكن لماذا أضاف العرش إلى الله وخصه بالذكر ؟ لأن العرش أعظم المخلوقات [٤]وأوسع من السموات السبع ، وخلقه بهذا الوصف يدل على عظمة خالقه ﴿ ٱلْمَجِيدُ ﴾ هو تعالى المجيد العالى على جميع الخلائق المتصف بجميع صفات الجلال والكمال .[٥]

﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ :

يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه[٦] أنت تريد وأنا أريد والله يفعل مايريد ، فإذا سلمت لله فيما يريد كفاك ما تريد ، وإن لم تسلم له فيما يريد أتعبك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما يريد الله .

" فهو مطلق الإرادة يخلق ما يشاء ويفعل ما يريده ويختاره ، فالله يريد مرة أن ينتصر المؤمنون لحكمة يريدها ، ويريد مرة أخرى أن يأخذ الجبارين فى الأرض ، وقد يمهلهم إلى اليوم الموعود لحكمة تتحقق هناء وحكمة تتحقق هناك فى قدره المرسوم ، وهاك نموذجاً من فعله لما يريد ، وهى قصة فرعون وسيدنا موسى.[٧]

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[سورة البروج : ١٧-٢٢]

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ :

استفهام للتشويق ، ويسميهم الجنود إشارة إلى قوتهم واستعدادهم ، هل أتاك يا محمد حديثهم وكيف فعل ربك بهم ما يريد ، فأما حديث "فرعون" فقد أهلكه الله وجنده ونجى بنى إسرائيل ومكن لهم فى الأرض لتحقيق قدرته وإرادته فيهم ، أما حديث "ثمود" فقد أهلكهم الله عن بكرة أبيهم ونجى صالح والقلة المؤمنة معه .

(١) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٣٠٧/٥. (٢) تفسير القرطبي ٢٩٦/١٩ . (٣) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٧٥/٦.
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٥٨/٢ . (٥)،(٦) صفوة التفاسير– الصابونى ٥٤٣/٣. (٧) فى ظلال القرآن – سيد قطب ٣٨٧٥/٦.

وهما نموذجان لفعل الإرادة والمشيئة ، وصورتان من صور الدعوة إلى الله إلى جانب قصة أصحاب الأخدود ، وكلها نماذج يعرضها القرآن للقلة المؤمنة فى مكة ولكل جيل من الأجيال، [١] لتحمل كل مصاعب الدنيا ومشاقها فى مقابل الخلود فى جنة الخلد ، فالدنيا هى دار امتحان وابتلاء ، والفوز بالجائزة الكبرى يكون فى الآخرة .

﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكۡذِيبٍ ﴾ :

أى لم يعتبر كفار قريش بما حل بأولئك الكفرة المكذبين ؛ بل هم مستمرون فى التكذيب فهم أشد منهم كفرًا وطغياناً.

﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴾ :

محيط : لايعجزه منهم أحد فقدرته مشتملة عليهم. [٢]

﴿مُّحِيطُۢ ﴾ وفيه وجوه أحدها : أن المراد وصف اقتداره عليهم وأنهم في قبضته وحوزته ، كالمحاط إذا أحيط به من ورائه فسد عليه مسلكه ، فلا يجد مهرباً يقول تعالى: فهو كذا في قبضتي ، وأنا قادر على إهلاكهم ومعاجلتهم بالعذاب على تكذيبهم إياك فلا تجزع من تكذيبهم إياك، فليسوا يفوتونني إذا أردت الانتقام منهم .

وثانيها: أن يكون المراد من هذه الإحاطة قرب هلاكهم .

وثالثها: أن يكون المراد والله محيط بأعمالهم، أي عالم بها ، فهو مرصد بعقابهم عليها. [٣]

فالله تعالى قادر عليهم لا يفوتونه ولا يعجزونه ؛ لأنهم فى قبضته فى كل حين وزمان ،[٤] فالله يمهل ولا يهمل قد يترك الظالم يعيث فساداً فى الأرض ، ولكنه يستدرجه ، فإذا أخذه أخذه أخذ عزيز مقتدر .

﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾ :

المجيد هو الرفيع الكريم العريق ، وهل أمجد وأعرق من قول الله العظيم ،"ومجد القرآن لأنه أعظم الكتب السماوية وأكثرها معاني وهدياً ووعظاً ، ويزيد عليها ببلاغته وفصاحته وإعجازه البشر عن معارضته" . [٥]

﴿ فِى لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴾ :

وهو فى لوح محفوظ ، لا ندرك نحن طبيعته لأنه من أمر الغيب الذى تفرد الله بعلمه ، محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل .

" فالقرآن الكريم وجد فى اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الإنسان ، وعندما جاء وقت مباشرته لمهمته فى الكون نزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا دفعة واحدة ، ثم نزله الله سبحانه وتعالى بحسب اقتضاء الأحداث والوقائع فى ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ. "[٦]

---

(١) فى ظلال القرآن – سيد قطب ٣٨٧٦/٦.
(٢) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٣٠٩/٥ .
(٣) التفسير الكبير -الرازى ١٢٥/٣١.
(٤) صفوة التفاسير– الصابونى ٥٤٣/٣.
(٥) التحرير والتنوير –ابن عاشور ٢٥٤/٣٠.
(٦) خواطر الشعراوى ١٩٤/١.

﴿ سُورَةُ الطَّارِقِ ﴾

- **ما المحور الذى تدور حوله هذه السورة ؟؟**

تدور حول الإيمان بالبعث والنشور ، فإن الذى خلق الإنسان من عدم قادر على إعادته بعد موته .

- **ما ترشد إليه السورة :**

١. ابتدأت السورة بالقسم بالسماء ذات الكواكب الساطعة ، التى تطلع ليلاً لتضئ للناس سبلهم ليهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ، على أن كل إنسان قد وكل به من يحرسه ويتعهد أمره من الملائكة الأبرار .

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴾ [سورة الطارق : ١-٤]

٢. ساقت الأدلة والبراهين على قدرة رب العالمين على إعادة الإنسان بعد فنائه .

﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ ﴾ [سورة الطارق : ٥-٨]

٣. أخبرت عن كشف الأسرار وهتك الأستار فى الآخرة ؛ حيث لا معين للإنسان ولا نصير.

﴿ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠ ﴾ [سورة الطارق : ٩-١٠]

٤. ختمت السورة بالحديث عن القرآن العظيم معجزة محمد -ﷺ- الخالدة ، وحجته البالغة إلى الناس أجمعين ، وبينت صدق هذا القرآن ، وأوعدت الكفرة المجرمين بالعذاب الأليم .[١]

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴾[سورة الطارق : ١١-١٧]

*****

(١) صفوة التفاسير – الصابونى ٣/٥٤٤.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ ﴾ [سورة الطارق : ١-٤]

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴾ :

يقسم الله بالسماء والكواكب النيرة ، التى تظهر ليلاً وتختفى نهاراً ، قال قتادة وغيره : إنما سمى النجم طارقاً لأنه إنما يظهر بالليل ويختفى بالنهار [١] ، وكل ما يجئ ليلاً فهو طارق. [٢]

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴾ :

الطارق: اسم جنس سمى بذلك لأنه يطرق ليلا ، والعرب تسمى كل قاصد فى الليل طارق ، وأصل الطرق الدّق ، ومنه سميت المطرقة فسمى قاصد الليل طارقا لاحتياجه فى الوصول إلى الدق. [٣]

استفهام للتفخيم والتعظيم ، أى وما الذى أعلمك يا محمد ما حقيقة هذا النجم.. ؟

﴿ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾ :

قال ابن عباس :أى النجم المضىء ،[٤] وقال ابن كثير: الذى يثقب الظلام بضيائه . [٥]قال الصاوى : " قد أكثر الله تعالى فى كتابه المجيد من ذكر الشمس والقمر والنجوم لأن أحوالها فى أشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة ، وهى إنما تدل على انفراد خالقها بالكمالات لأن الصنعة تدل على الصانع" . [٦]

﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ :

حافظ من الملائكة يراقبها ويحصى أعمالها،[٧]فالناس غير متروكين سدى يفعلون ما يشاءون بلا رقيب، فهناك الرقيب عليها حين تنفرد عن كل رقيب وتتخفى عن كل عين ، الذى يشق كل غطاء وينفد إلى كل مستور ، كما يطرق النجم الثاقب حجاب الليل الساتر . [٨]

ثم أمر تعالى بالنظر والتفكر فى خلق الإنسان تنبيها إلى إمكانية البعث والحشر .

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ ﴾ [سورة الطارق : ٥-٨]

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ :

فلينظر هذا الإنسان المتكبر أصل خلقه، فلقد خلق من ماء مهين، فعلام يتكبر هذا الإنسان ويتعالى ؟ فمن ماذا خلق ؟

(١) عمدة التفسير – ابن كثير ٦٦٩/٣.
(٢) عمدة الحفاظ – السمين الحلبى ٤٠٠/٢.
(٣) تفسيرالقرطبى ٢٠١/٢٠.
(٤) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج ٣١١/٥.
(٥) عمدة التفسير –ابن كثير ٦٩٩/٣.
(٦)حاشية الصاوى ٣٠٩/٤.
(٧) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٥٩/٢.
(٨) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٧٨/٦.

ولكن ...**ما قصة الخلق...** ؟ **ومِمَّ يخلق الإنسان** ...؟ سؤال يلح علينا جميعا فهيا بنا عزيزى القارئ نبحر سويا لنعلم ماقصة الخلق و مِمَّ خلقنا ؟ **وكيف نعود إلى الأرض مرة ثانية..** ؟ و مامعنى قوله تعالى:

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [سورة طه :٥٥]

فهيا بنا لنتعرف على الإجابة معا ... كانت البداية كما أخبرنا حبيبنا ونبينا ﷺ :

- {حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " **إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ: جَاءَ مِنْهُمُ الْأَحْمَرُ، وَالْأَبْيَضُ، وَالْأَسْوَدُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ، وَالْحَزْنُ، وَالْخَبِيثُ، وَالطَّيِّبُ**}[(١)]

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴾[سورة نوح: ١٧-١٨]

ولما كان الإنسان قد خلق من تراب الأرض، ولما كان يحيا على نبات الأرض المعتمد فى غذائه على عناصر الأرض ولذلك فهناك قدر من التشابه بين التركيب الكيمائى لكل من جسم الإنسان والتربة الزراعية مع غلبة الماء على جسم الإنسان ، فبعد وفاة الإنسان ودفن جسده فى تراب الأرض يبدأ هذا الجسد فى التحلل إلى تراب الأرض الذى ارتوى بالماء فأصبح طيناً ، وأذاب الماء من هذا الطين مافيه من عناصر الأرض ومركباتها ، وبتبخر هذه المحاليل ترسبت بعض العناصر والمركبات فأصبح طينا لازبا أى لاصقا بعضه ببعض ، وبجفاف هذا الطين اللازب أصبح صلصالا كالفخار، ثم نفخ الله تعالى فيه من روحه فأصبح إنساناً هو آدم أبو البشر ، ومن آدم خلقت زوجه حواء ، ومن نسلهم تواجد البشر .

فإذا مات ابن آدم غادرت روحه جسده فإن هذا الجسد يبدأ فى اليبوس والتخشب حتى يصير كالتمثال الحجرى أو الصلصال كالفخار، وبعد دفنه يبدأ فى التحلل التدريجى الذى تقوم به البكتريات والفيروسات والفطريات والطحالب التى تعايشت مع الجسد فى حياته ، والتى توجد فى جو وتربة القبر الذى يدفن فيه فيتغير لونه وتنتن رائحته أى تفسد حتى يصير صلصالا من حمأ مسنون ، ثم يتحول إلى طين لازب بفقد جزء من محتواه المائى، وبفقد كل مائه يتحول إلى تراب يغيب فى تراب الأرض فيما عدا فضلة واحدة سماها رسول الله - ﷺ - باسم عجب الذنب ، ووصفها بأنها عظمة فى حجم حبة الخردل توجد فى نهاية العصص، وأنها لاتبلى أبداً ، وأن الإنسان يبعث منها فى يوم القيامة بعد إنزال مطر خاص كما تنبت البقلة من بذرتها ، وقد أيدت الدراسات المخبرية صدق هذا الوصف بأن عجب الذنب لا يبلى أبداً ، وبذلك ثبتت صحة الإشارة القرآنية الكريمة التى يقول فيها ربنا تبارك وتعالى :

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [سورة طه: ٥٥]

فكل حى يستمد جسده من تراب الأرض ، ويعود بعد موته إلى تراب الأرض حيث يبلى الجسد كله إلا

(١)(٤٦٩٣)سنن أبي داود–كِتَاب السُّنَّةِ–بَابٌ فِي الْقَدَرِ،(٢٩٥٥)حسن صحيح سنن الترمذي أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ –بَابٌ وَمِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

عظمة واحدة يعاد بعثه منها فى يوم القيامة.[١]

﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ :

ماء دافق قال الزجاج: من ماء ذى دفق ، وقال الأزهرى: الدفق فى كلام العرب صب الماء.[٢] الصلب :عظم من لدن الكاهل إلى عجب الذنب ، والصلب من الظهر، وكل شىء من الظهر فيه فقار فذلك الصلب.[٣] وقال ابن عباس: تريبة المرأة موضع القلادة.[٤]

فالله تعالى يقول للإنسان : انظر إلى دقة تكوينك انظر إلى أصلك هل يعقل أن هذا الماء المهين هو وحده أصبح إنساناً سوياً ،إنه خلق من ماء دافق الذى يخرج من صلب الرجل ، وهى عظام ظهره الفقرية ، ومن ترائب المرأة وهى عظام صدرها العلوية ،[٥]فهذا الماء الدافق لا يخرج إلا بضغط عن طريق عضلات تنقبض ، هذا الماء كيف انقسم فصار عظاماً وعضلات ، وبعضه أوردة وبعضه أعصاب .

إن أصلك أيها الإنسان نقطة من ماء مهين ، فحياة الإنسان والحيوان والنبات قوامها نقطة الماء، إن أصل الوجود قوامها نقطة الماء، لذلك يقول الله تعالى فى كتابه العزيز:

﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ ﴾ [سورة الأنبياء : ٣٠] .

قال صاحب البحر المحيط فى تفسير هذه الآية الكريمة :وَجَعَلْنَا إن تعدت لواحد كانت بمعنى:وَخَلَقْنَا مِنَ الْمَاء كل حيوان أي مادته النطفة [٦]، و لما كان قوامه الماء المشروب وكان محتاجاً إليه لا يصبر عنه جعل مخلوقاً منه ، وتكون الحياة على هذا حقيقة ، ويكون كل شيء عاماً مخصوصاً إذ خرج منه الملائكة والجن وليسوا مخلوقين من نطفة ولا محتاجين للماء .

وقال قتادة : أي خلقنا كل نام من الماء فيدخل فيه النبات والمعدن ، وتكون الحياة فيهما مجازاً ، أو عبر بالحياة عن القدر المشترك بينهما وبين الحيوان وهو النموّ ويكون أيضاً على هذا عاماً مخصوصاً ، وإن تعدّت (جَعَلْنَا) : لاثنين فالمعنى صيرنا كُلَّ شَيْء حَيّ بسبب من الماء لا بد له منه .[٧]

يقرر العلم الحديث في تفسير هذه الآية الكريمة أن الماء يدخل في بناء أي جسم حى إذ هو في الحقيقة قوام حياته ، فنقطة الماء خلق الله تعالى منها كل دابة من حيوان وزواحف وطيور وغيرها ، ونقطة الماء خلق منها الإنسان ، ونقطة ماء خلق منها الزرع ؛ لأن طريقة الخلق والإيجاد واحدة فالخالق واحد.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ ﴾ [سورة النور :٤٥]

﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾[سورة الحج : ٥]

(١) تفسير الآيات الكونية - زغلول النجار ٢/٩٤– ٩٧. (٢) لسان العرب ١٠/ ٩٩. (٣) لسان العرب ١/٥٢٦.
(٤) وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدى وغيرهم عمدة التفسير- ابن كثير ٣/٦٧٠. (٥)فى ظلال القرآن–سيد قطب ٦/٣٨٧٨.
(٦) قاله قطرب وجماعة -البحر المحيط٦/٢٨٧. (٧) البحر المحيط٦/٢٨٧

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [سورة الفرقان :٥٤]

يقول الشيخ الشعراوى فى تفسيره لهذه الآية وفي آية عامة عن الماء، قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [سورة الأنبياء :٣٠] . يعني: كل شيء فيه حياة فهو من الماء، لا أن الماء داخل في كل شيء ، فالمعنى: ﴿ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [سورة الأنبياء :٣٠] أي: كل شيء موصوف بأنه حي، فالماء إذن دليل الحياة ؛ لذلك إذا أراد العلماء أن يقضوا على الميكروبات أو الفيروسات جعلوا لها دواءً يفصل عنها المائيةَ فتموت . والإنسان الذي كرَّمه الله تعالى وجعله أعلى الأجناس، خلقه الله من الماء.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [سورة الفرقان: ٥٤]

وفي موضع آخر قال سبحانه:

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾[سورة الطارق:٥-٧]

وهو ماء له خصوصية ، وهو المنيُّ الذي قال الله فيه:

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [سورة القيامة:٣٧-٣٩] .

فمن الماء خلق الله اليشر ، وهم قسمان : ذكور وإناث ، فمن عظمة الخالق عَزَّ وَجَلَّ أن خلق من الماء هذيْن الشيئين، كما قال في موضع آخر:[١]

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩ ﴾ [سورة القيامة: ٣٩]

إن هذه العجائب والغرائب لتشى باليد الحافظة وتمهد للحقيقة التالية ، حقيقة النشأة الآخرة التى لا يصدقها المشركون.

﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴾ :

قيل على إعادته حيا بعد موته وبلاه لأنه المبدىء المعيد سبحانه وتعالى، وقيل: على بعث الإنسان يوم القيامة .[٢]

أى إن الله تعالى الذى خلق الإنسان ابتداء قادر على إعادته بعد موته .

قال ابن كثير : نبه تعالى الإنسان على ضعف أصله الذى خلق منه ، وأرشده إلى الاعتراف بالمعاد لأن من قدر على البداءة فهو قادر على الإعادة .[٣]

﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾ [سورة الطارق : ٩-١٠]

(١) خواطر الشعراوى ١٧ /١٠٤٧١- – ١٠٤٧٢ . (٢) لسان العرب ٨/ ١١٥. (٣) عمدة التفسير– ابن كثير ٦٧٠/٣ .

﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ :

السرائر: جمع سريرة وهى أعمال العباد التى يسرونها .[١] ففى الآخرة تخرج الأسرار فلا يكون هناك سر ، بل كل ما فعله الإنسان سرًا وأخفاه عن الناس يظهر أمام خلق الله جميعا ، هناك أشياء حدثت ثم نسيها الإنسان فى غمرة أحداث الحياة سيجدها أمامه واضحة جلية ، كما حدثت بأشخاصها وأبطالها ، وكل إنسان يقرأ كتابه ، وكل إنسان يشاهد شريط حياته بكل أحداثها فى يوم القيامة أمام خلق الله جميعا .[٢]

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[المجادلة:٦]

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [سورة الكهف :٤٩]

"إن الحياة الآخرة ذات هدف عظيم وهو المجازاة على أعمال الدنيا خيراً كانت أو شراً ، وهذا يتضح جليا حين نعلم أن أعمال كل إنسان تحفظ وتسجل بصفة دائمة وبغير توقف ، وللإنسان ثلاثة أبعاد يعرف من خلالها نيته وقوله وعمله ، فكل حرف يخرج من لساننا وكل عمل يصدر عن عضو من أعضائنا يسجل علينا ، ويمكن عرضه فى أى وقت من الأوقات بكل تفاصيله ، إن العلم الحديث يؤكد بأن جميع أعمالنا سواء باشرناها فى الضوء أو فى الظلام فرادى أم جماعات كل هذه الأعمال موجودة فى الفضاء فى حالة الصور ، ومن الممكن فى أية لحظة تجميع هذه الصور حتى نعرف كل ما قام به الإنسان ، سواء من أعمال الخير أو الشر طيله الحياة ، فلقد أثبتت البحوث العلمية أن كل شئ حدث فى الظلام أو فى النور جامدا كان أو متحركاً ، تصدر عنه حرارة بصفة دائمة فى كل مكان ، وهذه الحرارة تعكس الأشكال والأبعاد ، وقد تم اختراع آلات دقيقة لتصوير الموجات الحرارية التى تخرج من أى كائن، وبالتالى تعطى هذه الآلة صورة فوتوغرافية كاملة للكائن حينما خرجت منه الموجات الحرارية ، فمثلا أنا أكتب الآن فى مكتبى وسوف أغادره بعد ساعة ، ولكن الموجات الحرارية التى خرجت من جسدى أثناء وجودى ستبقى دائما ، ويمكن الحصول على تسجيل كامل ، وهكذا شأن كل ما يقترفه الإنسان وشأن الأحداث التى يعيشها، فإن فيلماً كاملاً لتلك الأحداث سوف يوضع بين كل فرد يوم القيامة ، حتى يصرخ الناس قائلين:

﴿ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ [سورة الكهف : ٤٩]

إن أجهزة الكون تقوم بتسجيل كامل لكل أعمال الإنسان فكل ما يدور فى أذهاننا يحفظ إلى الأبد ، وكل ماننطق به من كلمات يسجل بدقة فائقة .[٣]

﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ :

أى فليس للإنسان فى ذلك الوقت قوة تدفع عنه العذاب ولا ناصر ينصره ويجيره .

قال فى التسهيل:" لما كان دفع المكاره فى الدنيا إما بقوة الإنسان أو بنصرة غيره له ، أخبره الله تعالى أنه يعدمها يوم القيامة "[٤] ، فلا قوة له فى نفسه ولا أحد ينصره من الله .

(١) عمدة الحفاظ - للسمين الحلبى ١٩٠/٢. (٢) يوم القيامة – الشعراوى ٩٥. (٣) الإسلام يتحدى – وحيد الدين خان١١٠-١١٢ .
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٦٠/٢ .

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾﴾[سورة الطارق:١١-١٧]

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾ :

قال ابن عباس: رجع السماء : هو المطر لأنه يرجع مرة بعد مرة ، وقال قتادة: ترجع رزق العباد كل عام ، ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم [١] ، وقال ثعلب: ترجع بالمطر سنة بعد سنة ، وقال غيره :ترجع ذات الرجع ذات المطر لأنه يجئ ويرجع ويتكرر، قال اللحيانى: لأنها ترجع بالغيث فلم يذكر سنة بعد سنة، وقال الفراء : تتبدىء بالمطر ثم ترجع به كل عام.[٢]

أى أقسم بالسماء ذات المطر الذى يرجع على العباد حينا بعد حين .[٣]

"هل تعلم لما سمى رجعا عزيزى القارئ ؟

إنه إنما سمى رجعا لأن بخار الماء يرتفع من الأرض إلى السماء حيث يتكثف ويعود مطرا إلى الأرض بإذن الله ؛ أن لفظة الرجع لها من الدلالات ما يفوق مجرد نزول المطر، فمن معانيه :الارتداد أن من الصفات البارزة فى سمائنا أنها ذات رجع أى ذات ارتداد بمعنى أن كثيراً مما يرتفع إليها من الأرض ترده إلى الأرض ثانية ، من صور المادة والطاقة ، وأن كثيرا مما يهبط عليها من أجزائها العلا فلا يرتد ثانية .

من خلال دراسة الغلاف الغازى تبين لنا أن كثيرا مما يرتفع من الأرض من مختلف صور المادة والطاقة يرتد ثانية إلى الأرض راجعا إليها ، من مثل هباءات الغبار المتناهية الدقة فى الصغر ،وبخار الماء، وكثير من الغازات والموجات الحرارية كالأشعة تحت الحمراء ،والراديوية كموجات البث الإذاعى،والصوتيةوالضوئية، والمغناطيسية وغير ذلك.

لكنّ العلوم الحديثة أضافت لنا معلومات حديثة حول دور السماء لم نكن نعلمها ، فهي ليست السماء الماطرة فقط ، بل تقوم بدور آخر، فهي ترجع لنا بالإضافة للمطر :

١.**الأصوات وصداها** :

الرجع الاهتزازى للهواء على هيئة الأصوات وصداها هو أول صورة من صور رجع السماء ، فعندما تهتز أحبالنا الصوتية ، تحدث اهتزاتها ضغوط فى الهواء ، وتنتشر على هيئة أمواج تتحرك فى الهواء فى كل الاتجاهات من حولنا فتتلقى طبلة الأذن لأفراد آخرين تلك الاهتززات فيسمعونها بوضوح ، ولولا ذلك لما سمع بعضنا بعضا ولاستحالت الحياة .

فكما نعلم أن الصوت لا ينتقل فى الفراغ ولذلك نجد رواد الفضاء يتخاطب بعضهم مع بعض بواسطة الموجات الراديواية التى يمكنها التحرك فى الفراغ حيث تقل سرعة الصوت حتى لا تكاد تسمع وذلك لعدم وجود جزيئات الهواء القادرة على نقل الموجات الصوتية.

(١) عمدة التفسير-ابن كثير ٦٧٠/٣ ، والتسهيل لعلوم التنزيل ٥٦٠/٢.
(٢) لسان العرب ١٢٠/٨ .
(٣) صفوة التفاسير – الصابونى ٥٤٦/٣.

٢. الرجع المائى :

فماء الأرض يتبخر من أسطح المحيطات والبحار ، وهذا البخار تدفعه الرياح ، وتحمله السحب إلى الطبقة الدنيا من الغلاف الغازى للأرض حيث يتكثف ، ويعود إلى الأرض مطرا أو ثلجا أو بردا أو ضباب أو ندى ، هذه الدورة المعجزة للمياة حول الأرض التى لولاها لفسد كل ماء الأرض ولتعرض كوكبنا لحرارة قاتلة بالنهار، ولبرودة شديدة بالليل .

٣. الرجع الحرارى إلى الأرض :

حيث يصل إلى الأرض من الشمس فى كل لحظة عند شروق الشمس كميات هائلة من طاقة الشمس ، ويعمل الغلاف الغازى للأرض كدرع واقية لنا من حرارة الشمس أثناء النهار ، كما يعمل لنا كغطاء بالليل يمسك بحرارة الأرض من التشتت ، ولولا هذا الرجع الحرارى لأحرقت أشعة الشمس كل صور الحياة ولتبخرت الماء

٤. رجع الأشعة فوق البنفسجية بواسطة طبقة الأوزون :

وذلك بامتصاص وتحويل الأشعة فوق البنفسجية القادمة مع أشعة الشمس بواسطة جزيئات الأوزون وترد نسبا كبيرة منها إلى خارج ذلك النطاق.

٥. رجع الإشارت الراديوية :

إن فى السماء طبقة تعيد الأمواج اللاسلكية ، فتردها إلى الأرض فتيسر عمليات البث الإذاعى ولولاها لما أمكن حدوث اتصال لاسلكى فى العالم ولا أمواج إذاعية. (١)

﴿ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴾ :

الأرض التى تتصدع وتنشق فيخرج منها النبات والأشجار(٢) . وقال ابن عباس: انصداعها عن النبات،(٣) فعند نزول ماء المطر على التربة ، فإن ذلك يؤدى إلى انتفاشها وزيادة حجمها ، فتهتز حبيباتها وتربو إلى أعلى حتى ترق رقة شديدة ، فتنشق لتفسح طريقاً لكل من الجدير المندفع إلى أسفل ، والسويقة المنبثقة من داخل البذرة النباتية إلى أعلى حتى تتمكن من اختراق التربة ، ولولا خاصية انصداع التربة عند نزول الماء عليها أو ريها ما أنبتت الأرض على الإطلاق ، ومن هنا جاء القسم بالأرض ذات الصدع لأهميتها البالغة فى إعمار الأرض وجعلها صالحة للحياة والصدوع تلعب أدوراً مهمة فى تكوين الينابيع المائية وبعض مكامن البترول فهما يمثلان مشهدا للحياة . (٤)

فحياة النبات ونشأته الأولى ماء يتدفق من السماء ونبت ينبثق من الأرض أشبه شىء بالماء الدافق من الصلب والترائب ، والجنين المنبثق من ظلمات الرحم، فالحياة هى الحياة والحركة هى الحركة ، نظام ثابت وصنعة تدل على الصانع ، الذى لايشبهه أحد ، وهو مشهد قريب الشبه بابتلاء السرائر وكشف السواتر ، والصنعة واحدة تشير إلى الصانع .(٥)

(١) تفسير الآيات الكونية-زغلول النجار بتصرف٤/٤٢١– ٤٢٥ .
(٢) لسان العرب ١٩٥/٨.
(٣) وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة مختصر ابن كثير ٦٧٠/٣والقرطبى ١١/٢٠.
(٤) تفسير الآيات الكونية–زغلول النجار٤/٤٣٢ .
(٥) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٨٨٠/٦.

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴾ :

إن هذا القرآن لقول فصل بين الحق والباطل[١]، فقد بلغ الغاية فى بيانه وتشريعه وإعجازه ، هو القول الفصل الذى ينهى كل جدل وشك وريبة ليس بعده قول .[٢]

﴿ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴾ :

أى ليس فيه شىء من اللهو والباطل والعبث ؛ بل هو جد كله لأنه كلام أحكم الحاكمين ، فجدير بقارئه أن يتعظ بآياته ويستنير بتوجيهاته وإرشاداته .

﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴾ :

يتجه الخطاب إلى الرسول هو ومن معه من القلة المؤمنة فى مكة الذين يعانون من كيد المشركين ومؤامرتهم على الدعوة والمؤمنين بالتثبيت والتهوين من أمر كيد الكائدين ؛ وأن خيوط المعركة بيد الله تعالى ، وقيادته فليصبر الرسول والمؤمنون .[٣]

﴿ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴾ :

كيد الله لهم أى استدراجهم من حيث لايعلمون .[٤] أى وأجازيهم على كيدهم بالإمهال ثم النكال ، حيث آخذهم أخذ عزيزٍ مقتدر ،[٥]إن هؤلاء الذين خلقوا من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب بلا حول ولا قوة ولا قدرة ولا إرادة ولا معرفة ولا هداية ، الذين تولتهم يد القدرة فى رحلتهم الطويلة ، والذين هم الصائرون إلى رجعة تبلى فيها السرائر، حيث لا قوة لهم ولا ناصر إنهم يكيدون كيدا، وأن الله القاهر القادر خالق السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع يكيدكيداً ، فهذا كيد وهذا كيد، وهذه معركة ذات طرف واحد فى الحقيقة ، وإذا صورت ذات طرفين فهى لمجرد السخرية والاستهزاء .[٦]

﴿ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدًا ﴾ :

لا تستعجل نهاية المعركة ، وقد رأيت حقيقتها ، **فما الحكمة من الإمهال ؟**

إنه إمهال قليل حتى لو استغرق الحياة الدنيا ، فما عمر هذه الحياة إلى جانب الحياة الأخرى ، أمهلهم قليلا فسوف ترى ما أصنع بهم ، نلاحظ هنا لمسة حانية على الرسول -ﷺ- فى هذا الود والعطف لكى يخفف عنه من الكرب والشدة والعناء والكيد ، حيث تذوب كلها ولا يبقى إلا العطف والود [٧] فأمهلهم يا محمد ولتنظر صنيعى فيهم فقد تراه فى حياتك ، وقد تراه بعد موتك حيث الحساب والميزان ، فالله يمهل ولا يهمل.

﴿ فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ﴾

[سورة الزخرف:٤١-٤٢]

---

(١) تفسير القرطبى ٢٠/١١.
(٢) صفوة التفاسير–الصابونى ٣/٥٤٦.
(٣) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٦ /٣٨٨١.
(٤) لسان العرب٥/٣١٣.
(٥) صفوة التفاسير–الصابونى ٣/٥٤٦ .
(٦)،(٧) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٦/٣٨٨١.

﴿ سُورَةُ الأَعْلَىٰ ﴾

- **ما المحور الذى تدور حوله السورة ؟**

تتحدث عن الله والدلائل على قدرته ووحدانيته ، ثم الوحى والقرآن المنزل على الرسول ، ثم الموعظة الحسنة التى ينتفع بها أهل القلوب الحية .

- **ما ترشد إليه السورة :**

١. ابتدأت السورة بتنزيه الله تعالى الذى خلق فأبدع وصور فأحسن ، وأخرج العشب والنبات رحمة بالعباد .

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾[سورة الأعلى: ١-٣]

٢. تتحدث عن الوحى والقرآن ، وأتت الرسول بالبشارة بتحفيظه هذا الكتاب المجيد ، وتيسير حفظه عليه بحيث لا ينساه أبداً .

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾ [سورة الأعلى : ٦-٧]

٣. أمرت بالتذكير بهذا القرآن الذى يستفيد من نوره المؤمنون ، ويتعظ بهديه المتقون .

﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴾[سورة الأعلى:٩-١١]

٤. ختمت السورة ببيان فوز من طهر نفسه من الذنوب والآثام وزكاها بصالح الأعمال.[١]

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [سورة الأعلى : ١٤-١٥]

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ ﴾ [سورة الأعلى : ١-٥]

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ :

معنى التسبيح :التنزيه فسبحان الله تنزيها لله من الصاحبة والولد ، وقيل من كل ما لا ينبغى له أن يوصف به سبحانه وتعالى.[٢]

الافتتاح بأمر النبي -ﷺ- بأن يسبح اسم ربه ، يؤذن بأنه ستلقى عقبه بشارة له ، وذلك قوله تعالى : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ أى نزه يا محمد ربك العلى الكبير عن صفات النقص ، وعما يقول الظالمون مما

(١) صفوة التفاسير –الصابونى ٣/٥٤٧-٥٤٨.

(٢) لسان العرب ٢/٤٧١.

لا يليق به سبحانه وتعالى من النقائص والقبائح ، فإنه العالي على كل شيء بملكه وسلطانه وقدرته ، وحينما نزلت هذه الآية قال -ﷺ- :

-{ عَنْ مُوسَى بْنِ أَيُّوبَ الْغَافِقِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَمِّي إِيَاسَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الْجُهَنِيَّ، يَقُولُ: لَمَّانَزَلَتْ ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾، [سورة الواقعة: ٧٤] ، قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ**» فَلَمَّا نَزَلَتْ :﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [سورة الأعلى: ١] ، قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ**» }[١]

فهذا التسبيح في الركوع والسجود كلمة تنبض بالحياة ألحقت بالصلاة لتكون استجابه مباشرة لاتصال الإنسان بخالقه فهى إذن من الله تعالى لعباده بأن يحمدوه ويسبحوه.

إنه إذن بالاتصال به سبحانه وتعالى في صورة مقربة إلى مدارك البشر المحدودة صورة تفضل الله عليهم بها ليعرفهم ذاته ... في صفاته ... في الحدود التي يملكون أن يتطلعوا إليها ، وكل إذن للعباد بالاتصال بالله فى أى صورة من صور الاتصال هى مكرمة وفضل على العباد .[٢]

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ :

سوى:أى خلق الإنسان مستوياً.[٣]

أى خلق المخلوقات جميعها فأتقن خلقها وأبدع صنعها فى أجمل الأشكال .

﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ :

قال ابن الأثير : هو الذى بصر عباده وعرفهم طريق معرفته ، حتى أقروا بربوبيته وهدى كل مخلوق إلى ما لابد منه فى بقائه ودوام وجوده.[٤] الذى قدر لكل مخلوق وظيفته وغايته ، فهداه إلى ما خلقه لأجله وألهمه غاية وجوده ، وقدر له ما يصلحه مدة بقائه وهداه إليه ،[٥] فكل شيء معد لوظيفة مقدرة وله غاية لوجوده ، وهو ميسر لتحقيق هذه الغاية من أيسر الطرق ، ولنأخذ بعض الأمثلة على ذلك ، **من الذى علم ...؟**

النحلة : أن تبنى الخلية على شكل سداسى ؟؟ من علمها أن الشكل السداسى هوأنسب الأشكال لبناء أكبر عدد من البيوت فى مساحة محدودة ؟؟ ومن علمها أن للملكة غذاء خاصاً ؟؟ ومن علمها أن تقتل كل حشرة غريبة فى الخلية ؟حيث يقوم على حراسة الخلية عدد من الشغالات بالتناوب على باب الخلية ، فإذا حضرت حشرة غريبة فى الخلية لدغتها النحلة الحارسة، وماتت الحشرة على الفور، فإن كانت هذه الحشرة فأرة مثلا فماذا تفعل النحلة الصغيرة أمام هذا الفأر الكبير؟ إنها تطلق عليه مجموعة من العاملات فتلدغه حتى يموت ، ولكن كيف تخرجه؟ فإن بقى أفسد العسل ولوث أجواء الخلية ! ولو اجتمع نحل الدنيا كله على إخراجه ما استطاع ، فماذا يفعل ؟ عندئذ تستخدم الشغالات بعض صموغ أو غراء نحل

(١) (٨٨٧) سنن ابن ماجه – كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا -بَابُ التَّسْبِيحِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ، (٨٦٩) سنن أبي داود – كِتَاب الصَّلَاةِ– بَابُ مَا يَقُولُ الرَّجُلُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ.
(٢) فى ظلال القرآن – سيد قطب ٣٨٨٣/٦ .
(٣) معانى القرآن وإعرابه – الزجاج ٣١٥/٥.
(٤) لسان العرب ١٥ /٣٥٣ .
(٥) فى ظلال القرآن – سيد قطب ٣٨٨٣/٦.

العسل وهى مادة صمغية لزجة تجمعها شغالات النحل من براعم الأزهار ويغلف بها ذلك الفأر فلا ينتن ولا يتغير ولا يتعفن قبل إلقائه إلى خارج الخلية حتى يأتى صاحب الخلية فيخرجه ، فمن علمها هذا...؟[١]

من علمها أن ترقص حتى تعرف النحلات الباقيات بعد الأزهار عن النحلة...؟ وما نوع الرقصة.. ؟؟ ومن علم الملكة أنها سوف تلد ذكراً أو أنثى..؟!!

نقار الخشب : طائر يعيش على دود ضمن أشجار الصنوبر ، والغريب أن له منقاراً يزيد عن اثنتى عشر سنتيمتر ، يقف هذا الطائر على جذع الشجرة ويثقب الجذع حتى يصل إلى الدودة التى تقع داخل الجذع ويأكلها ، فهل عنده أشعة ليزر أو أشعة تحت الحمراء ليعرف مكان الدودة . فسبحان من هدى كل مخلوق إلى ما يصلحه .

سمك السالمون : يمضى سنوات فى البحر ، ثم يعود إلى نهره الذى ولد فيه ، فما الذى يجعل السمك يرجع إلى مكان مولده بالتحديد ؟

ثعبان الماء :هناك لغز أصعب يتطلب الحل، وهو الخاص بثعابين الماء فمتى اكتمل نموها هاجرت من أوربا قاطعة آلاف الأميال قاصدة جنوبى برمودا حيث تبيض هناك ثم تموت ، والعجيب أن صغارها التى لا تملك وسيلة لتعرف بها أى شى تعود أدراجها حيث تقاوم التيارات القوية ، وتغالب الأمواج المتلاطمة حتى إذا اكتمل نموها دفعها قانون خفى إلى الرجوع حيث كانت بعد أن تتم الرحلة كلها.

فمن أين نشأ الحافز الذى يوجهها لذلك.. ؟ولم يحدث قط أن صيد ثعبان ماء أمريكى فى المياة الأوربية، أو صيد ثعبان ماء أوربى فى المياة الأمريكية .[٢]

الثعلب : «... من علَّم الثعلبَ إذا اشتد به الجوعُ أن يستلقي على ظهره ، ويختلس نَفَسه إلى داخل بدنه حتى ينتفخ فيظنّ الظانّ أنه مَيْتةٌ ، فيقع عليه ، فيثب على من انقضى عمره منها ، ومَن علَّمه إذا أصابه صدع أو جرح أن يأتي إلى صبغ معروف ، فيأخذ منه ويضعه على جرحه كالمرهم.[٣]

هذه نماذج من هدايته عز وجل للعجماوات إلى ما فيه مصالحها وبقاؤها وحفظها ؛ وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [سورة طه: ٥٠]

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ﴾ :

المرعى: الكلأ .[٤] فالله تعالى قد أنبت العشب وما ترعاه الدواب ، فعندما خلق الله هذه الأرض قدر فيها أقواتها لكل حى يدب فوق ظهرها أويختبئ فى جوفها أو يطير فى جوها .[٥]

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[سورة العنكبوت : ٦٠]

﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ﴾ :

جعله غثاء: أى جففه حتى صيره هشيماً جافاً كالغثاء الذى تراه فوق السيل، وقيل معناه: أخرج المرعى أحوى :أى أخضر فجعله غثاء بعد ذلك أى يابساً.[٦]

(١) تفسير الآيات الكونية– زغلول النجار١/ ٤٩٩ – ٥٠٥ بتصرف. (٢)فى ظلال القرآن- سيد قطب ٦/٣٨٨٥– ٣٨٨٦. (٣) مفتاح دار السعادة – ابن القيم ٢/٦٩٣ . (٤) لسان العرب ٨/٣٣٤ . (٥) فى ظلال القرآن- سيد قطب ٦/٣٨٨٨. (٦) لسان العرب ١٥/ ١١٦ .

أى بعد أن كان أخضر صار أسود بالياً ، وبعد أن كان ناضراً زاهياً ، وهو يصلح أن يكون طعاماً وهو أخضر وهو أسود بتقدير الذى خلق فسوى وقدر فهدى[١] ، والإشارة إلى حياة النبات توحى من طرف خفى بأن كل نبات ينتهى به الحال إلى الحصاد ،كما أن لكل مخلوق نهاية ، وهذا يتفق مع الحديث عن الحياة الدنيا والحياة الآخرة ، فكل شيء له بداية ونهاية .[٢]

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الروم : ٥٠]

ومناسبة هذا الكلام لما سبقه إشارة إلى تمثيل حال القرآن وهدايته ، وما اشتمل عليه من شريعة ، التى تنفع الناس بحال الغيث الذى ينبت المرعى فتنتفع به الدواب والأنعام ، وإلى أن هذه الشريعة تكمل وتبلغ ما أراد الله فيها كما يكمل المرعى ويبلغ نضجه حين يصير غثاء أحوي . ويجوز أن تكون الإشارة إلى أن مدة نضارة الحياة للأشياء مدة قصيرة .[٣]

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾

[سورة الأعلى : ٦-٨]

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ :

أى سنقرئك يا محمد هذا القرآن العظيم فتحفظه فى صدرك ولا تنساه .[٤]

﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ :

لكن ما أراد الله نسخه فإنك تنساه ، فأنت لا تنسى إلا ما اقتضت حكمة الله أن ينسيك إياه لما فيه مصلحة للعباد أو لحكمة أو لكون هذا الحكم منسوخا أو مبدلا بخير منه كما قال الله تعالى :

﴿۞مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ﴾ [سورة البقرة: ١٠٦]

" ومعنى **النسخ**: رفع التلاوة ، أو الحكم الشرعى ، أو هما معا بخطاب شرعى ، وكما نعلم أنه لا يخلو نسخ الحكم من أن يكون من الحكم الأخف إلى بدل أشد،كتحريم الخمر بعد إحلالها ، والحكمة فى ذلك التدرج بالتشريع ومعالجة النفوس ، وتقويمها شيئا فشيئاً.

أو إلى بدل أخف فأنه تعالى أمر بثبات الواحد للعشرة بقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[سورة الأنفال:٦٥]

ثم نسخ ذلك بقوله تعالى:

﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة الأنفال:٦٦]

(١) صفوة التفاسير –الصابونى٣/٥٤٨ . (٢) فى ظلال القرآن- سيد قطب ٦/٣٨٨٨. (٣) التحرير والتنوير –ابن عاشور ٣٠/٢٧٨. (٤) عمدة التفسير– ابن كثير ٣/٦٧٣.

وذلك تيسير على الأمة ورفع المشقة عنها ، لتظهر منَّة الله تعالى وفضله عليها فتحمده وتشكره.
أو نسخه إلى بدل مساو ،كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالتوجه إلى الكعبة.

﴿۞سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾ [سورة البقرة: ١٤٢]

ثم إنه تعالى أزالهم عنها بقوله:

﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾ [سورة البقرة:١٤٤]

أو غير بدل فلقد أمر الله تعالى بتقديم الصدقة بين يدي نجوى الرسول بقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ [سورة المجادلة :١٢]

ثم نسخ ذلك بقوله تعالى:

﴿ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[سورة المجادلة :١٣]

والمنسوخ إما أن يكون هو الحكم فقط، أو التلاوة فقط ، أو هما معاً ، ومعنى رفع الحكم أى عدم مطالبة المكلفين بالالتزام بهذا الحكم ، أما الذي يكون المنسوخ هو الحكم دون التلاوة فكهذه الآيات التي عددناها.

وأما الذي يكون المنسوخ هو التلاوة فقط فكما يروى عن عمر أنه قال: كنا نقرأ آية الرجم: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم»

وأما الذي يكون منسوخ الحكم والتلاوة معاً، فهو ما روت عائشة رضي الله عنها أن القرآن قد نزل في الرضاع بعشر معلومات ثم نسخن بخمس معلومات.

-{عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عمرة ، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات ، فتوفى رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن .} [١]

فالعشر مرفوع التلاوة والحكم جميعاً والخمس مرفوع التلاوة باقي الحكم. وقد يتساءل سائل .....

ما الحكمة من النسخ ؟

فالحكمة من النسخ لزيادة الثقة بالرسول ، وللابتلاء والاختبار ليعلم المصدق المطيع من المكذب العاصى الذى يعبد الله على حرف ، والحكمة الجامعة للنسخ مراعاة لمصالح العباد فى أطوارهم وأزمانهم المختلفة حسبما تراه الحكمة الإلهية كما يفعل الطبيب مع المريض." [٢]

وفى هذه الآية معجزة للرسول لأنه كان أمياً لا يقرأ ولايكتب وكان مع ذلك لا ينسى ما اقرأه جبريل عليه السلام؛فإنه كان يحرك به لسانه إذا أقرأه جبريل خوفاً أن ينساه فضمن له الله أن لاينساه[٣]وكونه يحفظ هذا الكتاب العظيم من غير دراسة ولا تكرار ولا ينساه أبدًا من أعظم البراهين على صدق نبوته.[٤]

(١) (١٤٥٢)صحيح مسلم -كتاب الرضاع- باب التحريم بخمس رضعات. (٢)اللآلئ الحسان - موسى شاهين لاشين(١٧٠- ١٧٩- ١٨٨- ١٩٠) (٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٦٣/٢. (٤) صفوة التفاسير – الصابونى٥٤٩/٣.

ونلاحظ أن أمية الرسول هنا شرف له حيث إنه لم يتلق أى علم سوى العلم اللدنى ، فالله هو الذى علمه: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[سورة العنكبوت: ٤٨]

﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾ :

أى هو تعالى عالم بما يجهر به العباد وما يخفونه من الأقوال والأفعال ، لا تخفى عليه خافيه فى الأرض ولا فى السماء .(١)

﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ :

أى ونوفقك للشريعة السمحه البالغة اليسر ،أى الحنيفية السمحة السهلة (٢) التى هى أيسر وأسهل الشرائع السماوية وهى شريعة الإسلام ، فالإسلام هو دين الوسطية ، فهو شريعة معتدلة لا تشديد فيها ولا إفراط.

﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾

[سورة الأعلى: ٩-١٥]

﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ :

فذكر كلما وجدت فرصة للتذكير ومنفذاً للقلوب ووسيلة للبلاغ ، والذكرى تنفع دائما ، ولن تعدم من ينتفع بها كثيراً كان أو قليلاً ، ولن يخلو جيل ولن تخلو أرض ممن يستمع وينتفع ، مهما فسد الناس وقست القلوب وران عليها الحجاب فإذا رضى -ﷺ- بهذا العبء ، فقد أدى ما عليه ، والناس بعد ذلك وشأنهم ، تختلف مصائرهم ويفعل الله بهم ما يشاء وفق ما يستجيبون لهذه الذكرى .(٣)

﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ :

أى سينتفع بهذه الذكرى والموعظة من يخاف الله تعالى ويستشعر قلبه التقوى ، فيخشى غضب الله وعذابه منذ أن علم أن للوجود إلهاً خلق فسوى وقدر فهدى ، فهو لم يترك الناس سدى ، ولن يدعهم هملاً وهو لابد محاسبهم على الخير والشر مجازيهم بالقسط والعدل .(٤)

﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴾ :أى يرفضها ويبتعد عن قبول الموعظة الكافر المبالغ فى الشقاوة .

﴿ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ :

النار الكبرى هى نار جهنم بشدتها وضخامتها ، ووصفها بالكبرى للتهويل والإنذار ، حيث يمتد بقاؤه فيها ويطول فلا هو يموت فيجد الراحة ولا هو يحيا فى أمن وراحة ، إنما هو العذاب الخالد الذى يتطلع صاحبه إلى الموت ، كما يتطلع إلى الأمنية الكبرى .(٥)

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ : تزكى : تكثر بتقوى الله ومعنى الزاكى النامى الكثير .(٦)

---

(١) صفوة التفاسير – الصابونى٥٤٩/٣. (٢) قال معناه الضحاك--تفسير القرطبى ١٩/٢٠ . (٣) فى ظلال القرآن– سيد قطب ٣٨٩٣/٦.

(٤) ، (٥) فى ظلال القرآن – سيد قطب ٣٨٩٣/٦. (٦) معانى القرآن وإعرابه – الزجاج ٣١٥/٥ .

قد فاز من طهر نفسه بالإيمان وأخلص عمله للرحمن . وقدم التزكّي على ذكر اللـه ، والصلاةِ لأنه أصل العمل بذلك كله فإنه إذا تطهرت النفس أشرقت فيها أنوار الهداية فعُلمت منافعها ، وأكثرت من الإقبال عليها .(١)

﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ :

أى أقام الصلاة فى أوقاتها ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمره وامتثالاً لشرعه ،(٢) وذكر عظمة ربه وجلاله فصلى خشوعاً وامتثالاً لأمره .(٣)

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة الأعلى : ١٦-١٩]

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ :

بل تفضلون أيها الناس هذه الحياة الفانية على الآخرة الباقية ، فتنشغلون بها وتنسون الآخرة ، والآخرة هى الباقية لأن الدنيا فانية ، والباقى خير من الفانى ، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى ؟ ويهتم بدار الغرور ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلود ؟(٤)

قرأ ابن مسعود هذه الآية فقال لأصحابه : " أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة" ، قالوا : لا . قال :"لأن الدنيا أحضرت ، وعجلت لنا بطعامها وشرابها ونسائها ولذتها وبهجتها ؛ وأن الآخرة غيبت وزويت عنا ، فأحببنا العاجل وتركنا الآجل".(٥)

نظرت إلى الحياة فلم أجدها سوى حلم يمر ولا يعود ! فأين لذة معصيتك ؟ وأين تعب طاعتك ؟ إلى متى ستبقي مصراً على مبارزة الله بالمعاصي ؟ إلى متى ستبقى عبداً للشهوات ؟ يغضب منك الرحمن ويرضي عنك الشيطان ارجع إلى الله قبل:﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾[سورة الزمر : ٥٦]كأنك ما سمعت بصراخ أهل النار : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [سورة فاطر : ٣٧] وما سمعت بجواب الله تبارك وتعالى : ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[سورة المؤمنون:١٠٨]كم تخطط فى هذه الدنيا للمستقبل،وما يدريك أنك ستعيش إلى تلك اللحظات!

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ :

الصحيفة :التى يكتب فيها، والجمع صحائف وصحف ،والصحف الأولى يعنى الكتب المنزلة عليهما صلوات الله على نبينا وعليهما.(٦)

إن هذه المواعظ المذكورة فى هذه السورة مثبتة فى الصحف القديمة المنزلة على إبراهيم وموسى ، فهى مما توافقت فيه الشرائع وسطرته الكتب السماوية ، كما سطره هذا الكتاب المجيد .(٧)

(١) التحرير والتنوير –ابن عاشور ٢٨٨/٣٠ . (٢) وكذا قال ابن عباس المراد بذلك الصلوات الخمس واختاره ابن جرير، عمدة التفسير-ابن كثير ٦٧٤/٣.
(٣) ، (٤)صفوة التفاسير – الصابونى٥٤٩/٣. (٥) تفسير الخازن ٢٣٦/٧ . (٦) لسان العرب ١٨٦/٩. (٧) صفوة التفاسير- الصابونى٥٤٩/٣.

﴿ سُورَةُ الْغَاشِيَةِ ﴾

- **ما المحور الذى تدور حوله السورة ؟؟**

تناولت السورة الكريمة القيامة وأهوالها ، والأدلة والبراهين على وحدانية الله ، وختمت بالتذكير برجوع الناس جميعا إلى الله للحساب والجزاء .

- **ما ترشد إليه السورة :**

١. القيامة وأهوالها وما يلقاه المؤمنون فيها من السعادة والهناء .

٢. الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين ، وقدرته الباهرة فى خلق الإبل العجيبة والسماء البديعة والجبال المرتفعة والأرض الممتدة الواسعة ، وكلها شواهد على وحدانية الله وجلال سلطانه بالتذكير برجوع الناس جميعا إلى الله سبحانه وتعالى للحساب والجزاء .[١]

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧﴾ [سورة الغاشية:١- ٧]

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾ :

الغاشية: القيامة لأنها تغشى الناس بأفزاعها ، وقيل الغاشية : النار لأنها تغشى وجوه الكفار .[٢] الاستفهام للتشويق إلى استماع الخبر ، وللتنبيه والتفخيم لشأنها ، أى هل جاءك يا محمد خبر الداهية العظيمة التى تغشى الناس وتغمرهم بأهوالها ، فحديث الغاشية عام وخاص ، خاص للرسول ﷺ ،وعام لأمته ،[٣] ولكن ما حديث الغاشية ...؟

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴾ :

وجوه فى ذلك اليوم ذليلة خاضعة مهينه .

(١) صفوة التفاسير– الصابونى ٥٥١/٣.
(٢) لسان العرب ١٥/ ١٢٦، معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٥/ ٣١٧.
(٣) صفوة التفاسير-الصابونى ٥٥١/٣.

﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ :

قال ابن عباس :عاملة ناصبة النصارى ، وعن عكرمة والسدى عاملة فى الدنيا بالمعاصي ، ناصبة فى النار بالعذاب والأغلال.(١)

فهم عملوا ونصبوا فى الدنيا على غير دين الإسلام من عبادة الأوثان ، وكذلك كفار أهل الكتاب مثل الرهبان فلا يقبل الله منهم اجتهاداً فى ضلال .

هذه الآية تحتمل معنيين :

١. إنها عاملة ناصبة فى الدنيا لغير ما يقرب إلى الله تعالى، وقيل أنهم الرهبان ، ومن أشبههم ،وقيل عاملة ناصبة فى النار فوصف مقاساتها العذاب (٢) فهى عاملة فى الدنيا عملاً لا قيمة له ، إنسان وضع كل طاقاته فى الدنيا فجاءه الموت فإذا هو صفر اليدين ، فهى تعبت ونصبت وعملت ولم تجد إلا خسارة ، فزادها ذلك مضضا ، "فهى عملت لغير الله عملت لنفسها ولأولادها ، وتعبت لدنياها ولأطماعها ، ثم وجدت عاقبة ذلك الشقاء فى الدنيا والعذاب فى الآخرة".(٣)

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [سورة الكهف : ١٠٣-١٠٤]

٢. أى عاملة فيما يتعبها ويشقيها فى النار ، قال الكشاف: تعمل فى النار عملا يتعب منه ، وهو جرها السلاسل والأغلال ، وخوضهم فى النار خوض الإبل فى الوحل والصعود والهبوط فى تلالها ودركاتها .(٤)

﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ ۚ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾[سورة غافر:٧١-٧٢]

وهذا جزاء تكبرهم فى الدنيا عن عبادة الله وانهماكهم فى اللذات والشهوات ، فهى لم تعمل لله فى الدنيا ، فأعملها وأنصبها فى النار بمعالجة السلاسل والأغلال .

﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ :

أى تدخل نارًا مستعرة شديدة الحر ، قال ابن عباس : " قد حميت فهى تتلظى على أعداء الله" .(٥)

﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾ :

أى تسقى من عين متناهية الحرارة ، ووصل حرها وغليانها درجة النهاية ، قد أوقدت عليها جهنم منذ خلقت ،" لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت " . هذا شرابهم فى الآخرة ، ثم ذكر طعامهم .(٦)

﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾ :

قال عكرمة ومجاهد: (٧) الضريع :نبت ذو شوك متناه فى المرارة لاصق بالأرض تسميه قريش (الشبرق) إذا كان رطبا فإذا يبس فهو(الضريع) لا تقربه دابة ولا بهيمة ولا ترعاه وهو سم قاتل وهو أخبث الطعام وأشنعه على هذا عامة المفسرين ، إلا أن الضحاك روى عن ابن عباس قال : هو شىء يرمى به البحر يسمى

(١) عمدة التفسير– ابن كثير ٦٧٧/٣. (٢) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج ٣١٨/٥. (٣) فى ظلال القرآن– سيد قطب بتصرف ٣٨٩٦/٦ .
(٤) الكشاف ٧٤٢/٤. (٥) تفسير الخازن ٢٣٧/٧ . (٦) معالم التنزيل – البغوى٤٠٥/٨.
(٧) القرطبى ٢٠/ ٢٩ ، عمدة التفسير– ابن كثير ٦٧٧/٣،والتحرير والتنوير –ابن عاشور ٢٩٧/٣٠، والزجاج ٣١٧/٥ .

الضريع من أقوات الأنعام لا الناس فإذا وقعت فيه الإبل لم تشبع وهلكت ،والصحيح ما قاله الجمهور أنه نبت.(١)

﴿ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ :

طعام الدنيا يسمن الإنسان ويقويه ، أما طعام هؤلاء الكفار لا يسمن ولا يقوى البدن ، فلا يدفع الجوع عنهم كما هو شأن طعام الدنيا .

"قال أبو الدرداء والحسن: إن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ماهم فيه من العذاب ، فيستغيثون فيغاثون بالضريع ، فيستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة ، فيتذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالماء ، فيستسقون فيعطشهم ألف سنة ، ثم يسقون من عين ءانية شربة لا هنيئة ولا مريئة ، فلما أدنوه من وجوههم سلخ جلودهم ووجوههم وشواها ، فإذا وصل إلى بطونهم قطعها،(٢) فذلك قوله تعالى:

﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة محمد : ١٥]

قال المفسرون : فلما نزلت هذه الآية قال المشركون إن إبلنا تسمن على الضريع ، وكذبوا فى ذلك فإن الإبل إنما ترعاه مادام رطباً ويسمى شبرق ، فإذا يبس لا يأكله شيء فأنزل الله لا يسمن ولا يغنى من جوع.(٣)

"أما بعد ، فهذا هو **عذاب أهل النار** أعاذنا الله وإياكم شرها ، فلو سألت عن **طعام أهل النار**: فهو الزقوم والغسلين والضريع ، أما **الزقوم**: فهو ثمر يخرج من شجرة تنبت فى أصل الجحيم مذاقه مر ، يغص فى الحلق فلا يسوغ إلا بالماء الحميم ، وأما **الغسلين**: فهو عصارة أهل النار من القيح والصديد والعرق .

أما لو سألت عن **شراب أهل النار** فهو الحميم والمهل ، أما **الحميم** : فهو ماء ساخن شديد الغليان يصهر ما فى البطون ويقطع الأمعاء ، أما **المهل**: فهو ماء حار غليظ كعكر الزيت فإذا دنا من أحدهم شوت حرارته جلده ووجهه .

أما **ظلال أهل النار** فهم يستظلون بدخان كثيف يتفرع إلى ثلاثة شعب لا ظليل ولا يغنى من اللهب ، أى لا يظل من يكون تحته ولا يدفع عنه ألسنة اللهب .

﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة المرسلات:٣٠-٣١]

أما **لباس أهل النار** : فقد قطعت لهم ثياب من نار .

﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾

[سورة إبراهيم :٤٩ - ٥٠]

أى قمصانهم من قطران تطلى به جلودهم حتى يعود ذلك الطلاء كالسرابيل ، وخص القطران لسرعة اشتعال النار فيه ، مع نتن رائحته ووحشة لونه .(٤)

(١) الجامع لأحكام القرآن –القرطبى٢٠/٢٩. (٢) تفسير أبو السعود ٥/٢٥٩ ، والبغوى ٨/٤٠٩. (٣)معالم التنزيل– البغوى ٨/٤٠٩،والتحرير والتنوير ٣٠/٢٩٧، الكشاف ٤/٧٤٢ ،والقرطبى٢٠/٢٩. (٤) الدار الآخرة (الجنة والنار) - عمر الأشقر(٨٧-٩٠-٣٣-٩١)، رحلة إلى الدار الآخرة -محمود المصرى ٥٣٢

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة الغاشية : ٨-١٦]

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ ﴾ :

وعلى الجانب الآخر فهناك وجوه يبدو فيها النعيم والرضى عن عملها حين ترى رضى الله عنها ، وليس أروح للقلب من أن يطمئن إلى الخير ويرضى عاقبته ، ثم يصف الجنة ومتاعها لهؤلاء ، فهم فى جنات أى حدائق وبساتين مرتفعة مكاناً وقدرًا .[١]

﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾ :

ليس فيها صراع ولا زحام ولا صخب ولا شتم ولا سب ولا فحش .[٢]

﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ :

أى عيون تجرى بالماء لا تنقطع أبداً ، ولنا أن نتخيل جمال المياه المتدفقة السائبة ، وصوت الخرير وانسياق المياه ،وما تحدثه فى النفس من راحة .

﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ :

قال ابن عباس : ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة مالم يجئ أهلها ، فإذا أرادوا أن يجلسوا عليها تواضعت لهم حتى يجلسوا عليها ، ثم ترتفع إلى مواضعها .[٣]

﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ :

فهى مهيأة للشراب لا تحتاج إلى طلب أو إعداد فهى موضوعة على حافات العيون ، معدة لشرابهم لا تحتاج إلى من يملأها .[٤]

﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾ :

أى ووسائد يتكأ عليها قد صف بعضها إلى جانب بعض ليستندوا عليها .[٥]

﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ :

الزرابى :هى البسط وقيل كل ما بسط واتكىء عليه.[٦] فالسجاجيد المنتشرة هنا وهناك للزينة والراحة.[٧]

"أما بعد فهذا وصف مبسط للجنة التى قد أعدها الله لنا ، أدخلنا الله وإياكم إياها إن شاء الله ، فيا ترى ماذا أعد الله لنا فى الجنة التى فيها ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر...؟

لو سألت عن **تربتها وأرضها** فهو المسك والزعفران أما **سقفها** فعرش الرحمن ، أما **حصباؤها** فهو اللؤلؤ

(١) فى ظلال القرآن– سيد قطب ٣٨٩٧/٦ .
(٢) صفوة التفاسير –الصابونى٥٥٢/٣.
(٣) معالم التنزيل - البغوى ٤٠٩/٨ .
(٤) ، (٥) صفوة التفاسير- الصابونى ٥٥٣/٣.
(٦) لسان العرب ٤٤٧/١ .
(٧) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٦/ ٣٨٩٧ .

والجوهر ، أما **بناؤها** فلبنة من فضة ولبنة من ذهب ، أما **أشجارها** فليس فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة ، و**الثمار** مثل القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل ، وقطوفها دانية ، أما **أنهارها** فأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفي ، أما **طعامهم** فاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ، أما **شرابهم** التسنيم والزنجبيل والكافور ، وهم يشربون فى آنية من ذهب وفضة فى صفاء القوارير ، أما **لباس أهلها** فالحرير والذهب يلبسون فيها أساور من الذهب واللؤلؤ . [١]"

وبعد هذا العرض لنعيم أهل الجنة فكل شيء وراءه تدبير وتقدير ، فإذا أردت أن تفوز بالجنة فعليك بالإيمان ، وطريق الإيمان التفكر فى آيات الله .

ولنعلم جميعا أننا لسنا فى دار مقام بل نحن فى دار انتقال ، ونحن فى ممر ولسنا فى مقر ، وفى حياة إعداد لحياة أبدية ، فالنعيم المطلق والسعادة التامة والطمأنينة التى لا يخالجها قلق ، والصحة التى لايساورها مرض هى فى الجنة ، فنحن فى دار إعداد ، وفى حياة دنيا صممت لتكون مدرسة لحياة أبدية خالدة ، ولذلك ليس عجيباً أن تكون الحياة مقلقة وعلاجها أن تلتجئ إلى الله حيث الأمن والطمأنينة والراحة والتوازن .

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة الغاشية : ١٧-٢٠]

وتجمع هذه الآيات الأربعة القصار ، أطراف البيئة العربية حين تتضمن السماء والأرض والجبال والجمال، إن هذه المشاهد معروضة لنظر الإنسان حيثما كان.. وأياً كان حظه من العلم والحضارة.. موحية له بما وراءها حين يوجه نظره وقلبه إلى دلالتها فالمعجزة كامنة فى كل منها ، وصنعة الخالق لا نظير لها . [٢]

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ :

أى أفلا ينظر هؤلاء الناس نظرة تفكر واعتبار إلى الإبل وجمالها كيف خلقها الله خلقاً عجيباً بديعاً ، مما يدل على قدرة خالقها ؟! . ولكن... **ما الحكمة من اختيار الجمل من بين آلاف الحيوانات ؟؟**

هذه الآيات تخاطب العربى البدوى الذى يرى سماء قد رفعت وجبالاً قد نصبت وأرضاً قد سطحت ويرى الإبل ، فالله تعالى يخاطبه بالواقع المحسوس .

وخص الجمل بالذات لقيمته بالنسبة للعربى ، فالإبل أموالهم ورواحلهم ، ومنها عيشهم ولباسهم ونسج بيوتهم وهي حمّالة أثقالهم ولأنها ممثله لسائر الحيوانات ، فإن فى خلقها ما يشهد لله بالألوهية والربوبية والوحدانية ، فقد خلقها الله خلقاً عجيباً بقوة قوائمها ويُسْر بُروكها لتيسير حمل الأمتعة عليها ، وجَعَل أعناقها طويلة قوية ليمكنها النهوض بما عليها من الأثقال بعد تحميلها أو بعد استراحتها في المنازل والمبارك ، وهى تدخل تحت اسم الأنعام لما فيها من نعم عظيمة ، فالجمل هو سفينة الصحراء فهو يتحمل الجوع والعطش ، حيث جعل في بطونها أمعاء تختزن الطعام والماء بحيث تصبر على العطش إلى عشرة أيام في السير في المفاوز مما يَهلك فيما دونه غيرها من الحيوان . [٣]

(١) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح–ابن القيم ٢٠٦ . (٢) فى ظلال القران- سيد قطب ٣٨٩٨/٦. (٣) التحرير والتنوير–ابن عاشور ٣٠/٣٠.

فهو حيوان العربى الأول ، عليه يسافر ويحمل ، ومنها يشرب ويأكل ، ومن أوبارها وجلودها يلبس ، وهى على ضخامتها ذلول يقودها الصغير، ويحمل عليها الثقيل ، كما أنها قليلة التكاليف ، فكل ميسر لما خلق له فهى متناسقة مع بنيتها ووظيفتها ولنعرض لبعض الصفات الجسدية التى لا يسعنا عندما نتأملها إلا أن نقول سبحان الله الذى خلق فأحسن :

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ [سورة الزمر : ٦٧]

١.ضخامة الجسم وارتفاع القوائم وطول العنق يمكن الجمل من سرعة الحركة ، واتساع مجال الرؤية ومن اختزان كميات كبيرة من الماء والغذاء والدهون والطاقة تعينه على احتمال الجوع والعطش لفترات لا يقوى عليها حيوان آخر .

٢ . لرأس الجمل أنف ذو منخارين أعطاها الله تعالى القدرة على الانغلاق كلياً تحاشياً لرمال الصحراء العاصفة ، وله أهداب تقيه من هبوب العواصف الرملية ، ولفم الجمل شفتان عريضتان ، العليا منهما مشقوقة حتى تمكنه من تناول الأعشاب الشوكية دون أن تؤذيه .

٣. له أذنان صغيرتان عليهما شعر كثيف لوقايته من الرمال العاصفة ، وقد أعطاهما القدرة على الانثناء للخلف والالتصاق بجانبى الرأس لمنع دخول الرمال فيهما .

٤.أقدام الجمل منبسطة على هيئة الخف المكون من نسيج دهنى سميك يعين الجمل على السير فوق الرمال الناعمة .

٥. ذيل الجمل محاط بشعر كثيف يحمى أجزاء جسده الخلفية من كل أذى خاصة من الرياح العاصفة المحملة بالرمال .

٦. طول سيقانه تبعده عن التأثر بحرارة الأرض ، وارتفاع سنامه يبعد غالبية جسده عن التأثر بحرارة الشمس ، والجمل يتحمل الجوع الشديد ، فلو أنك حرمت الجمل الطعام أمداً طويلاً فإنه يهضم الطعام الذى كان قد أكله ، وقد ركب الله فى ظهره مستودعاً غذائياً يكفيه عشرات الأيام ، بل ما يعادل الشهر فى ذلك السنام .

٧.جعل الله سبحانه وتعالى جلده غليظاً جداً ، قليل المرونة قادراً على تحمل العواصف الحارة المحملة بالرمال عند هبوبها ، وعلى مقاومة لسعات الحشرات ، ويغطيه وبر سميك يدفئ جسم الجمل فى الشتاء ، ويحميه من حرارة الشمس الحارقة فى الصيف خاصة ، فيعكس حرارته بلونه الفاتح ، وجلد الجمل يمتاز بقلة انتشار الغدد العرقية فيه مما يقلل من فقدان مخزونه المائى عن طريق العرق .[١]

يقول ابن القيم :«تأمل الحكم البالغة في إعطائه سبحانه بهيمة الأنعام الأسماع والأبصار، ليتم تناولها لمصالحها ويُكمِل انتفاع الإنسان بها ؛ إذ لو كانت عمياء أو صمّاء لم يتمكّن من الانتفاع بها ، ثم سلبها العقول على كبر خلقها التي للإنسان ليتمّ تسخيره إيّاها، فيقودها ويصرفها حيث شاء؛ ولو أُعطيت العقول على كبر خلقها لامتنعت من طاعته ، واستعصت عليه ، ولم تكن مسخّرة له . فأُعطيت من التمييز

(١) تفسير الآيات الكونية - زغلول النجار ٤/٤٥٢.

والإدراك ما تتمّ به مصلحتها ومصلحة مَن ذلك له ، وسُلِبت من الذِّهن والعقل ما ميّز به عليها الإنسان وليظهِر أيضًا فضيلة التمييز والاختصاص.

ثم تأمّل كيف قادها وذلّلها على كبر أجسامها ، ولم يكن يطيقها لولا تسخيره ؛ قال الله تعالى:

﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[سورة الزخرف:١٢- ١٣]. وقال تعالى:

﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [سورة يس:٧١- ٧٣]

فترى البعير على عظم خلقته يقوده الصبي الصغير ذليلاً منقادًا ؛ ولو أُرسِل عليه لسوّاه بالأرض، ولفصله عضوًا عضوًا ؛ فسَلْ المعطِّل من الذي ذلّله وسخّره وقاده على قوَّته لبشر ضعيف من أضعف المخلوقات ؛ وفرَّغ بذلك التسخير النوع الإنساني لمصالح معاشه ومعاده ؛ فإنه لو كان يُزاول من الأعمال والأحمال ما يزاول الحيوان لشغل بذلك عن كثيرٍ من الأعمال ؛ لأنه كان يحتاج إلى مكان الجمل الواحد إلى عدّة أناسي يحملون أثقاله وحمله ، ويعجزون عن ذلك ، وكان ذلك يستفرغ أوقاتهم ويصدّهم عن مصالحهم ، فأعينوا بهذه الحيوانات ، مع ما لهم فيها من المنافع التي لا يحصيها إلاّ الله من الغذاء والشراب والدواء واللباس والأمتعة والآلات والأواني والركوب والحرث والمنافع الكثيرة والجَمَال. (١)

﴿ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ :

السماء :كل ما علاك فأظلك من سقف ونحوه . (٢)

أى وإلى السماء البديعة المحكمة كيف رفع الله بناءها وأعلى سمكها بدون عمد نراها .

" أفلا ينظرون إليها كيف رفعت.... ؟ من ذا رفعها بلا عمد.. ؟ ونثر فيها النجوم بلا عدد ..؟ وجعل فيها هذه البهجة وهذا الجمال وهذا الإيحاء ؟ إنهم لم يرفعوها وهى لم ترفع نفسها فلابد لها من رافع ولابد لها من مبدع . (٣)

ولونها الصافى الجميل الذى ترتاح له النفس ، بالله عليكم من يستطيع أن يجعل لون كل هذه السماء بدرجة لون واحدة فليس هناك لون غامق وآخر فاتح.. !! بل الأعجب من ذلك أن كل يوم لونها هو هو لم يتغير ولم يتبدل ، بيد من هذا... !!!

---

(١) مفتاح دار السعادة-ابن القيم٢/٦٦٥- ٦٦٦. (٢)عمدة الحفاظ – السمين الحلبي ٢/٢٢٤. (٣)فى ظلال القرآن-سيد قطب ٦/٣٨٩٨- ٣٨٩٨ .

﴿ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ :

نصبت : أى مرساة مثبتة لا تزول .[١]

أفلا ينظرون إلى الجبال الشاهقة كيف نصبت على الأرض راسخةفالجبال عند العربى ملجأ وملاذ وأنيس وصاحب ،حيث يتضاءل الإنسان إلى جوارها ويستكين،والنفس فى أحضان الجبل تتجه بطبيعتها إلى الله، وتشعر أنها أقرب إليه وتبعد عن ضجيج الحياة ، فالجبال هى أوتاد الأرض .[٢]

يقول ابن القيم :ثم تأمّل الحكمة العجيبة في الجبال التي يحسبها الجاهل الغافل فضلة في الأرض لا حاجة إليها ؛ وفيها من المنافع ما لا يحصيه إلاّ خالقها وناصبها.

فمن منافعها أن الثلج يسقط عليها فيبقى في قللها حاصلاً لشراب الناس إلى حين نفاذه ، وجعل فيها ليذوب أولاً فأولاً، فتجيء منه السيول الغزيرة وتسيل منه الأنهار والأودية ، فينبت في المروج والوِهاد والرُّبا ضروب النبات والفواكه والأدوية التي لا يكون مثلها في السهل والرمل، فلولا الجبال لسقط الثلج على وجه الأرض فانحلّ جملةً وساح دفعةً فعَدِمَ وقت الحاجة إليه ، وكان في انحلاله جملة السيول التي تهلك ما مرّت عليه فيضرّ بالناس ضررًا لا يمكن تلافيه ولا دفعة لأذيّته.

ومن منافعها ما يكون في حصونها وقللها من المغارات والكهوف والمعاقل التي بمنزلة الحصون والقِلاع وهي أيضًا أكنان للناس والحيوان.

ومن منافعها ما ينحت من أحجارها للأبنية على اختلاف أصنافها.

ومن منافعها ما يوجد فيها من المعادن على اختلاف أصنافها من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والزبرجد والزمرّد وأضعاف ذلك من أنواع المعادن التي يعجز البشر عن معرفتها.

ومن منافعها أنها تكون حصونًا من الأعداء يتحرّز فيها عباد الله من أعدائهم كما يحصّنون بالقِلاع، بل تكون أبلغ وأحصن من كثيرٍ من القِلاع والمدن .

ومن منافعها ما ذكره الله تعالى في كتابه أن جعلها للأرض أوتادًا تثبّتها ورواسي بمنزلة مراسي السفن ، وأعظم بها من منفعة وحكمة.

هذا وإذا تأمّلت خلقتها العجيبة البديعة على هذا الوضع وجدتها في غاية المطابقة للحكمة؛ فإنها لو طالت واستدقّت كالحائط لتعذّر الصعود عليها ، والانتفاع بها ، وسترت عن الناس الشمس والهواء فلم يتمكّنوا من الانتفاع بها ، ولو بسطت على وجه الأرض لضيّقت عليهم المزارع والمساكن وملأت السهل ، ولما حصل لهم بها الانتفاع من التحصّن والمغارات والأكنان ، ولما سترت عنهم الرياح ولما حجبت السيول، ولو جُعِلَت مستديرة شكل الكرة لم يتمكّنوا من صعودها ولما حصل لهم بها الانتفاع التامّ . فكان أولى

(١) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٣١٩/٥

(٢) فى ظلال القرآن -سيد قطب ٣٨٩٨/٦.

الأشكال والأوضاع بها وأليقها وأوقعها على وفق المصلحة هذا الشكل الذي نُصِبَت عليه. ولقد دعانا الله سبحانه في كتابه إلى النظر فيها وفي كيفية خلقها فقال تعالى :

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة الغاشية:١٧-١٩]

فخلقها ومنافعها من أكبر الشواهد على قدرة بارِيها وفاطِرها وعلمه وحكمته ووحدانيته ؛ هذا مع أنها تسبِّح بحمده وتخشع له وتسجد وتشقق وتهبط من خشيته .. هذا وإنها لتعلم أن لها موعدًا ويومًا تنسف فيها نسفًا ، وتصير كالعهن من هوله وعظمه ؛ فهي مشفقة من هول ذلك الموعد منتظرة له.[١]

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [سورة طه :١٠٥-١٠٧]

﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ :

أى إلى الأرض التى يعيشون عليها كيف بسطت ومهدت حتى صارت شاسعة واسعة ، يستقرون عليها ويزرعون فيها أنواع المزروعات .[٢]

" ولنقف هنا وقفة قصيرة أمام هذا الجمال التصويرى لهذه المشاهد الكونية ، لنرى كيف يخاطب القرآن الوجدان الدينى ، إن المشهد يضم السماء المرفوعة والأرض المبسوطة والجبال المنصوبة ،إنها لوحة متناسقة الأبعاد والاتجاهات[٣] ، ولما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد ولم يعتبر بذلك الكفار أمر نبيه بوعظهم وتذكيرهم فقال سبحانه:

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾[سورة الغاشية:٢١-٢٦]

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ :

فذكرهم بالآخرة وما فيها ، وبالكون وما فيه ، فالقرآن هو كتاب الله المسطور ، والكون هو كتاب الله المنظور ، إنما أنت مذكر هذا هو دورك فى الدعوة ، فإنك ميسر لهذا ومكلف به .[٤]

(١) مفتاح دار السعادة- ابن القيم ٢/٦٢٢– ٦٢٨.
(٢) صفوة التفاسير –الصابونى ٣/٥٥٣.
(٣)، (٤) فى ظلال القرآن – سيد قطب ٦/٣٨٩٩. بتصرف .

﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ :

مصيطر : متسلط .[١]

أى لست عليهم بمتسلط ولا قاهر حتى تجبرهم على الإيمان ، فإنك لا تملك من أمر قلوبهم شيئا حتى تقهرهم ، فالقلوب بين أصابع الرحمن يحركها كيفما يشاء ، لا يقدر عليها إنسان ، فالرسول ما عليه إلا البلاغ ويترك كل شيء لقدر الله يفعل ما يشاء .[٢]

﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴾ :

لكن من أعرض عن الوعظ والتذكير وكفر بالله العلى القدير .[٣]

﴿ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾ :

أى فيعذبه الله بنار جهنم الدائم عذابها ، قال القرطبى : " إنما قال الأكبر لأنهم عذبوا فى الدنيا بالجوع والقحط والأسر والقتل والقحط والأسر"[٤] فكان الجزاء من جنس العمل .

﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴾ :

إيابهم :رجوعهم .[٥]

إلينا وحدنا رجوعهم بعد الموت فلا مفر من العودة إلى الله ولا محيد لهم من حسابه وجزائه.[٦]

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ :

ثم إن علينا وحدنا حسابهم وجزاؤهم ،[٧] "فأنت أيها الإنسان فى قبضة الله العلى العظيم ففيما الظلم والتكبر على عباد الله...!! وما أنت إلا مخلوق ضعيف من مخلوقات الله العظيمة ، فسوف تعود إلى ربك وتتلقى جزاء عملك فلتتفكر فى نهايتك ومصيرك ولا تغتر بقوتك .

*****

(١) معانى القرآن وإعرابه-الزجاج ٣١٩/٥.
(٢)فى ظلال القران-سيد قطب٣٨٩٩/٦.
(٣) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٥٤/٣.
(٤) تفسير القرطبي ٣٧/٢٠ .
(٥) معانى القرآن وإعرابه – الزجاج ٣١٩/٥.
(٦)فى ظلال القران- سيد قطب ٣٨٩٩/٦.
(٧) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٥٤/٣.

﴿ سُورَةُ الْفَجْرِ ﴾

■ **ما المحور الذى تدور حوله السورة ؟**

ذكر قصص الأمم المكذبين لله والرسل ، وما حل بهم من عذاب ودمار،كذلك ابتلاء الناس بالخير والشر ، ثم تتحدث عن الآخرة وأهوالها ومآل السعداء ومآل الأشقياء .

■ **ما ترشد إليه السورة :**

١. ذكر قصص بعض الأمم المكذبين لرسل الله كقوم عاد وثمود وقوم فرعون ، وبيان ما حل بهم من العذاب والدمار بسبب طغيانهم .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ﴾ [سورة الفجر : ٦-١٠]

٢. بيان سنة الله تعالى فى ابتلاء العباد فى هذه الحياة بالخير والشر والغنى والفقر ، وطبيعة الإنسان فى حبه الشديد للمال.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ ﴾ [سورة الفجر : ١٥-١٦]

٣. الآخرة وأهوالها وشدائدها ، وانقسام الناس يوم القيامة إلى سعداء وأشقياء ، وبيان مآل النفس الشريرة والنفس الكريمة الخيرة . (١)

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٢٣ ﴾ [سورة الفجر : ٢١-٢٣]

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥ ﴾ [سورة الفجر : ١-٥]

(١) صفوة التفاسير– الصابونى ٥٥٥/٣.

﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴾ :

الفجر: ضوء الصباح ، وهو حمرة الشمس فى سواد الليل ، وهما فجران أحدهما : المستطيل وهو الكاذب ، والآخر: وهو الصادق المنتشر فى الأفق الذى يحرم الأكل والشرب على الصائم . (١)

يقسم الله بالفجر ساعة انقشاع ظلمة الليل وبزوغ ضوء النهار رويدًا رويدًا،(٢)وقيل المراد بذلك الصلاة التى تفعل عنده. (٣)

﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ :

قيل هى العشر من ذى الحجة (٤)، وقيل هى العشر الأول من محرم ، وقيل العشر الأواخر من رمضان ، وقيل العشر الأول منه ، فهى ليال عشر لا يعلمها إلا الله ، ولها عنده شأن . (٥)

﴿ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴾ :

الوتر: الفرد ، قال الأسود بن يزيد : الشفع يوم النحر ، والوتر يوم عرفة ، وقال عطاء :الوتر هو الله الواحد، والشفع جميع خلقه خلقوا أزواجاً ذكر وأنثى ، وقال ابن عباس : الوتر آدم شفع بزوجته ، وقيل: إن الأعداد كلها شفع ووتر (٦)، ومن الصلاة الشفع والوتر .

﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ : يسر: إذا مضى. (٧) وأقسم بالليل إذ يمضى بحركة الكون العجيبة .

﴿ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴾ :

حجر:لذى عقل ولب .(٨)

وإنما سمى العقل حجر لأنه يمنع الإنسان من تعاطى ما لايليق من الأفعال والأقوال ، ومنه حجْرُ البيت لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامى ، وحَجَرَ الحاكم على فلان إذا منعه من التصرف. (٩)

استفهام تقريرى لفخامة شأن الأمور المقسم بها ، فإنه لقسم عظيم عند ذوي العقول والألباب ، فمن كان ذا لب وعقل علم أن ما أقسم الله عز وجل به من هذه الأشياء فيها ما فيها من العجائب . (١٠)

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤ ﴾ [سورة الفجر : ٦-١٤]

(١) لسان العرب ٤٥/٤.
(٢) عمدة التفسير– ابن كثير قاله : ابن عباس ومجاهد وعكرمة٣ /٦٨٠ .
(٣) قاله عكرمة-عمدة التفسير– ابن كثير٣ /٦٨٠ .
(٤) قاله: ابن عباس وابن الزبير ومجاهد– التسهيل لعلوم التنزيل ٥٦٨/٢.
(٥) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٦٨/٢ .
(٦) لسان العرب ١٨٣/٨، عمدة التفسير– ابن كثير ٥٨٠/٣-٥٨١.
(٧) معانى القرآن الكريم وإعرابه- الزجاج ٣٢١/٥
(٨) معانى القرآن الكريم وإعرابه – الزجاج ٣٢١/٥ .
(٩) عمدة التفسير -ابن كثير ٦٨٢/٣.
(١٠) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٥٦/٣.

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ :

الاستفهام هنا لليقظة والالتفات ، والخطاب للنبى-ﷺ-، ثم الخطاب لكل من يقرأ القرآن للعظة والعبرة والتبصر فى مصير أولئك الأقوام ، أى لم يبلغك يامحمد ماذا فعل الله بعاد قوم هود عليه السلام، فهاهى ممالك عظيمة وملوك قد بلغوا من القوة ، فأين هم الآن... وما مصيرهم... ؟

" وإضافة الفعل إلى ربك فيها طمأنينة للمؤمن وأنس وراحة ، وبخاصة أولئك الذين كانوا يعانون طغيان الطغاة وتعسف الجبارين المشركين ، وقد جمع الله فى هذه الآيات القصار مصرع أقوى الجبارين ، مصرع عاد وإرم ، وهى عاد الأولى ، وقيل إنها من العرب العاربة ، وكان مسكنهم بالأحقاف ، وهى كثبان الرمال فى جنوبى الجزيرة بين حضرموت واليمن ، وكانوا بدوًا لديهم خيام ، وكانت مسيطرة على المنطقة كلها ، وصفهم الله بالقوة والبطش ".[١]

﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ :

العماد: العمود: الخشبة التى يقوم عليها البيت ، وأَعْمَدَ الشىء: أى جعل تحته عمداً ، ذات العماد: أى ذات البناء الرفيع المعْمَد.

وقال الفراء : ذات العماد لأنهم كانوا أهل عَمَدٍ ينتقلون إلى الكلأ حيث كان ثم يرجعون إلى منازلهم .[٢] أى عادًا الأولى أهل إرم ذات البناء الرفيع لقد تفوقت بالبناء والعمران وبالقوة العسكرية .

لقد اختلف المفسرون فى تفسير معنى إرم فهناك من قال إرم : قبيلة عاد سميت باسم جدهم ، وقيل : إرم اسم لمدينتهم ، فمن قال: إرم قبيلة قال : العماد أعمدة بنيانهم لأنهم كانوا أهل عمود ، وقال ابن عباس: وذلك كناية عن طول أبدانهم ، ومن قال : إرم مدينة ، فالعماد : الحجارة التى بنيت بها ،وقيل : القصور والأبراج.[٣]

﴿ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾ :

أى تلك القبيلة التى لم يخلق الله مثلها فى قوتها وشدتها وضخامة أجسامهم[٤]، صفة للقبيلة لأنهم كانوا أعظم الناس أجساماً ، يقال :كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع ، أو صفة للمدينة وهذا أظهر لقوله فى البلاد ولأنها كانت أحسن مدائن الدنيا ، وروى أنها بناها شداد بن عاد فى فى ثلاثمائة عام وكان عمره تسعمائة عام ، فلما أتمها وسار إليها بأهل مملكته أهلكهم الله.

والمقصود بذلك تخويف أهل مكة بما صنع الله تعالى بعاد ،الذين كانوا أطول أعمارًا وأشد قوة من كفار مكة ، وكيف أهلكهم الله بصيحة ، لقد كانت هذه المدينة باليمن[٥] ، وكانوا يسكنون البيوت التى ترفع بالأعمدة الشداد ، وقد كانوا أشد الناس فى زمانهم خلقه وأقواهم بطشا ، ولهذا ذكرهم هود عليه السلام بتلك النعمة وأرشدهم أن يستعملوها فى طاعة ربهم الذى خلقهم[٦]فكذبوه وخالفوه فذكر الله تعالى كيف أهلكهم ودمرهم وجعلهم عبرة لمن يعتبر .

(١) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٩٠٣/٦.
(٢) لسان العرب ٣٠٣/٣.
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٦٩/٢.
(٤)عمدة التفسير- ابن كثير ٦٨٢/٣.
(٥)التسهيل لعلوم التنزيل ٥٦٩/٢ ، القرطبى ٤٧/٢٠.
(٦)عمدة التفسير–ابن كثير ٦٨٢/٣.

﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴾ :

ثمود: قبيلة من العرب الأول أنهم بقية عاد، وهم قوم صالح عليه السلام[١] أى وكذلك ثمود الذين قطعوا صخر الجبال ونحتوا بيوتًا بوادى القرى ، وكانت مساكنهم فى الحجر يقال: بين الحجاز وتبوك.

قال محمد بن إسحاق: " أول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود ، فبنوا من المدائن ألف وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة ومن الدور والمنازل ألفى ألف وسبعمائة ألف كلها من الحجارة ، وقد قال تعالى :

﴿ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [سورة الحجر :٨٢]

كانوا لقوتهم يخرجون الصخور وينقبون الجبال ، فيجعلونها بيوتًا لأنفسهم بالوادى أى بوادى القرى.[٢]

﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴾ :

وقيل ذى الأوتاد لأنه كان له أربع أساطين إذا عاقب الإنسان ربط فيه كل قائمة إلى الأسطوانة .[٣]

ويقال :كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم فى أوتاد من حديد يعلقهم بها ، وكذا قال مجاهد :كان يوتدالناس بالأوتاد.[٤]

أى وكذلك فرعون الطاغية الجبار ذو الجنود والجموع والجيوش التى تشد ملكه وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التى يضربونها فى منازلهم أو لتعذيبه بالأوتاد .[٥]

﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَادِ ﴾ :

أى أولئك المتجبرين عاد وثمود وفرعون ، الذين تمردوا وجاوزوا الحد فى الظلم والطغيان .[٦]

فالطغيان يفسد الطاغية ، حيث يجعل الطاغية أسير هواه حيث يحطم الموازين والقيم ؛ لأنها خطر عليه فلابد من تزوير فى الموازين، وتزييف للقيم كى تتقبل صورة البغى البشعة ، ويفسد الذين يقع عليهم الطغيان حيث يجعلهم أرقاء أذلاء يتصارع بداخلهم مشاعر السخط ، والحقد الدفين .[٧]

﴿ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴾ :

فلما أكثروا فى البلاد الظلم ، والجور والقتل وسائر المعاصى والآثام كان العلاج هو تطهير وجه الأرض من الفساد .[٨]

﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ :

لماذا سمى السوط سوطا ؟

لأنه إذا سيط به إنسان أو دابة خلط الدم باللحم ،وقوله تعالى :﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ أى نصيب عذاب لأن العذاب قد يكون بالسوط، قال الفراء :هذه الكلمة تقولها العرب لكل نوع من العذاب يدخل فيه السوط فهذا مما جرى به الكلام والمثل فهو عندهم غاية العذاب .[٩]

فأنزل الله عليهم ألوانًا شديدة من العذاب ؛ فأهلكت عاد بالريح ، وثمود بالصيحة ، وفرعون وجنوده بالغرق ،"واستعمل لفظ الصب لاقتضائه السرعة ، والكثرة فى النزول على المضروب " .

---

(١) لسان العرب ١٠٥/٣ .
(٢) قاله محمد بن إسحاق– القرطبي ٤٨/٢٠.
(٣) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج ٣٢٢/٥.
(٤) وهكذا قال سعيد بن جبير والحسن والسدى عمدة التفسير- ابن كثير ٣ /٦٨٣ .
(٥) تفسير أبى السعود ١٥٥/٩ .
(٦) صفوة التفاسير –الصابونى٣/ ٥٥٧. (٧)، (٨) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٩٠٤/٦.
(٩) لسان العرب ٣٢٦/٧.

والصب هنا مستعار لحلول العذاب دَفْعَةً ، وإحاطته بهم كما يصب الماء على المغتَسِل ، أو يصب المطر على الأرض ، فلقد استعمل لفظ الصب لاقتضائه السرعة والكثرة فى النزول على المضروب فوجه الشبه مركب من السرعة والكثرة ، وكأن العذاب الذي أصاب هؤلاء عذاباً مفاجئاً قاضياً .(١)

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ :

قال الزجاج : أى يرصد من كفر به وعبد غيره بالعذاب ،(٢) وقال ابن عرفة : أى يرصد كل إنسان حتى يجازيه بفعله،وقال ابن الأنبارى:المرصاد الموضع الذى ترصد الناس،وقيل: المكان الذى يرصد فيه العدو.(٣)

قال ابن عباس: يسمع ويرى يعنى يرصد خلقه فيما يعملون ، ويجازى كلا بسعيه فى الدنيا والأخرى ، وسيعرض الخلائق كلهم عليه فيحكم فيهم بعدله،ويقابل كلا بما يستحقه وهو المنزه عن الظلم والجور.(٤)

لمسة طمأنينة لقلب كل مؤمن وهو يواجه الطغيان فى أى زمان ومكان ،فقد تبكى بكاء المضطر وتنام، والله لا ينام عن تدبير أمورك تمهل أنه يدبر إليك فى الغيب أمور لو علمتها لبكيت فرحاً ، فربك راصد لايفوته شيء ، فليطمئن بال المؤمن فإن ربه هناك بالمرصاد للطغيان والشر والفساد ، فلتترك كل شيء لقدر الله يجريه كيفما يشاء ....

"فالله يرى ويحاسب ويجازى وفق ميزان دقيق لا يخطئ ولا يظلم ولا يأخذ بظواهر الأمور ولكن بحقائق الأشياء "(٥) ، وقد يوجد الله الظلم فى الأرض ليتشوق الناس إلى الحق والعدل ، فالظلم هو جندى من جنود الله ، كما أن الكفر هو جندى من جنود الله ليتشوق الناس للعدل والإيمان ، والله فى النهاية لا يترك الظالم فهو يمهل ولكن لا يهمل.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[سورة فاطر : ٤٥].

قد يسأل سائل: **ما الفائدة من تلك القصص**... فتلك شعوب قديمة هلكت وانتهت ؟

والجواب: من لا يفهم الماضى فلن يفهم الحاضر، ومن لا يعتبر من أخطاء غيره فلابد أن يقع فيها ،فهذا خطاب لكل عصر حيث توجد دول قوية ودول ضعيفة ، فلا تنبهر الشعوب الضعيفة بالشعوب القوية ، وتراها ماردًا قويًا جبارًا يفعل مايريد ، أليست هذه الأمم أمثال عاد وثمود تسلب أمن الشعوب وتبنى مجدها على أنقاض الشعوب ، تبنى غناها على إفقار الآخرين لقد طغت وبغت وتغطرست ونسيت وعيد الله فما مصيرها ؟

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾[سورة الفجر : ١٥-١٦]

(١) التحرير والتنوير –ابن عاشور ٣٠ /٣٢٢.
(٢) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٥ /٣٢٢.
(٣) لسان العرب ١٧٨/٣.
(٤) عمدة التفسير -ابن كثير ٣/ ٦٨٣
(٥) فى ظلال القرآن-سيد قطب ٣٩٠٤/٦

يقول الله تعالى منبهاً على الإنسان فى اعتقاده إذا وسع عليه فى الرزق ليختبره فى ذلك فيعتقد أن ذلك من الله إكرام وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان .

﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦ ﴾

[سورة المؤمنون:٥٥-٥٦]

وكذلك فى الجانب الآخر : إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه فى الرزق يعتقد أن ذلك إهانه له قال الله تعالى (كلا) أى ليس الأمر كما زعم لا فى هذا، ولا فى هذا ؛فإن الله يعطى المال من يحب ، ومن لا يحب، ويضيق على من يحب ،وإنما المدار فى ذلك على طاعة الله فى كلتا الحالتين فإذا كان غنياً يشكر الله على ذلك ،وإذا كان فقيراً بأن يصبر . فهو لايدرك الحكمة من المنع والعطاء . (١)

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ ﴾ :

أى إذا اختبره ربه وامتحنه بالنعمة ، سواء بالمال أو الجاه أوالبنين فلا يدرك أنه ابتلاء تمهيدًا للجزاء . (٢)

﴿ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴾ :

أى ربى أحسن إلى بما أعطانى من النعم ، على وجه الفخر بذلك والكبر لا على وجه الشكر،(٣) ولم يعلم أن هذا ابتلاء له أيشكر أم يكفر .

إن الله يعطى الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب ، بينما لا يعطى الدين إلا لمن أحب ، فالمال قد أعطاه الله لقارون ولسيدنا عثمان ، فأنت ممتحن فيما أعطاك الله إياه وفيما منعك منه فأنت ممتحن مرتان مرة عند السلب ، ومرة عند العطاء ، فالله يحب المؤمن الذى عرفه واستقام على أمره .

فأنت ممتحن فيما حرمك الله وفيما أعطاك ؛ فإن أعطيت الغنى فأنت ممتحن بالغنى ،وإن ابتليت بالفقر فأنت ممتحن فى الفقر، فى كل حركة وفى كل سكنة ، فى كل قطع وفى كل منع ، فى كل صلة وكل قطيعة ، فى كل غضب وفى كل رضا أنت ممتحن ، فهنيئًا لمن نجح فى الامتحان .

﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ ﴾ :

الابتلاء :هو الاختبار، واختبار الله للعبد لتقوم عليه الحجة ،(٤) أى إذا اختبره وامتحنه ربه بالفقر وتضييق الرزق .

معظم الناس تعتقد أن الخير فى المال ، مع أن الحقيقة غير ذلك لأن المال قد يكون نقمة عليك، بدلاً من أن يكون نعمة ، فقد تعتقد أن رضا الله فى الثروة والنفوذ والسلطان مع أن ذلك قد يكون عدم رضا، "فالمال جزء من الرزق، وليس المال وحده هو الرزق ولكن هناك رزق الصحة، ورزق الولد، ورزق البركة.

إن علينا أن ندرك أن نعم الله لا تكون بكثرة العطاء فقط ، ولكن تكون أيضا بإبعاد مهلكات المال عنك ، فعطاء البركة دائما يعطيه الله للمؤمنين ، فتجد الرزق قليلاً ولكنه يغطى لك كل الحاجات وكل النفقات ،فكل نعمة من الله هى رزق وليس المال وحده .ومن ذلك يتضح دقة الميزان الذى وضعت عليه الحياة ،إنه ميزان دقيق يعطى بالعدل، لا يسلب من أحد ميزة إلا أعطاه ميزات. (٥)

(١) عمدة التفسير- ابن كثير ٦٨٣/٣. (٢)، (٣)، (٤) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٧٠/٢. (٥) الخير والشر –الشعراوى (٣٨-١٠٣-١٠٤-٨٩)

﴿ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴾ :

أى ربى أهاننى بتضييق الرزق على ، وذلك على وجه التشكى من الله ، وقلة الصبر والتسليم لقضاء الله ، فالواجب عليه أن يشكر على الخير، ويصبر على الشر[١] "وهذه صفة الكافر ؛ إنما الكرامة عنده والهوان بكثرة حظوظه فى الدنيا ، أما المؤمن فالكرامة عنده أن يكرمه الله بطاعته وتوفيقه المؤدى إلى حظ الآخرة ".[٢]

يقول ابن عطاء الله السكندرى : إذا فتح الله بصيرتك رأيت المنع عين العطاء ، فلو كشف الغطاء لاخترتم الواقع فليس عطاء الله إكرامًا ، ولا منعه حرماناً ، فعطاء الله ابتلاء وحرمانه دواء ، ويقول أيضا: "فربما أعطاك الله فمنعك ، وربما منعك فأعطاك".

وقد يكون العطاء من الخلق حرمانًا والمنع من الله إحسانًا، "ومتى فتح الله لك باب الفهم فى المنع عاد المنع عين العطاء" [٣]، وإنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه ، ومتى أوحشك من خلقه فليفتح لك باب الأنس به ، فلا تجعل الدنيا مقياسًا للمنع والعطاء ، فالدنيا لحقارتها عند الله لم يشأ أن يجعلها علامة رضوانه ، وأبى أن يجعلها علامة سخطه ، ولكن لها علاقة بحكمة يريدها الله عز وجل .

﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾[سورة الفجر : ١٧-٢٠]

﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴾ :

يقول ربنا عز وجل كلا زاجرًا ورادعًا أى ليس الأمر كما يظن هؤلاء الذين يدعون أن العطاء إكرام، والمنع إهانة ، رفض الله مقولتهم واعتقادهم وتفكيرهم ؛ إنما الأمر أنكم لا توفون بحق المال ، فأنتم لا تكرمون اليتيم الصغير مع إكرام الله لكم بكثرة المال.[٤]

﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ :

الحض على الأمر هو الترغيب فيه،[٥] أى لا تأمرون بالإحسان إلى الفقراء والمساكين، فلا يحض بعضكم بعضًا على إطعام المسكين وعونه .[٦]

﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴾ :

لَّمّا:يلَّمون بجمعه .[٧] وتأكلون الميراث أكلاً شديدًا ، لا تسألون أحلال هو أم حرام ؟[٨] لأن العرب قديمًا كانوا لا يعطون الميراث أنثى ولا صغيرًا ، بل ينفرد به الرجال .

﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ :

جمّاً :كثيراً .[٩] ووصف الحُبّ بالكثرة مراد به الشدة ؛ لأن الحب معنى من المعانى النفسية لا يوصف

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٧٠/٢.
(٢) تفسير القرطبى ٥١/٢٠.
(٣) من الحكم العطائية الحكمة ٨٣-٨٤ .
(٤) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٥٨/٣ .
(٥) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٧٠/٢ .
(٦) عمدة التفسير-ابن كثير ٦٨٤/٣.
(٧) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج ٣٢٣/٥ .
(٨) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٧٠/٢.
(٩) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٣٢٣/٥ .

بالكثرة ، فالجم مستعار لمعنى القوى الشديد ، أى جما مفرطا ، وذلك محل ذم حب المال لأن إفراط حبه يوقع فى الحرص على اكتسابه بالوسائل غير المشروعة كالغصب والاختلاس والسرقة وأكل الأمانات،[١] أى وتحبون المال حبًا كثيرًا مع الحرص والشره وبخلهم بإنفاقه.[٢]

فالمال خادم جيد وسيد رديء "أى إنك إذا حصلت على المال استطعت أن تحقق به كل شيء فهو الذى يشترى لك ما تريد، ويأتيك بما تشتهى هذا إذا جعلته خادماً لك ،ولكن إذا جعلته سيداً لك وكنزته وأصبح هدفك أن تجمع المال من حلال أو حرام فإنك تصير عبداً للمال لا تستفيد منه ، وإنما هو يسجنك فيحرمك مما تشتهى لأنك لا تريد إنفاق مالك ، ولا تتمتع به لأنك لا تريد أن تفارقه.[٣]

فكل من جعل المال أكبر همه ومنتهى أمله فهو معذب النفس متعب القلب ، لا يغنيه قليل ولا يشبعه كثير فأى لذة فى جمع الأموال إذا افتقد صاحبها الأمن والسكينة والطمأنينة ، إن كان صاحبها يبتلى بالخوف من زوالها والقلق والحرص على جمع المزيد ، والحرص على جمع المال دون المبالاة بمصدره أحلال أم حرام !!

والحق أن شهوة حب المال عمت الناس جميعًا حتى فتنوا بالدنيا وزهرتها ، وصارت غاية قصدهم ، بها يطلبون وبها يرضون ومن أجلها يغضبون وبسببها يقاطعون ، وكم قطعت أرحام فى سبيلها وسفكت دماء ووقعت الفواحش من أجلها ، وفرق بين الأخ وأخيه وتقاتل الأب مع ابنه وتعادى الأصحاب .

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة الفجر : ٢١-٢٦]

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ :

﴿دَكًّا دَكًّا ﴾ سَوّى صعودها وهبوطها وقد انْدَكّ المكان،[٤] ودك الأرض وتحطيم معالمها ،وتسويتها هو أحد الانقلابات الكونية التى تقع يوم القيامة.[٥]

ترسم لنا الآيات مشاهد من يوم القيامة والأهوال العظيمة فى ذلك اليوم ، وكأنك تسمع وترى ، فيقول الله تعالى: ارتدعوا أيها الغافلون وانزجروا عن ذلك فأمامكم أهوال عظيمة فى انتظاركم يوم القيامة ، وذلك حين تزلزل الأرض وينهدم كل بناء عليها ولا يبقى على ظهرها شيء .[٦]

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ :

قام الخلائق من قبورهم ، وجاء ربك لفصل القضاء بين العباد ، وجاءت الملائكة صفوفًا متتابعة .[٧]

(١) التحرير والتنوير -ابن عاشور٣٣٤/٣٠ . (٢) صفوة التفاسير– الصابونى ٥٥٨/٣ . (٣) الخير والشر –الشعراوى٦٠.
(٤) لسان العرب ٤٢٥/١٠. (٥) فى ظلال القرآن-سيد قطب ٣٩٠٦/٦. (٦)، (٧) صفوة التفاسير – الصابونى ٥٥٨/٣.

﴿ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ ﴾ : أى أحضرت جهنم ليراها المجرمون .

-{عَنْ عَبْدِ اللهِ ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**»} (١)

-{عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ**» قَالُوا : وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: « **فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا**» }(٢)

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ :

أى فى ذلك اليوم الرهيب يتذكر الإنسان عمله ، ويندم على تفريطه وعصيانه ، ويريد أن يقلع ويتوب(٣) ولكن قد فات الأوان ؛ ومضى بك الزمان، فلم يبق لك إلا الحسرة والندم حيث لا ينفع الندم ، يتذكر الإنسان الذى كان يظن أن كثرة ماله دلالة على إكرام الله له ، وظن أنه يحسن صنعًا ، وأن له الفردوس الأعلى، وبأن له الجنة ، وبأنه لن يعذب أبدًا ، هذا الإنسان إذا رأى الجحيم ، ورأى جهنم تزفر فإنه سيذكر تفريطه ومعاصيه ، وهل تنفع الذكرى ؟! .

﴿ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ :

الذكرى :التوبة. (٤) أى ومن أين يكون له الانتفاع بالذكرى وقد فات أوانها.. ؟

﴿ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴾ :

أى يقول نادماً متحسراً : ياليتنى قدمت لحياتى عملاً صالحًا ينفعنى فى آخرتى ، هذه هى الحياة الحقيقة التى تستحق الادخار ، وهى أمنية فيها حسرة وهى أقصى ما يملكه الإنسان فى الآخرة . (٥)

ثم تصور الآيات مصيره بعد الحسرة الفاجعة والأمنيات الضائعة.

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ :

أى فى ذلك اليوم ليس أحد أشد عذابًا من تعذيب الله من عصاه .

﴿ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ :

أى ولا يقيد أحد بالسلاسل والأغلال مثل تقييده للكافر الفاجر . (٦)

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الفجر : ٢٧-٣٠]

(١) (٢٨٤٢) صحيح مسلم-كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا – بَابٌ فِي شِدَّةِ حَرِّ نَارِ جَهَنَّمَ وَبُعْدِ قَعْرِهَا وَمَا تَأْخُذُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ.
(٢) (٢٨٤٣)صحيح مسلم – كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا – بَابٌ فِي شِدَّةِ حَرِّ نَارِ جَهَنَّمَ وَبُعْدِ قَعْرِهَا وَمَا تَأْخُذُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ.
(٣) صفوة التفاسير- الصابونى ٥٥٩/٣ .
(٤) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج ٣٢٤/٥.
(٥) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٩٠٦/٦.
(٦) صفوة التفاسير – الصابونى ٥٥٩/٣.

﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ :

المطمئنة: هى التى اطمأنت بالإيمان وأخبتت لربها . (١)

أى أيتها النفس المطمئنة التى أيقنت أن الله ربها وصبرت لأمره وطاعته ، الراضية بقضاء الله ، وقيل المطمئنة بذكر الله ، ارجعى إلى رضوان ربك وجنته راضية بما أعطاك الله من النعم ، مرضيه عنده بما قدمت من عمل . (٢)

فإن قلت متى يقال لها ذلك ؟ الجواب : إما عند الموت ، وإما عند البعث ، وإما عند دخول الجنة . (٣)

وقال ابن زيد: " إن هذا الخطاب يكون عند الموت ، وخروجها من جسد المؤمن." (٤)

أي نفس أنت؟ :

هل نفسك هى النفس **الأمارة بالسوء** التى قال فيها ربنا:

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ ﴾ [سورة يوسف : ٥٣]

أم نفسك هى **النفس اللوامة** التى قال فيها ربنا :

﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [سورة القيامة : ٢]

أم نفسك هى **النفس المطمئنة** التى قال فيها ربنا:

﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الفجر : ٢٧-٢٨] .

لقد اختلف العلماء هل النفس واحدة وهذه أوصاف لها ، أم للعبد ثلاث أنفس؟

فى الواقع أنها نفس واحدة ولكن لها صفات ، فتسمى مطمئنة باعتبار طمأنينتها إلى ربها بعبوديته ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه والرضا به والسكون إليه ، فيستغنى بمحبته عن حب ما سواه وبالشوق إليه وإلى لقائه عن الشوق إلى ماسواه ، وعلامة هذه الطمأنينة أن يطمئن من قلق المعصية وانزعاجها إلى سكون التوبة ، ولو فتش العاصى عن قلبه لوجد داخله المخاوف والانزعاج والقلق والاضطراب ، فإذا اطمأنت من الشك إلى اليقين ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الغفلة إلى الذكر ، ومن الخيانة إلى التوبة ، ومن الرياء إلى الإخلاص ، ومن الكذب إلى الصدق ، ومن الفتور إلى العمل ، وأصل ذلك ومنشؤه من اليقظة فهى أول مفاتيح الخير ، وهى فضل الله ومنته وإحسانه ؛ حيث يسرها له وأعانه عليها وهيأه لها ، فما به من نعمة فمن الله .

أما **النفس اللوامة** : وهى التى أقسم بها سبحانه فى قوله تعالى:

﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [سورة القيامة : ٢]

قالت طائفة هى التى لا تثبت على حال واحدة ، فهى كثيرة التقلب والتلون ، فتذكر وتغفل ، وتقبل وتعرض، وتحب و تبغض ، وتفرح وتحزن ، وتطيع وتعصي .

(١) لسان العرب ٢٦٨/١٣ .
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل بتصرف ٥٧٢/٢ .
(٣) الكشاف ٧٥٢/٤ .
(٤) البحر المحيط ٤٦٧/٨.

قال الحسن البصرى : " إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه دائمًا ، يقول : ما أردت بهذا.. ؟ لم فعلت هذا.. ؟ كان غير هذا أولى..، أو نحو هذا الكلام " .

وقال غيره: " هى نفس المؤمن توقعه فى الذنوب ثم تلومه عليها ، بخلاف الشقى فإنه لا يلوم نفسه على ذنب ؛ بل يلومها وتلومه على فواته" .

وقالت فرقة أخرى : " هذا اللوم يوم القيامة فإن كل أحد يلوم نفسه إن كان مسيئًا على إساءته ، وإن كان محسنًا على تقصيره " .

أما **الأمارة بالسوء**:

فهى التى تأمر بكل سوء ، وهذا من طبيعتها إلا من وفقها الله وثبتها وأعانها ، وقد امتحن الله سبحانه الإنسان بهاتين النفسين الأمارة واللوامة ، كما أكرمه بالمطمئنة ، فهى نفس واحدة تكون أمارة ثم لوامة ثم مطمئنة وهى غاية كمالها وصلاحها .

وأيد المطمئنة بجنود عديدة فجعل الملك قرينها وصاحبها الذى يليها ويسددها ويقذف فيها الحق ، ويرغبها فيه ويريها حسن صورته ، ويزجرها عن الباطل ويزهدها فيه ، ويريها قبح صورته ، وأمدها بما علمها من القرآن والأذكار وأعمال البر ، فتقوى على محاربة الأمارة .

وأما النفس الأمارة فجعل الشيطان قرينها ، فهو يعدها ويمنيها ويقذف فيها الباطل ويأمرها بالسوء ويمدها بأنواع الإمداد الباطل من الأمانى الكاذبة والشهوات المهلكة ، ويستعين عليها بهواها وإرادتها إليه ، وقد سلط الله سبحانه الشيطان على كل ماليس له ولم يرد به وجهه ، وأصعب شىء على النفس المطمئنة تخليص الأعمال من الشيطان ، فلو وصل عمل واحد إلى الله لنجا به العبد ، ولكن أبت الأمارة والشيطان أن يدعا لها عملاً واحدًا يصل إلى الله. [١]

﴿ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴾ :

أى ادخلى فى زمرة عبادى الصالحين ، وادخلى جنتى دار الأبرار الصالحين . [٢]

*****

(١) الروح - ابن القيم ٢٤٧-٢٥٥ .

(٢) صفوة التفاسير- الصابونى ٥٥٩/٣.

﴿ سُورَةُ البَلَدِ ﴾

- **ما المحور الذى تدور حوله السورة ؟**

تدور السورة الكريمة حول تثبيت العقيدة والإيمان ، والتركيز على الإيمان بالحساب والجزاء ، والتميز بين الأبرار والفجار .

- **ماترشد إليه السورة :**

١. ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالبلد الحرام ؛ تعظيمًا لشأنه وتكريمًا لمقامه الرفيع عند ربه ، ولفتًا لأنظار الكفار إلى أن إيذاء الرسول فى البلد الأمين من أكبر الكبائر عند الله تعالى .

٢. تحدثت عن كفار مكة الذين اغتروا بقوتهم ، فعاندوا الحق وكذبوا الرسول ، وأنفقوا أموالهم فى المباهاة والمفاخرة ظنًا منهم أن إنفاق الأموال يدفع عنهم عذاب الله .

٣. تناولت أهوال يوم القيامة ، وما يكون بين يدى الإنسان فى الآخرة من مصاعب ومتاعب وعقبات لايستطيع أن يقطعها أو يجتازها إلا بالإيمان والعمل الصالح .

٤. ختمت السورة بالتفريق بين المؤمنين والكفار فى ذلك اليوم العصيب ، وبينت مآل السعداء، ومآل الأشقياء فى دار الجزاء . (١)

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ ﴾[سورة البلد :١-٣]

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ :

البلد هو مكة بيت الله الحرام ، أول بيت وضع للناس فى الأرض ؛أنها المدينة الوحيدة التى ورد ذكرها وذكر حرمها الشريف فى كتاب الله ، فهى المدينة الوحيدة التى أقسم الله بها تشريفًا ،ونفى القسم فى اللغة العربية توكيد له وتعظيم للأمر المقسم به . (٢)

أنه تعالى أقسم بها لما جمعت من الشرفين، شرفها بإضافتها إلى الله تعالى، وشرفها بحضور رسول الله ﷺ وإقامته فيها، فصارت أهلاً لأن يقسم بها. (٣)

وبيت الله الحرام هو مركز لدائرة تمر بأطراف قارات العالمين القديم والجديد ، فالأرض اليابسة موزعة حول البيت بصورة منتظمة ،حيث تتمركز مكة المكرمة فى قلب دائرة تمر بأطراف جميع القارات حيث تتوزع اليابسة على سطح الكرة الأرضية حول مكة المكرمة توزيعا منتظما،بحيث تعتبر هذه المدينة المقدسة مركز لليابسة على أرضنا اليوم ،أما قديماً كانت الأرض فى الأصل قارة واحدة ثم تفتت بفعل الصدوع والخسوف الأرضية إلى تلك القارات السبع التى أخذت فى التباعد عن بعضها البعض ولا تزال تتباعد عن بعضها البعض حتى وصلت إلى أوضاعها الحالية ، وفى كل هذه الحالات كانت مكة المكرمة

(١) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٦٠/٣. (٢) تفسير الآيات الكونية - زغلول النجار ١٤٩/١. (٣) البحر المحيط ٤٦٨/٨.

دائما فى وسط اليابسة.[١]

ما علاقة القسم بمكة على خلق الإنسان فى كبد ؟

إن الله تعالى أقسم بمكة حال كون الرسول-ﷺ فيها والرسول-ﷺ كان يلاقى فيها عنتا ومشقة وهو يبلغ الدعوة فقال الله تعالى له إن الله خلق الإنسان مكابدا فى الدنيا ليسليه وليصبره على ما يلاقى من قومه من مشقة وشدة ليبلغ دعوة ربه ، وفى هذا إشارة إلى أن الدعاة ينبغى لهم أن يوطنوا أنفسهم على المكابدة والصبر وتحمل المشاق فإن هذا من لوازم الدعوة.[٢]

﴿ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ :

أحلت مكة للنبى-ﷺ ساعة من نهار، ولم تحل لأحد من قبله ولا أحد من بعده ، ومعنى أحلت له : أُحِلِّ له صيدها وأن يختلى خلالها وإن يعضد شجرها.[٣]

ويكرم الله نبيه محمد -ﷺ-ويذكر حله بهذا البلد وإقامته فيها ، فهى تزيد شرفاً وحرمة فوق حرمتها والمشركون يستحلون حرمة البيت فيؤذون النبى والمسلمين فيه ،[٤] مع أن مكة لا يحل فيها قتل ولا صيد ولا قطع شجر ولهذا أحل الله للرسول-ﷺ- قتال الكفار حيث أحلت مكة للنبى ساعة من نهار ولم تحل لأحد من قبله ولا أحد من بعده .

- {عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ، فَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلاَ تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، لاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا، وَلاَ يُعْضَدُ شَجَرُهَا، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلاَ تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهَا، إِلَّا لِمُعَرِّفٍ**»،وَقَالَ العَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا الإِذْخِرَ، لِصَاغَتِنَا وَقُبُورِنَا ؟ فَقَالَ:«**إِلَّا الإِذْخِرَ**»}[٥]

لَم قال الله تعالى:" أنت حل" ،ولم يقل "وأنت حال "، أو "وأنت مقيم بهذا البلد" ؟

وأنت حل: جملة حالية تفيد تعظيم المقسم به ، أي فأنت حال بهذا البلد أى ساكن به ومقيم.

وقال ابن عباس وجماعة معناه: وأنت حلال بهذا البلد، يحل لك فيه قتل من شئت، وكان هذا يوم فتح مكة.[٦]"وفيها ذكر بعض المكابدة على نهج براعة الاستهلال وإدماج لسوء صنيع المشركين ليصرح بذمهم على أن الحل بمعنى المستحل بزنة المفعول الذي لا يحترم تستحل حرمتك ويؤذيك الكفار فكأنه قيل: ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمته يستحل بهذا البلد الحرام ولا يحترم كما يستحل الصيد في غير الحرم.

عن شرحبيل بن سعد قال : يحرمون أن يقتلوا به صيداً ويعضدوا شجره ويستحلون إخراجك وقتلك. وجوز أن يكون الحل بمعنى الحلال ضد الحرام، قال ابن عباس فيما أخرجه عنه ابن جرير وغيره: وأنت يا محمد يحل لك أن تقاتل به وأما غيرك فلا. وقال مجاهد: أحله الله تعالى له عليه الصلاة والسلام ساعة من نهار وقال سبحانه له ماصنعت فيه من شيء فأنت في حل لا تؤاخذ به .[٧]

(١) تفسير الآيات الكونية - زغلول النجار ٢١٨/١.
(٢) لمسات بيانية–السامرائى ٢٤١.
(٣) معانى القرآن وإعرابه–الزجاج ٣٢٧/٥.
(٤) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٩٠٨/٦.
(٥) (١٨٣٣) صحيح البخارى- كِتَابُ جزاء الصيد –بَابٌ لاَ يُنَفَّرُ صَيْدُ الحَرَمِ.
(٦) البحر المحيط ٤٦٨/٨.
(٧) روح المعانى-الألوسى١٣٤/٣٠.

فانظر كيف جمعت كلمة حل هذه المعانى المتعددة بخلاف ما لو قلت حال أو مقيم أو حلال؛ فإنها جمعت اسم الفاعل وهو الحالّ ،واسم المفعول وهو المستَحَلّ ،والمصدر وهو الحلال، فانظر أى اتساع فى المعنى. (١)

﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ :

اختلفت آراء المفسرين حول تفسير هذه الآيات فيه خمسة أقوال :

مجاهد: " أقسم بآدم فهو الوالد ، وما ولد المقصود به جميع ذريته " .

الثانى : نوح عليه السلام وولده.

الثالث : " سيدنا إبراهيم عليه السلام الذى بنى البيت وذريته ، وخاصة إسماعيل عليه السلام " .

الرابع : " يحتمل أن يكون الوالد سيدنا محمد-ﷺ-الذى هو سيد البشر وولده".

الخامس : جنس كل والد ومولود. (٢)

وقد يكون المعنى إشارة إلى طبيعة النشأة الإنسانية واعتمادها على التوالد وما يعانيه الولد والمولود حتى يصل إلى طور النمو المقدر له.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾

[سورة البلد :٤-١٠]

قد يغتر الإنسان بقوته والله هو المنعم عليه بهذا القدر من القوة ،وقد يضن بالمال والله هو المنعم عليه بهذا المال ، وقد يضل الطريق ولا يهتدى ولا يشكر وقد جعل الله له من الحواس ما يهديه فى عالم المحسوسات ، فلقد وهبه الله عينين على هذا القدر من الدقة فى تركيبهما وفى قدرتهما على الإبصار ، وميزه بالنطق وأعطاه أداته المحكمة ، ثم أودع فى فطرته القدرة على إدراك الخير والشر ، والهدى والضلال، والحق والباطل، وقد اقتضت مشيئة الله أن تمنحه القدرة على سلوك أيهما شاء. (٣)

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ :

فى كبد :أى أنه خلق يكابد أمر الدنيا والآخرة وقيل فى شدة ومشقة. (٤)

لقد خلقنا الإنسان فى تعب ومشقة ؛ فإنه لايزال يقاسى أنواع الشدائد من وقت نفخ الروح فيه إلى حين نزعها ، (٥) فمنذ اللحظات الأولى وهو جنين إلى أن يولد وهو فى كبد، عند الولادة فى كبد، عند الرضاعة فى كبد ،بل معاشه ومماته وهو فى كبد ، فكل منا يكدح ويتعب ، فكل تجربة جديدة هى كبد وكل منا يكدح بطريقته ، فهذا يكدح ليتعلم علمًا ، وهذا يكدح لملك أو جاه ، وذلك يكدح فى سبيل الله ، وهذا يكدح لشهوة أو نزوة ، وهذا يكدح لعقيدة ودعوة ، والكل يعمل ويكدح ليلاقى ربه ويجازيه على عمله ؛ حيث تكون الراحة الكبرى للسعداء والشقاء الأعظم للأشقياء ، فالذى يكدح للأمر الجليل ليس كالذى يكدح للأمر الحقير ، فليس الذى يكدح وهو طليق من أثقال الطين كالذى يكدح ليغوص فى الوحل ويلصق بالأرض ، والذى يموت فى سبيل الدعوة ليس كالذى يموت فى سبيل نزوة ! . (٦)

فالحياة ألم يخفيه أمل ، وأمل يحققه عمل ، وعمل ينهيه أجل ، ثم يجزى كل امريء بما فعل .

---

(١) لمسات بيانية-السامرائى٢٤٧.
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٧٤/٢ .
(٣) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٩١٠/٦-٣٩١١.
(٤) لسان العرب ٣٧٦/٣ .
(٥) صفوة التفاسير الصابونى ٥٦١/٣ .
(٦) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٩١٠/٦-٣٩١١.

﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ :

أى أيظن هذا الشقى الفاجر المغتر بقوته أن الله لايقدر عليه لشدته وقوته ! فيطغى ويبطش ويسلب وينهب ويفسق ويفجر دون أن يتحرج ، ويظن ألا يحاسبه الله على عمله ، ولا يتوقع أن يقدر عليه قادر فيحاسبه حيث ينخدع بما يعطيه الله من القوة والقدرة . (١)

قال المفسرون: " نزلت فى (أبى الأشد بن كلدة) وقيل: (عمرو بن ود) وكان شديداً مغترًا بقوته ، وكان يبسط له الأديم (الجلد العكاظى) فيوضع تحت قدميه ، ويقول : من أزالنى عنه فله كذا فيجذبه عشرة فينقطع قطعًا ولا تزل قدماه " (٢)

﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴾ :

لبد :أى كثير. (٣) يقول هذا الكافر : أنفقت مالاً كثيرًا فى عداوة محمد ﷺ.

قال الألوسى :" أى يقول هذا الكافر فخرًا ومباهاة على المؤمنين: أنفقت مالاً كثيرًا ، وأراد بذلك ما أنفقه رياءً وسمعةً ، وعبر عن الإنفاق (بالإهلاك) إظهارًا لعدم الاكتراث ، وأنه لم يفعل ذلك رجاء نفع . (٤)

﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ :

أى يظن أن الله تعالى لم يره حين كان ينفق ، ويظن أن أعماله تخفى على رب العباد ،" وينسى أن عين الله عليه وأن علمه محيط به ، فهو يرى ما أنفق ؟ ولماذا أنفق ؟ ولكن هذا الإنسان ينسى هذه الحقيقة ، ويحسب أنه فى خفاء عن عين الله ، وأمام غرور الإنسان الذى تخيل له نفسه أنه ذو قوة ومنعه ، وأمام بخله بالمال وإدعائه أنه بذل الكثير يواجهه الله بفيض نعمه عليه ، فلينظر إلى نفسه وإلى تكوينه تلك النعم التى لم يشكرها ولم يقم بحقها. "(٥)

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴾ :

أى ألم نجعل له عينين يبصر بهما ؟ لقد جعل الله لنا من الحواس ما تهدينا فى عالم المحسوسات ،فإذا كنا نبصر بأعيننا فنحن نبصر بقدرة الله التى أعطت للعين قوة الإبصار، وهى خاضعة لنا بإرادة الله سبحانه وتعالى فهى مسخرة لنا بقدرة الله.(٦)

إن نعمة النظر من أهم نعم الله علينا ، ولكننا لا نشعر بهذه النعمة لأننا ألفناها وتعودنا عليها ولا يشعر بها إلا فاقدها !

تخيل عزيزى القارئ معى لو أغلقت عينيك للحظات وحاولت أن تهتدى طريقك فى الظلام كيف سيكون الحال ؟ ولكن الإنسان خلق كفورًا لا يشكر على نعم الله ، فالعين هى من أعظم ما وهبنا الله ، فبكم تساوى نعمة الإبصار لو فقدناها، والله كنوز الدنيا كلها لا تكفى ثمن لهذه الهبة والمنحة من الله.

وهيا بنا عزيزى القارئ لنعلم دقة الصانع وعظمته ومعجزة من معجزات الخالق عز وجل وآية من آياته فالعين معجزة من معجزات الخالق لو تأملنا تركيبها وشكلها وطبقاتها وأجزائها المختلفة وكيفية أدائها لوظيفتها وطريقة عملها لتبين لنا عظمة الخالق عز وجل في هذا العضو من جسمنا فلقد وضعت كل عين

(١) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٦/٣٩١٠-٣٩١١. (٢) روح المعانى- الآلوسى٣٠/١٣٥، والكشاف ٤/٧٥٥،والقرطبى ٢٠/٦٣. (٣) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٥/٣٢٨ . (٤) تفسير الألوسي- ٣٠/١٣٦ . (٥) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٦/٣٩١٠. (٦) الأدلة المادية على وجود الله –الشعراوى ٢٣.

فى تجويف عظمى بالجمجمة مما يساعد على حمايتها ، وقد زود الله سبحانه وتعالى العين بالجفون التى لا تغلق إلا عند وجود أى خطر لحماية العين ،كما زودت الجفون بالأهداب(الرموش) التى تعمل على منع دخول الأتربة ، كذلك الدموع التى تعمل على ترطيب العين ونلاحظ ذلك عند دخول أى جسم غريب إلى سطح العين. والله لا يسعنا إلا أن نقول الحمد لله على هذه النعمة .

﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [سورة الذاريات : ٢١]

هل فكرت ولو للحظات فى نعمة البصر...!!!

فالعين تشبه الكاميرا حيث أنها تلتقط الصور التى تنعكس على العدسة فى الشبكية فهى تشبه الفيلم،ثم تنتقل الصورة عبر ملايين الأعصاب المتجمعة فى العصب البصرى إلى مؤخرة المخ حيث يقوم المخ بتحميض الصور ، وطبعها والتعرف عليها ، وكل ذلك يتم فى جزء بسيط من الثانية إذ أن سرعة الارسال تبلغ ألف متر فى الثانية ، وكذلك تتم عمليات الطبع والتحميض والإدراك بمثل هذه السرعة الرهيبة، وتنقسم الطبقة الداخلية للعين إلى جزأين :

١.**جزء خلفى** : وهو الذى يكون شبكية العين حيث عدسة العين وهى عدسة مرنة وهى التى تلتقط الصورة وتعرضها على شبكية العين ،وهو جزء حساس للضوء ويشبه الفيلم فى الكاميرا حيث تسجل عليه الصور وترسل عبر العصب البصرى إلى المخ لتحميضها وإدراك أبعادها .

٢. **جزء أمامى** : وهو يساهم فى تكوين القزحية، والجسم الهدبى ، والقزحية هى التى تعطى العين لونها الأسود أو العسلى أو الأزرق ،كما أنها تتحكم فى بؤبؤ (فتحة) العين ويتحكم الجسم الهدبى بواسطة عضلاته فى تحدب عدسة العين بحيث تتمكن العدسة من زيادة تحدبها أو انقاصه لنرى الأشياء القريبة (زيادة التحدب) أو البعيدة (إقلال التحدب)، فلو ابتعدت كثيرًا عن الشيء المرئى تزداد فتحة القزحية ، وإذا اقترب الشيء المرئى تضيق فتحة الحدقة ، فهى تتسع وتضيق بحسب شدة الضوء ،وبحسب قربك من الشيء المرئى ، وللدموع وظائف غير البكاء، وتبريد لوعة الحزن ، وأهمها ترطيب العين وتعقيمها وتنظيفها مما يعلق بها من أتربه ، وميكروبات ، وكما أن للدموع وظيفة غسل العين وتنظيفها وتطهيرها،فإن لها كذلك وظيفة غسل الأدران من القلب فلنترك لمآقينا أن تمتلئ بالدموع ولتسكب العبرات تتبعها الزفرات ، فإن فى ذلك تطهير للقلوب من أدرانها ، وللنفوس من طغيانها ، وليس هناك ما يجلى الصدأ عن القلب مثلما تجلوه عين بكت من خشية الله ." [(١)]

﴿ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴾ :

أى لسانًا ينطق به ويفصح به عما في ضميره ، ويتذوق به الطعام ، وجعل له شفتين لتساعد فى نطق بعض الحروف ، ويستعين بهما على الأكل والشرب والنفخ [(٢)]، بالإضافة إلى أنها تضفى على الإنسان جمالًا، فتخيل معى إنسانًا بلا شفتين كيف سيكون منظره وأسنانه خارجة من وجهه ، فلقد خلق الله الإنسان فى أبدع صورة وأجملها .

﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ ﴾ [سورة السجدة : ٧]

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن -محمد على البار٣٣٦-٣٣٧.

(٢) تفسير الكشاف ٤/٧٥٥.

فاللسان هو أداة الكلام والتذوق ، فالحلو فى المقدمة والمر فى المؤخرة ، والحامض والمالح على الأطراف ومما لا شك فيه أن حاسة التذوق لها أهمية كبرى لأن الطعام فضلا عن أنه يشبع حاجات الإنسان الضرورية إلا أنه أيضا وسيلة من الوسائل الاستمتاع بخيرات الله ونعمه وشكره، وهو أيضا وسيلة وقائية تحمى الإنسان من الأخطار إذ إنه حين لايستسيغ الطعام يدرك أنه ضار بسبب تلوثه أو تلفه أو فساده أو تسممه فلا يأكله وبذلك يتجنب الإنسان ما يضره ؛ أن هذه النعم لتشى باليد الحافظة التى خلقت كل شىء فأحسنت خلقه وقدرت لكل عضو وظيفته فسبحان الله. (١)

﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ :

النجد: المرتفع من الأرض ، النجدين : طريقين واضحين أى طريق الخير والشر.(٢)

فالنفس البشرية تعرف ما أحلَّ الله وتستريح له وتنسجم معه ، فمقاييس الخير تنسجم معها النفس البشرية وتحس بطبيعتها وراحتها ، وتعرف ما حرم الله فيصيبها الانزعاج والاضطراب والذعر وهى ترتكبه، فمقياس الشر أن تضطرب منه النفس البشرية وتحس بالفزع وهى ترتكبه ،فما أحله الله تنسجم معه النفس البشرية ويقبله كل الناس وما حرمه الله تستنكره كل نفس بشرية وتنفعل ضده(٣) فالحلال بيِّن والحرام بيِّن ،" فالإنسان له حاسة يدرك بها الحق والباطل من دون أن يتعلم شيئًا إطلاقًا ولكنه يدركه بفطرتة .

هناك سؤال يلح علينا.... **لماذا قال الله تعالى هديناه النجدين، ولم يقل هديناه السبيل؟**

اختيار كلمة نجد مناسب لجو السورة لأن السبيل هو الطريق السهل الميسر الواضح التى يكثر السير فيها أما سلوك النجد ففيه مشقة وصعوبة لما فيه من صعود وارتفاع فهو مناسب للمكابدة والمشقة التى خلق الإنسان فيها ، ومناسب لاقتحام العقبة وما فيه من مشقة وشدة ،كذلك فهو مناسب للكبد فى السورة.(٤)

"هذه آلاء الله التى أفاضها الله على جنس الإنسان فى خاصة نفسه وفى صميم تكوينه ، والتى من شأنها أن تعينه على الهدى ، فعيناه ترى دلائل قدرة الله فى الكون ، ولسانه وشفتيه هما أداة البيان والتعبير ، فالكلمة أحيانًا تقوم مقام السيف والقذيفة وأكثر ، وأحيانًا تهوى بصاحبها فى النار ، فهذه الآلاء كلها لم تدفع الإنسان إلى اقتحام العقبة التى تحول بينه وبين الجنة ". (٥)

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾[سورة البلد: ١١-٢٠]

(١) من عجائب الخلق فى جسم الإنسان –إسماعيل الجاويش ١٣٩. (٢) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٣٢٨/٥والتسهيل لعلوم التنزيل ٥٧٤/٢.
(٣) الأدلة المادية على وجود الله –الشعراوى١٦-١٧. (٤) لمسات بيانية– السامرائى٢٦٤. (٥) فى ظلال القرآن– سيد قطب ٣٩١١/٦.

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ :

اقتحم: الدخول بشدة ومشقة يشق صعودها على النفوس ، والعقبة : الأعمال الصالحة المذكورة بعد .[١] العقبة هى العمل الموصل للخير ، والعقبة استعارة للعمل الشاق على النفس من حيث بذل المال تشبيهًا لها بعقبة الجبل ، وهو ما صعب منه وقت الصعود فإنه يلحقه مشقة فى سلوكها ، ومعنى اقتحمها أى دخلها بسرعة وشدة .[٢]وجاءت منفية لأنه فضل العاجل على الآجل ، وهى مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان حتى ينال رضى الرحمن ،[٣] فهذه العقبة التى يقتحمها الإنسان هى التى تقف بينه وبين الجنة التى لو تخطاها لوصل إلى الجنة .

لو طرحت عليك سؤالا.. **لَم استخدم الله تعالى لفظ اقتحم ولم يستخدم لفظ اجتاز؟**

لفظ اقتحم يدل على الشدة والمخاطرة وهو المناسب لبيان وعورة وصعوبة هذه العقبة،وهو مناسب لجو السورة ذلك أن من معانى الكبد المشقة والقوة ؛ وأن اقتحام العقبة فيه مشقة وتعب كما أنه يحتاج إلى قوة وشدة ،كما أن هذه الآية تناسب ما بعدها فى المشقات والشدائد التى يعانيها المسكين واليتيم فى اليوم ذى المسغبة.[٤]

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴾ :

أى ما أعلمك ما اقتحام العقبة ؟ وفيه تعظيم لشأنها وتهويل[٥] ؛ ليحفز الإنسان على اقتحامها وتحطيمها مهما تتطلب من جهد وكبد،فالكبد واقع واقع،وحين يكابدويعانى يؤتى ثمرة مكابدته ولا يذهب هباء.[٦]

﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ :

الفك :هو حل القيد،والرق قيد،وسمى المرقوق رقبة لأنه بالرق كالأسير المربوط عنقه ،وسمى عتقها فكا كفكّ الأسير من الأسر.[٧]وقدم الله سبحانه وتعالى فك الرقبة على إطعام اليتامى والمساكين إشارة إلى شدة حال المسترق وكربه ومعاناته ومكابدته الاسترقاق ، وإشارة إلى أهمية الحرية فى الإسلام فالمطلوب فى الإسلام هو تحرير الناس من العبودية والاسترقاق.[٨]

ويبدأ فى توضيح وكشف ما هى العقبة وبيان طبيعتها فى مكة ، تلك البيئة التى كانت تواجه الدعوة ، وكانت فى أمس الحاجة إليه ، وهو عتق الرقاب أو العبيد فى وسط هذه البيئة التى كانت تقسو على الضعفاء، لقد كان الرق يعامل معاملة قاسية ، وخاصة الذين دخلوا فى الإسلام ،[٩] كانوا يعذبون بأشد وأقسى أنواع العذاب ؛ لذلك جاء الإسلام ليدعو إلى عتق العبيد ، وجعل مكافأة من يعتق رقبة بعتق رقبته من النار .

﴿ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ :

مسغبة :أى المجاعة. [١٠] أى يطعم الفقير فى يوم المجاعة ، وهو اليوم الذى يعز فيه الطعام ، "وقيد الطعام بيوم المجاعة لأنه أشد على النفس [١١] "؛ حيث يشتد شحهم بالمال خشية امتداد زمن المجاعة والاحتياج إلى الأقوات ، وذلك دليل على صدق الإيمان وإطعامه الطعام فى يوم المجاعة ففيه أجر إطعام اليتيم، وصلة

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٢/ ٥٧٤ . (٢) تفسير البحر المحيط ٤٧١/٨ . (٣) صفوة التفاسير– الصابونى٥٦٢/٣. (٤) لمسات بيانية– السامرائى٢٦٦.
(٥) صفوة التفاسير– الصابونى٥٦٢/٣. (٦) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٩١١/٦. (٧) تفسير القرطبى ٦٨/٢٠ . (٨) لمسات بيانية-السامرائى٢٧١ -٢٧٢.
(٩) فى ظلال القرآن–سيد قطب ٣٩١٢/٦. (١٠) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٣٢٨/٥. (١١) حاشية الصاوى على الجلالين ٣٢٢/٤ .

الرحم. [١]

﴿ أَوۡ مِسۡكِينًا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴾ :

متربة : من فقره قد لصق بالتراب. [٢] المسكين الفقير البائس الذى قد لصق بالتراب من فقره وضره ، وهو كناية عن شدة الفقر والبؤس .

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ :أى عمل هذه القربات لوجه الله، وكان مع ذلك مؤمنًا صادق الإيمان .

﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴾ :

أى أوصى بعضهم بعضًا بالصبر على قضاء الله ، وكأن هذا إشارة إلى صبر المسلمين بمكة على إذاية الكفار[٣] لقد أوصى بعضهم بعضًا بالإيمان وطاعة الرحمن ، وبالرحمة والشفقة على الضعفاء والمساكين ؛ لأن ذلك أشرف صفاتهم ، فإن الصبر ملاك الأعمال الصالحة لأنها لا تخلو من كبح الشهوة والنفس عما تريد ، لقدكرر الفعل (تواصوا) لأن الاسم الظاهر أقوى فى التعبير من الكناية أو الضمير، وفى هذا توكيد لأهمية التواصى بكل منهما وللدلالة على أن كلاً منهما جدير بالتواصى به.[٤]

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴾ :

أى هؤلاء الموصفون بهذه الصفات الجليلة هم أصحاب الجنة ، الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم ويسعدون بدخول جنات النعيم . [٥]

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ :

قرن بين الأبرار والفجار على طريقة القرآن فى الترغيب والترهيب ؛والوعد والوعيد، لبيان المفارقة الهائلة بين أهل الجنة وأهل النار ، وبين السعداء والأشقياء ، أى الذين جحدوا بنبوة محمد-ﷺ- وكذبوا بالقرآن، فهم أهل الشمال أهل النار لأنهم يأخذون كتبهم بشمائلهم . [٦]

لَم لم يقل الله تعالى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال كما قال فى مواطن أخرى من القرآن الكريم ؟

لأن الميمنة والمشئمة جمعت عدة معان فأصحاب الميمنة هم أصحاب جهة اليمين التى فيها السعداء، وهم الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم فيذهبون إلى الجنة ، وهم أصحاب اليمن والبركة على أنفسهم وعلى غيرهم فإنهم أفاضوا خيرهم ومالهم على الفقراء والمحتاجين وتواصوا بالرحمة على خلق الله ،وهم ميامين على أنفسهم بأن رضى الله عنهم وأدخلهم الجنة ، وكذلك أصحاب المشأمة فهم أصحاب جهة الشمال التى فيها الأشقياء ، وهم الذين يؤتون صحائفهم بشمائلهم ،ويساقون إلى النار، وهم أصحاب الشؤم على أنفسهم وعلى غيرهم فى الدنيا والآخرة. [٧]

﴿ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴾ :

مؤصدة : أى مطبقة عليهم . [٨] أى عليهم نار أبوابها مغلقة عليهم ، لايدخل منها روح ولاريحان ، ولا يخرجون منها أبداً وهم فى العذاب محبوسون فما أصبرهم على النار ،أعاذنا الله وإياكم من شرها وحرها .[٩]

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٧٥/٢. (٢) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج ٣٢٨/٥ . (٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٧٥/٢. (٤) لمسات بيانية– السامرائى٢٧٥
(٥)،(٦) صفوة التفاسير– الصابونى٥٦٣/٣. (٧) لمسات بيانية– السامرائى٢٧٧. (٨) لسان العرب ٤٦٠/٣. (٩) عمدة التفسير– ابن كثير ٦٨٩/٣.

﴿ سُورَةُ الشَّمْسِ ﴾

■ **ما المحور الذى تدور حوله السورة ؟**

تدور السورة حول النفس الإنسانية وما جبلها الله تعالى عليه من الخير والشر والهدى والضلال ، وموضوع الطغيان ممثلًا فى (ثمود) الذين عقروا الناقة فأهلكهم الله ودمرهم ،[١] وتهديد المشركين بأنهم يوشك أن يصيبهم عذاب بإشراكهم وتكذيبهم برسالة محمد ﷺ كما أصاب قوم ثمود ، وقدم لذلك تأكيد الخبر بالقسم بأشياء معظمة ، وذكر من أحوالها ماهو يدل على بديع صنع الله تعالى لايشاركه فيه غيره ، فهو دليل على أنه المنفرد بالألوهية ولا يستحق غيره الألوهية .[٢]

■ **ما ترشد إليه السورة :**

١. ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بسبعة أشياء من مخلوقات الله عز وجل ، فأقسم تعالى بالشمس وضوئها الساطع ، وبالقمر إذا أعقبها وهو طالع ، ثم بالنهار إذا جلا ظلمة الليل بضيائه ، وبالليل إذا غطى الكائنات بظلامه ، ثم بالقادر الذى أحكم بناء السماء بلا عمد وبالأرض التى بسطها ومدها ، وبالنفس البشرية التى كملها الله وزينها بالفضائل والكمالات ، أقسم بهذه الأمور على فلاح الإنسان ونجاحه إذا اتقى الله ، وعلى شقاوته وخسرانه إذا طغى وتمرد .

٢. ثم ذكر قصة (ثمود) قوم صالح حين كذبوا رسولهم ، وطغوا وبغوا فى الأرض ، وعقروا الناقة التى خلقها الله تعالى من صخر أصم معجزة لرسوله صالح عليه السلام ، وما كان من أمر هلاكهم الفظيع الذى بقى عبرة لمن يعتبر ، وهو نموذج لكل كافر فاجر مكذب لرسل الله .

٣. ختمت السورة بأنه تعالى لا يخاف عاقبة إهلاكهم وتدميرهم لأنه :[٣]

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٣]

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾

[سورة الشمس : ١-١٠]

(١) صفوة التفاسير- الصابونى ٥٦٤/٣. (٢) التحرير والتنوير-ابن عاشور٣٦٥/٣٠-٣٦٦ . (٣) صفوة التفاسير -الصابونى ٥٦٥/٣.

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ :

الضحى :طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيض الشمس .(١)

يقسم الله تعالى بالشمس وضوئها الساطع إذ أنار الكون وبدد الظلام ، فعندما تشرق الشمس فى الصباح فإنها عندئذ تكون ربة الجمال فى الطبيعة ، نراها تنثر جنيهات ذهبية على رعاياها ، فيتلألأ الندى مثل حبات اللؤلؤ ،" فلولا الشمس لأصبحت الأرض قبرًا جليديًا للأحياء ، فلو زادت الطاقة التى تصلنا من الشمس عن القدر الذى يصلنا اليوم قليلا لأحرقتنا ، وأحرقت كل حى على الأرض ولبخرت الماء ولو قلت قليلا لتجمد كل حى على الأرض ولقضى على الحياة . "(٢)

الشمس هى أقرب نجوم السماء إلى الأرض التى تبعد عنها بمسافة مائة وخمسين مليون كيلو متر ،وهى نجم متوسط الحجم على هيئة كرة من الغازات الملتهبة ، وهى تتركب من ٧٪ هيدروجين ، و٢٨٪ هيليوم، و٢٪ عناصر متبخرة ، والشمس عبارة عن فرن نووى كونى عملاق عمره أكثر من عشرة بلالين من السينين ، تطلق الشمس من مختلف صور الطاقة ما يقدر بحوالى خمسمائة ألف مليون مليون حصان فى كل ثانية من ثوانى عمرها ، ومجموع ميزانيات دول العالم لا تكفى ثمنا لهذا الكم من الطاقة الشمسية التى تصل إلينا، وبدون هذه الطاقة الشمسية تستحيل الحياة على كوكبنا لأن كلا من النبات والحيوان والإنسان يعتمد فى وجوده بعد إرادة الله على قدر الطاقة الذى يصله من أشعة الشمس.(٣)

آه لو كنت تسمع الشمس والجبال والقمر والبحار لسمعتها تقول : (لاإله إلا الله) فالألوان والطيور تنادى على البديع ، ألا تتفكر ببديع خلق الله فى الشمس !! لو طرحت عليك سؤالًا بكم تتكلف إضاءة منزلك ؟ وبكم تتكلف الدولة من نفقات لتنير شارعًا طويلًا أو طريقًا طوله ثلاثمائة كيلو متر ؟ وما هذه الطاقة التى تختزنها الشمس بحيث تبعث الدفء فى الكائنات الحية ؟ومن حافظ على درجة حرارتها وقربها وبعدها عنا ؟ هل تعلم أن الشمس أكبر من الأرض بمليون وثلاثمائة مرة ، وتبعد عن الأرض بمسافة تقدر بحوالى مائة وخمسين مليون كيلو متر.(٤)

هل تعلم.. ؟! أن الشمس لو ابتعدت عن الأرض لبردت ، ولو أنها اقتربت من الأرض لاحترقت ولذابت الكتل الثلجية فى القطبين ، ولارتفع مستوى البحر تسعين متراً .

هل تعلم... ؟! أن الشمس لم تزل تشع نفس مقدار الحرارة والضوء منذ ملايين السنين فإن كانت حرارتها الصادرة عنها نتيجة احتراقها ، فكيف لم تفن مادتها مع توالى العصور ؟! .

لاحظ العلماء أن شمسنا تفقد من كتلتها فى كل ثانية على هيئة طاقة ما يقدر بنحو الخمسة آلاف مليون طن وأنه باستمرار هذه العملية وحدها لابد أن ينتهى وجود الشمس ولانتهت الحياة على الأرض. (٥)

هل تعلم .؟! أن الشمس تنشر طاقة فى الثانية الواحدة ما يعادل إحراق ألفى مليار طن من الفحم الحجرى

(١) لسان العرب ٤٧٥/١٤. (٢)تفسير الآيات الكونية – زغلول النجار٤٢٣/١. (٣) تفسير الآيات الكونية – زغلول النجار١ /٣٨٩- ٣٩٠.
(٤) تفسير الآيات الكونية – زغلول النجار ١٣٤/٢. (٥) تفسير الآيات الكونية – زغلول النجار٢٥٤/١.

وهى تفقد كل يوم ما يعادل من كتلتها ثلاثمائة وستين ألف مليون طن ، فمن يعوضها هذه الطاقة التى تفقدها ...؟ !!.

هل تعلم... ؟! أنه لولا كروية الأرض ودورانها حول محورها (نفسها) أمام الشمس لما ظهر ليل ولانهار ، ولاتبادل كل منهما نصفى سطح الأرض وتعاقب ، ولما ظهرت الشمس بشكل يومى.[١]

هل تعلم...؟! أنه لولا ميل محور الأرض ، لما تبادلت الفصول الأربعة ، فلو كان المحور قائم لكان هذا المكان صيفًا أبد الأبدين ، وهذا المكان شتاء أو خريف أبد الأبدين ، فدوران الأرض حول نفسها ، وميل المحور هو سبب اختلاف الفصول ،[٢] فالشمس هى مصدر نورنا وطاقتنا ، فهى مصدر حياتنا ، فهى التى تبخر مياة البحار وترفعها غيومًا فى السماء وتنزلها أمطارًا على الأرض ، وما الفحم الحجرى إلاحرارة نورها المدخرة منذ قديم الأدهار .

﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ :

تلاها: يتلو الشمس فى الضياء والنور .[٣]

قال ابن زيد: هو يتلوها فى النصف الأول من الشهر، ثم هى تتلوه وهو يتقدمها فى النصف الأخير من الشهر، وقال ابن عباس: القمر يتلو النهار [٤] ، يقسم الله تعالى بالقمر إذا سطع مضيئًا بعد غروب الشمس فما أجمل وأرق من القمر حين يبدد ظلام الليل ويظهر بلونه الفضى الجميل ، يذهب كآبة الليل وظلمته ، فإذا غربت الشمس تلاها القمر فى الإضاءة وخلفها فى النور .

"**وحكمة القسم بالشمس**: أن العالم فى وقت غيبة الشمس عنهم كالأموات ، فإذا ظهر الصبح وبزغت الشمس دبت فيهم الحياة ، وصار الأموات أحياء فانتشروا لأعمالهم وقت الضحوة ، وهذه الحالة تشبه أحوال القيامة ، ووقت الضحى يشبه استقرار أهل الجنة فيها ، والشمس والقمر مخلوقان لمصالح البشر ، والقسم بهما للتنبيه على ما فيهما من المنافع العظيمة . "[٥]

هل تعلم...؟! "أن القمر تابع للأرض وهو يدور حولها كما يدور حول نفسه ويتجة أثناء دورانه فى الحالين من الغرب إلى الشرق وتستغرق دورته حول الأرض ٢٩ يوما و١٣ ساعة بينما تستغرق دورته حول نفسه ٢٧ يوما و ٨ساعات .

هل تعلم... ؟! أن القمر أصغر بكثير من الأرض حجما وكتلة ، وبالتالى فإن هذا يؤثر على وزن الأجسام على سطحه حيث يقل وزن الأجسام على القمر عن وزنها نفسه على الأرض بنسبة السدس ، فمن العجيب أن الشخص الذى يزن ٦٠ كيلو جراما لايتعدى وزنه ١٠ كيلو جراما على سطح القمر !![٦]

"لو طرحت عليك سؤالا: ماذا يحدث لو كان القمر أكبر مما هو عليه ،أو أصغر حجما وكتلة مما هو عليه ؟ سوف يختل النظام الكونى، فلو كانت المسافة بين القمر والأرض أصغر مما هى عليه ، أو أكبر أو كانت دورته حول نفسه أو حول الأرض أطول أو أقصر لاختل النظام كله ، بل ربما زال القمر نفسه ؛ لأنه لو

(١)تفسير الآيات الكونية – زغلول النجار١٣٢/٢. (٢)تفسير الآيات الكونية – زغلول النجار٢/ ١٣٥ بتصرف. (٣) معانى القرآن وإعرابه-الزجاج ٣٣٢/٥ . (٤) عمدة التفسير– ابن كثير ٦٩٠/٣. (٥) حاشية الصاوى على الجلالين ٣٢٣/٤. (٦) للكون إله– صبرى الدمرادش ٢٩٣- ١١٦.

قرب من الأرض لزاد جذبه فيصبح المد على الأرض طاغيا ، وإن تزايد هذا القرب جذبته الأرض فيقع عليها ، ولو بعد عن الأرض لتعطل عمل المد والجزر كذلك بقلة الجذب ، وإن زاد البعد جذب القمر كوكبا آخر إليه وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [سورة الرحمن : ٥]

ولو كانت دورته مثل دورة بقية التوابع قصيرة فى الساعات أو طويلة فى السنين لاختل النظام الذى جعل الله لنا به القمر بحسبان ، ولأصبح الشهر القمرى أسبوعا أو سنتين إن مدة دوران القمر حول الأرض تستغرق ٢٩.٥ يوما تقريبا لذلك فالسنة القمرية ٣٥٤.٥ يوما تقريبا بينما السنة الشمسية ٣٦٥ وربع يوما تقريبا ، وهذا ما يفسر لنا أن السنة القمرية تنقص عن السنة الشمسية عشرة أيام وثلاثة أرباع اليوم .

كذلك فالفصول تأتى متأخرة أحد عشر يوماً حسب التقويم القمرى بالنسبة للتقويم الشمسى، وهذا مما يفسر لنا لماذا يأتى شهر رمضان كل سنة متقدماً أحد عشر يوما عنه فى السنة السابقة مما يجعل الشهر الفضيل يمر على كل فصول السنة خلال ٣٣ عاما تقريبا.

"والمتتبع لظهور القمر ليلة بعد أخرى سوف يلاحظ ظهوره متأخرا عن الليلة السابقة بنحو ٥٠ دقيقة،كما أنه لايظهر كل ليلة بالقدر نفسه فيوما نجده محاق ثم هلال ثم تربيع أول ثم بدر فى ليلة الرابع عشر ثم تربيع ثانى ثم هلال ثم يعود محاق فيعود مظلما مرة أخرى ، فلو لم يكن القمر يدور حول نفسه وحول الأرض فى آن واحد لما كان ينتقل فى منازله لنرى وجوهه المتغيرة ، ولما كان يتم الدورة فى شهر واحد ليستأنف شهرا جديدا حيث إننا نعرف به عدد الشهور والسنين والحساب حيث أن القمر يقطع فى دورته كل يوم ١٣ درجة ويتأخر بنحو ٥٠ دقيقة." (١)

فهل فكرت فى الشمس والقمر وفوائدهما العظيمة ؟! وهل فكرت فى بديع صنع الله فيهما ، فالله يخلق كل شيء بإبداع ، فهل فكرت فى هذا ولو للحظات...؟؟!! .

﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾ :

جلاها :جلّى الظلمة. (٢)

أقسم بالنهار إذا جلا ظلمة الليل بضيائه ، حيث يلبس الكون جلباب النور. (٣)

"فى هذه الآية الكريمة يقسم ربنا تبارك وتعالى وهو الغنى عن القسم بالنهار الذى يجلى الشمس، أى يظهرها واضحة جلية لسكان الأرض وهى حقيقة لم يكن يدركها العلماء إلا من بعد ريادة الفضاء فى النصف الأخير من القرن العشرين حين اكتشفوا أن نور النهار المبهج لايتعدى سمكه مائتى كيلو متر فوق مستوى سطح البحر فى نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس ، وأن هذا الحزام الرقيق من الغلاف الغازى للأرض يصفو من الملوثات ، وتقل كثافته بالارتفاع على سطح الأرض بينما تزداد كثافته ونسب

(١) للكون إله – صبرى الدمرادش ١١٦ – ١١٨– ١١٩– ١٢٠.
(٢) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٥/ ٣٣٣.
(٣)صفوة التفاسير- الصابونى٣/٥٦٥.

كل من بخار الماء وهباءات الغبار فيه كلما اقترب من سطح الأرض ، ويقوم ذلك التركيز وتلك الهباءات من الغبار بالمساعدة على تشتيت ضوء الشمس وتكرار انعكاسه مرات عديدة حتى يظهر لنا باللون الأبيض المبهج الذى يميز النهار كظاهرة نورانية مقصورة على النطاق الأسفل من الغلاف الغازى للأرض فى نصفها المواجه للشمس بينما يعم الظلام الكون المدرك فى غالبية أجزائه وتبدو الشمس بعد تجاوز نطاق نور النهار قرصا أزرق فى صفحة سوداء ، ومن هنا فهمنا المعنى المقصود من أن النهار يجلى الشمس بينما ظل كل الناس إلى أواخر القرن العشرين وهم ينادون بأن الشمس هى التى تجلى النهار فسبحان الذى أنزل تلك الحقيقة الكونية من قبل ألف وأربعمائة سنة ، والتى لم يكتشفها العلم التجريبى إلا فى النصف الأخير من القرن العشرين .[١]

هل تعلم ...؟!أنه لولا ميل محور الأرض لما وجد الليل والنهار ، ولولا دوران الأرض حول محورها أمام الشمس لما وجد ليل ولا نهار، ولو كانت الأرض لا تدور فمعنى هذا أن النهار ثابت والليل ثابت.

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ :

يقسم بالليل إذا غطى الكون بظلامه ، فالنهار يجلى ويظهر ، والليل يغطى ويستر.[٢]

فيغشى مستمد من الغشاء وهو الغطاء يقال غشى بمعنى غطى وستر ، ومعنى يغشى الليل النهار أن الله تعالى يغطى بظلمة الليل مكان نور النهار على الأرض بالتدريج فيصير نهاراً ، وهى إشارة لطيفة إلى كروية الأرض ودورانها حول محورها أمام الشمس دورة كاملة فى كل يوم مدته أربع وعشرين ساعة يتقاسمها الليل والنهار فى تعاقب تدريجى ينطق بطلاقة القدرة الإلهية المبدعة ، فلو لم تكن الأرض كروية الشكل ما استطاعت الدوران حول محورها ، ولو لم تدر حول محورها أمام الشمس ما تبادل الليل والنهار .[٣]

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ :

قال قتادة: يحتمل أن تكون(ما) هنا مصدرية بمعنى السماء وبنائها، ويحتمل أن تكون بمعنى (مَن) يعنى: السماء وبانيها وهو قول مجاهد ،[٤] أى وأقسم بالقادر العظيم الذى بنى السماء ، وأحكم بناءها[٥] فلابد أن وراء ذلك يد الله التى تمسك هذا البناء بحيث لايضطرب ولا تتناثر جزئياته .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ ﴾

[سورة فاطر :٤١]

لو نظرنا إلى السماء فوقنا لوجدناها كالقبة تتناثر فيها النجوم والكواكب ، وتتلألأ لتذهب ظلام الليل ووحشته ، فهى زينة للسماء ، فالله يخلق كل شىء بإبداع .

بالله عليكم ألا نظرتم إلى صفحة السماء الجميلة ولونها اللبنى الجميل . بالله عليكم من يستطيع أن يجعل لون كل هذه المساحة الشاسعة من السماء بدرجة لون واحدة ، ليس هناك لون غامق وآخر فاتح ، بل

(١) تفسير الآيات الكونية – زغلول النجار ٢٨٩/١-٢٩٠.
(٢) صفوة التفاسير –الصابونى٥٦٥/٣.
(٣)تفسير الآيات الكونية – زغلول النجار ٢٨٨/١.
(٤) عمدة التفسير – ابن كثير ٦٩٠/٣.
(٥) صفوة التفاسير -الصابونى٥٦٥/٣.

لا تجد فيها أى تصدعات أو تشققات مع كبر مساحتها فتجدها بناء متماسكاً مع مرور دهور وأزمان سحيقة عليها فهى هى بنفس جمالها ورونقها وبهائها فلا تحتاج إلى ترميم أو تصليح، ألا نظرت إلى السماء وقت شروق الشمس ووقت غروبها ، وألوان الطيف الجميلة وهى تنتشر هنا وهناك ، ولننظر إلى السحاب وهو يسير ، مهما نظرت إليها كل يوم فلا يصيبك الملل لأنها خلق الله . فالله أبدع كل شىء خلقه .

﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ :

الطحو : أى أقسم بالأرض ومن بسطها .[١] من كل جانب ، وجعلها ممتدة ممهدة صالحة لسكنى الإنسان والحيوان وصالحة للزراعة.

"إن العلم الحديث قد اكتشف ملاءمة كوكب الأرض للحياة فنجد لذلك صوراً عديدة مما يجعلنا نلتمس قدرة الخالق الأعظم وآياته وتنظيمه لملكه ، مثل الدقة الكبيرة فى خلقه الشمس فهى ذات كتلة معينة وحجم معين ودرجة حرارة معينة ،كذلك الدقة المتناهية فى حجم الأرض ، فلو كانت الأرض صغيرة كالقمر لعجزت عن الاحتفاظ بغلافها الهوائى والمائى ويترتب على هذا أن تبلغ الحرارة فيها حد الموت ، أما لو كانت كبيرة كالمشترى حيث تتثاقل المخلوقات على سطحها فلا نستطيع الحركة ، أما لو كان قطرها أربعة أمثال ماهو عليه الآن لتضاعفت جاذبيتها ، وكذلك الضغط الجوى ،كذلك معقولية المسافة بين الأرض والشمس فأرضنا تبعد عن الشمس ٩٣ مليون ميل ، وهى مسافة محسوبة ومقدرة من لدن حكيم خبير ؛ لكى تستقبل من إشعاع الشمس ما يكفى فقط لاستمرارية الحياة عليها.

ولكن... **ما الذى يحدث إذا بعدت الأرض عن الشمس أو قربت من الشمس ؟**

إذا بعدت الأرض عن الشمس سوف تنقص كمية الحرارة فيبرد ويتجمد كل من عليها ولقطعت الأرض دورتها حول الشمس فى وقت أطول مما يترتب عليه أن تطول الفصول الأربعة ويختل ميزان الحياة ، أما لو قربت الأرض من الشمس لاحترق كل من عليها ، ولقصرت الفصول الأربعة ، فالأرض تدور حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة فلو زادت سرعة دوران الأرض حول نفسها عن ألف ميل فى الساعة ، أو قلت لأصبح طول النهار ١٢٠ ساعة ولاحترقت أجسامنا ولماتت الحيوانات والنباتات فى لهب النهار ، أو تجمدت فى زمهرير الليل، ولاختل ميزان العمل نهارا ، أوميزان النوم ليلا.

فالأرض تدور حول محور مائل وهمى بزاوية معينة محددة من قبل حكيم خبير ، ولكن ما الحكمة فى هذا الميل ؟

هناك حكمة بالغة فبسببه تتابع الفصول الأربعة من ربيع فصيف فخريف فشتاء ،مما يزيد مساحة الجزء الصالح للسكن ويزيد من تنوع غلاته النباتيه ، فلو أن هذا المحور لم يكن مائلا لاختفت الفصول ولتساوى الليل والنهار فى جميع بقاع الأرض " .[٢]

(١) قول ابن زيد ومجاهد وقتادة وهذا أشهرالأقوال وعليه الأكثر من المفسرين– انظر عمدة التفسير - ابن كثير ٦٩١/٣ .
(٢) للكون إله– صبرى الدمرادش٧١-٧٣.

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ :

أى خلقها مستقيمة على االفطرة القويمة ، [١] أى وأقسم بالنفس البشرية وبالذى أنشأها وأبدعها [٢] فلقد شاءت مشيئة الله وقدره أن يمنح الإنسان حرية الاختيار ، والعقل الذى يميز به بين الخير والشر.

" فهذا الإنسان الذى كرمه الله ونفخ فيه من روحه وجعله خليفة على الأرض ترك له حقه فى اختيار مصيره ، وجعل أمره بين يديه وهو يعلم أن قدر الله فيه يتحقق من خلال تصرفه هو بنفسه.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَابِأَنفُسِهِمْ ﴾ [سورة الأنفال : ٥٣]

فمن تمكن من تغليب جانب الخير على جانب الشر فقد أفلح ، فهى حرية للإنسان يقابلها واجب ورحمة من الله بالإنسان ، فلم يدعه لاستعداد فطرته فأعانه بالرسالات ، وهى تشعر الإنسان دائمًا بالحاجة للرجوع للموازين الإلهية، ليظل على يقين أن هواه لم يخدعه ولم يضله ، فلا يجعل إلهه هواه ، وبذلك يظل قريبًا من الله ، يهتدى بهديه ويستضئ بنوره ، وبهذا يزكى نفسه ويطهرها ." [٣]

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ :

تقواها: ألهمها التقوى ووفقها إليها ،[٤] أى بين لها طريق الخير والشر [٥] ، طريق الطاعة وطريق المعصية .

"إن النفس البشرية تعرف ما أحل الله لها وتستريح له وتنسجم معه ، وتعرف ما حرمه الله فيصيبها انزعاج واضطراب وهى ترتكبه"[٦]، فالنفس الإنسانية منسجمة مع الإيمان بفطرة خالقها ، ومنسجمة مع كلام الله بفطرتها ، فكل إنسان له فطرته وهى التى تكشف له خطأه ، فيقول أنا أشعر بضيق وبوخز الضمير."

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الروم :٣٠]

فالإنسان عندما يحيد عن منهج الله بوعى أو من غير وعى يختل توازنه الداخلى بسبب هذه الفطرة ، فالإنسان خلق من نفخة من روح الله ، ومن قبضة من طين الأرض ، فيه نوازع سفلية ونوازع علوية ، فى كل يوم أنت فى صراع بين شيئين ؛ إما أن تطيع الله وتتقى محارمه ، وإما أن تستجيب لشهوات نفسك ورغباتها وتستمع لصوت الهوى ، فالصبر على الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة ، فعمر اللذة قصير ولكن الندم عليها وتأنيب الضمير طويل ، ألا رب شهوة ساعة أورثت حزنًا طويلًا .

فالشهوات قد تكون طريقك إلى الجنة أو إلى النار فإن اكتسبت المال من حلال وأنفقته فيما شرع لك الله فأنت تخطو أولى خطواتك إلى الجنة ،فأنت فى كل يوم فى صراع مع النفس ومع الهوى ومع الشيطان فأما أن تستجيب لنوازع نفسك وأما أن تقهرها بقيود من حديد ، فإذا امتنعت عن أخذ مال حرام فيه

(١) عمدة التفسير – ابن كثير ٦٩١/٣ . (٢) صفوة التفاسير –الصابونى٥٦٦/٣.
(٣) فى ظلال القرآن – سيد قطب-٣٩١٨/٦ بتصرف .
(٤) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٣٢٢/٥ .
(٥) قال ذلك ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والثورى- انظر عمدة التفسير – ابن كثير ٦٩١/٣.
(٦) الأدلة المادية على وجود الله– الشعراوى ١٦ -١٧.

شبهة وأنت فى أشد الحاجة إليه ، وقد أودع الله فى كيانك حب المال فقد انتصرت على نفسك الأمارة بالسوء ، ولنسأل أنفسنا سؤالًا يلح علينا جميعًا ، **لماذا أودع الله تعالى فى النفس البشرية الشهوات ؟؟**

هل تعلم أنه لولا هذه الشهوات لما ارتقت النفس الإنسانية إلى ربها ، فنحن مركبون من جسد وروح ، والجسد بطبعه يميل إلى الأرض ، والروح بطبيعتها تميل إلى خالقها ، وإذا تمادينا فى الشهوات واستخدمناها فى الحرام فنحن نشبه الحيوانات بل أدنى ، وإذا ارتقينا بأنفسنا وتوجهنا إلى خالقنا واستخدمنا هذه الشهوات فى إرضاء خالقنا ارتفعنا إلى مستوى الملائكة ، ولكن ..كيف ذلك ؟؟

فالله أودع فينا غريزة حب المال ، فلولا هذه الغريزة فما قيمة الصدقة ؟ وما قيمة الزكاة ؟ وكيف أن الإنسان بطبعه شحيح ، فكيف يقاوم نفسه ويقاوم شيطانه ويخرج ماله فى سبيل الله ، بل كيف يترك المال الحرام ، وقد يكون المبلغ مغريًا جدًا ، ومع ذلك يقول إنى أخاف الله رب العالمين .

ولولا أن الله أودع فى تفس الإنسان الميل نحو المرأة فما قيمة غض البصر ، فأنت تنهى نفسك عن الهوى فلولا الشهوات التى أودعها الله فينا لما كانت الجنة والنار، ولولا هذه الشهوات لما أمكننا أن نرتقى إلى الله إلا بها .

إن النفس البشرية مخيرة وليست مكرهة ، فالإنسان عنده استعداد أن يكون مؤمنًا أو كافراً ، وأن يكون رحيمًا أو قاسيًا عن طريق الشهوات التى أودعها الله فينا ، فالله عز وجل أعطى النفس الاختيار وجعلها مسئولة عن اختيارها. ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [سورة المدثر : ٣٨]

إن الله تعالى أمر عباده تخييرًا ، ونهاهم تحذيرًا ، وكلف يسيرًا ، ولم يكلف عسيرًا ، وأعطى على القليل الكثير .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ :

قال قتادة: قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل،[١] وسما بها إلى طاعة الله ؛ لأن الإيمان فيه تخلية وتحلية وتطهير، فالإنسان إذا اتجه إلى الله فقد تخلص من أدرانه وأمراضه النفسية بل يرتقى بنفسه إلى أن يواكب الملائكة فى طاعتهم لله ولكنه يتفوق عليهم ذلك بأنه كان أمامه اختيار بين الطاعة والمعصية ولكنه آثر الطاعة ، وبذلك فهو يفوق الملائكة لأنهم جبلوا على الطاعة .

﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ :

دساها :جعلها قليلة خسيسة .[٢] يحتمل أن يكون المعنى دسها أى أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى ، حتى ركب المعاصى وترك طاعة الله عز وجل ، قال ابن عباس: وقد يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه وقد خاب من دس الله نفسه .[٣]

قد خاب وخسر من حقر نفسه بالكفر والمعاصى والآثام ، فإن من طاوع هواه وعصى أمر مولاه والتحق

(١) عمدة التفسير – ابن كثير ٦٩١/٣. (٢) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج ٥/ ٣٣٢ . (٣) عمدة التفسير - ابن كثير ٦٩٢/٣

بالجهلة الأغبياء فقد نقص من عداد العقلاء .[١]

هذه الآية آية مصيرية ، فأنت أيها الإنسان تعرف الهدف الذى من أجله خلقت لتسعد سعادة أبدية ، ولذلك خاب وخسر من حبط عمله فى الدنيا ، وهى خسارة أبدية ليس بعدها خسارة.

" إن الإنسان مركب من روح وجسد ، وهناك نفوس لاتطلب إلا غذاء الأبدان ، أما غذاء الأرواح فلا تبحث عنه فهم يرون النعمة فى لذة الحواس يعيشون ويأكلون كما تأكل الأنعام، فيضل الطريق وينحرف بسبب إغراء عابث أو شهوة جامحة ، إلى أن يأتيه الموت بغته فيدفع ثمن غفلته وجهله ، أما ذوو النفوس العالية والقلوب العالية فإنهم يقولون لماذا خلقنا ؟ ولماذا كان هذا الوجود ؟ هذه النفوس تشرق بنور ربها وهذه العقول النيرة التى أصطفاها الله . فعليك بتحقيق التوازن بين متطلبات الجسد والروح.[٢]

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة الشمس :١١-١٥]

يضرب الله لنا مثلاً لمن طغى وبغى ولم يطهر نفسه من دنس الكفر والعصيان ، لم يحجب نفسه من دنس المعصية ، فحجبها عن الهدى ، فذكر قصة قوم ثمود وما أصابهم من غضب وهلاك من الله نظير عصيانهم[٣]، وتحذيرًا وعبرة لمن بعدهم بألا يتبعوا طريق الشهوات بل يتبعوا طريق الرشد والصواب .

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾:

بطغواها: أى بطغيانها ، وكل شىء جاوز القدر فقد طغى.[٤]

التعريض بتهديد المشركين الذين كذبوا الرسول طغيانًا ، كما كذبت ثمود رسولهم طغيانًا ؛ لأن المشركين لم يعتبروا بما حل بثمود من استئصال ، وكان ذلك من طغيانهم وتكبرهم أن يصيبهم مثل ما أصابهم ، وثمود هم قوم صالح طلبوا منه أن يخرج لهم ناقة من الجبل ، وعلقوا إيمانهم على هذه المعجزة ، فلما خرجت الناقة حذرهم نبيهم صالح من عقر الناقة ، وكانت هذه الناقة لها يوم تشرب فيه والقرية لها يوم تشرب فيه .

"وإضافة ناقة للفظ الجلالة لأنها آية جعلها الله على صدق رسالة صالح -عليه السلام-ولأن خروجها لهم كان شيئًا خارقًا للعادة " .[٥]

أي احذروا ناقة الله واحذروا أن تؤذوها أو تمسوها بسوء فكذبوه فيما جاءهم به فعاقبهم الله على فعلتهم،

(١) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٦٦/٣. (٢) الجواهر فى تفسيرالقرآن – الجوهرى بتصرف ٢٥/ ٧٠ . (٣) صفوة التفاسير- الصابونى ٥٦٦/٣
(٤) لسان العرب ١٨/١٥ . (٥) التحرير والتنوير- ابن عاشور٣٧٧/٣٠.

وذلك لأنهم عقروا الناقة التى أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم[١]، فانبعث أشقى هؤلاء القوم وهو (قدار ابن سالف) وكان عزيزًا شريفًا فى قومه رئيسًا مطاعًا ، فعقر الناقة ، أى ذبحها "فتحمل قومه نتيجة عمله ؛ لأنهم سكتوا واستحسنوا ما فعل ، فلما استحسنوه ولم يأخذوا على يد الظالم ، عندئذ تتحرك يد القدرة الإلهية لتبطش البطشة الكبرى." [٢]

﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ ﴾ :

دمدم :أهلكهم ، وقال أبو إسحق :أى أطبق عليهم العذاب .[٣]الدمدمة الهلاك باستئصال ، [٤] فأرسل عليهم الصاعقة والرجفة التى أهلكوا بها ، وأطبق عليهم العذاب ، فلم يفلت منهم أحد ، فأهلكهم الله ودمرهم عن آخرهم بسبب إجرامهم وطغيانهم .

﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴾ :

قال ابن عطية :أى فسوى بين القبيلة فى العقوبة ، فلم يفلت منهم أحد ، لا صغير ولا كبير ، ولا غنى ولا فقير . [٥]

﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ :

قال ثعلب: لا يخاف عاقبة ما عمل أن يرجع عليه فى العاقبة كما نخاف نحن. [٦]

أى ولا يخاف تعالى عاقبة إهلاكهم وتدميرهم ؛ لأنه تعالى لايسأل عما يفعل [٧] ، "ومن ذا يخاف وماذا يخاف ؟ فهذه سنة الله فى الأرض فى أخذ المكذبين الطغاة ، فلكل ظالم موعد ، ولكل أمر غاية ، ولكل قدر حكمة" . [٨]

وقد يتبادر إلى الذهن سؤالا: **ما الذى يحمل الناس على معصية الله ؟؟**

توهم العاصى أنه سيكسب شيئًا من معصيته ، وأن المؤمن باستقامته قد حرم من مباهج الدنيا ، وهذا الوهم هو الذى يدفعه إلى مخالفة منهج الله ، فلو أن الناس علموا علم اليقين أن لكل معصية عقابًا ، وأن كل خروج عن منهج الله هو هلاك وشقاء فى الدنيا والآخرة لالتزموا منهج الله وساروا على طريق الهداية.

فنحن نعيش فى زمن صعب ، فى زمن الفتن ، فى زمن القابض على دينه كالقابض على جمر، فى زمن ترى أن كل ما حولك يدعوك إلى المعصية ، فى زمن ترى أن استقامة الإنسان على أمر الله مجهدة ، أحيانًا تكون الطاعة مجهدة ومتعبة ، ولكن هذه الكلفة تمضى ويبقى الثواب ، أما المعصية ممتعة والمتعة تمضى ويبقى العقاب.

*****

(١) عمدة التفسير - ابن كثير ٣/٦٩٢-٦٩٣.
(٢) فى ظلال القرآن –سيدقطب٣/٣٩١٩.
(٣) لسان العرب ١٢ /٢٠٨.
(٤) تفسير القرطبى ٢٠/٧٩.
(٥) التسهيل لعلوم التنزيل ٢/٥٧٨.
(٦) لسان العرب ١/٦١١ .
(٧) صفوة التفاسير- الصابونى ٣/٥٦٧ .
(٨) فى ظلال القرآن –سيد قطب٦/٣٩١٩ .

﴿ سُورَةُ اللَّيْلِ ﴾

■ **ما المحور الذى تدور حوله السورة ؟**

تتحدث السورة الكريمة عن سعى الإنسان وعمله بين خير وشر ، وهما يمثلان النور والظلمة ، وعن كفاحه ونضاله فى هذه الحياة ، ثم نهايته إلى النعيم أو الجحيم ، واختير القسم بالليل والنهار لمناسبتهما للمقام ؛ لأن غرض السورة المقارنة بين حال المؤمنين وحال الكافرين فى الدنيا والآخرة ، وابتديء بالليل لأن عدد الكفار حينئذ كان أكثر من المؤمنين فناسب تلك الحالة تمثيلها بحالة الليل حيث يعقبه ظهور النهار.(١)

■ **ما ترشد إليه السورة :**

١. يقسم الله بالليل إذا غشى الدنيا بظلامه ، وبالنهار إذا أنار الوجود بإشراقه وضيائه ، وبالخالق العظيم الذى أوجد الذكر والأنثى ، أقسم على أن عمل الخلائق مختلف وطريقهم متباين .

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ ﴾ [سورة الليل : ١-٤]

٢.وضحت طريق السعادة وطريق الشقاء ، ورسمت الخط الموصل للنجاة والفوز بالجنة ، وبينت أوصاف الأبرار والفجار.

﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ ﴾ [سورة الليل : ٥-١٠]

٣. اغترار بعض الناس بأموالهم التى جمعوها وثرواتهم التى كدسوها وهى لا تنفعهم يوم القيامة فى شىء ، وذكرتهم بحكمة الله فى توضيحه لعباده طريق الهداية وطريق الضلالة .

﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ﴾[سورة الليل:١١-١٣]

٤.حذرت أهل مكة من عذاب الله وانتقامه ممن كذب بآياته ورسوله ، وأنذرهم من نار حامية تتوهج من شدة حرها، لايدخلها ولا يذوق سعيرها إلا الكافر الشقى المعرض عن هداية الله.

﴿ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۝١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ ﴾[سورة الليل:١٤-١٦]

٥. ختمت السورة بذكر إنموذج للمؤمن الصالح الذى ينفق ماله فى وجوه الخير ليزكى نفسه من عذاب الله، وضربت المثل بأبى بكر الصديق - رضي الله عنه - حين اشترى بلالاً وأعتقه فى سبيل الله .(٢)

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ۝٢١ ﴾ [سورة الليل : ١٧-٢١]

(١) التحرير والتنوير -ابن عاشور٣٠/٣٧٨ بتصرف.

(٢) صفوة التفاسير -الصابونى٣/٥٦٨

▪ **سبب النزول :**

روى أن بلالاً - رضي الله عنه - كان عبدًا مملوكًا لـ(أمية بن خلف) ، وكان سيده يعذبه لإسلامه ، ويخرجه إذا حميت الشمس ، فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له :لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد !!

فيقول -وهو فى تلك الحالة- : " أحد ، أحد "، فمر به أبو بكر وهم يصنعون به ذلك ، فقال لأمية : " ألا تتقى الله فى هذا المسكين " فقال له : " أنت أفسدته علي، فأنقذه مما ترى " ، فاشتراه أبو بكر منه وأعتقه فى سبيل الله ، فقال المشركون: " إنما أعتقه ليدٍ كانت له عنده فنزلت "[1]:

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الليل : ١٩-٢١] ، نزلت فى الصديق رضي الله عنه .

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾ [سورة الليل : ١-٤]

﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ :

يقسم الله بالليل إذا غطى بظلمته الكون ؛ حيث تسكن الحركة ويأوى كل حى إلى مأواه ، فالله تعالى أقسم بالليل لأنه سكن لكافة الخلق ، يأوى فيه الإنسان والحيوان إلى مأواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ، ثم أقسم بالنهار لأن فيه حركة الخلق وسعيهم إلى اكتساب الرزق [2] ماذا لو تصورنا أن الله لم يخلق لنا الليل ، فكيف ستكون الحياة ؟

لو لم يكن هناك ليل لأصبحت الحياة فوضى ؛ حيث ينعدم الزمن ، فكيف نحسب الأيام لا ليل ولا نهار، ولكن ضياء مستمر . تصوروا لو فقدت الأرض دورانها ، ولو بقى الليل سرمدًا إلى يوم القيامة ، أوبقى النهار سرمدًا ، فماذا يحصل... ؟؟

سوف ينعدم الزمن ، ولما عرفنا عدد السنين ولاحساب أعمارنا ، ولاختلفنا على عدد ساعات العمل ، فهذا نام عشر ساعات ، وذلك بدأ بعمل وهذا بدأ بعمل ، وهذا بدأ بالنوم عندما بدأ غيره بالعمل ، فالليل نظام إلهى تسكن فيه الخلائق ، والنهار نظام إلهى للعمل والحركة والانطلاق .

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ ﴾ [سورة النبإ : ١٠-١١]

إن الليل رحمة لنا ونظام لحياتنا ، وسكن لأعصابنا ، وآية من آيات الله ودليل على دوران الأرض حول نفسها.

---

(١) تفسير الخازن ٢٥٦/٧ ،أسباب النزول –الواحدى٤٨٠.

(٢) صفوة التفاسير –الصابونى٥٦٩/٣ .

﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ :

"يقسم الله تعالى بالنهار إذا أنار العالم وأضاء الكون ، فقديمًا كانوا يظنون أن طلوع الشمس هو الذى يجلى ظلمة الليل ، فى مطلع الستينات من القرن العشرين فوجيء رواد الفضاء بحقيقة مذهلة مؤداها أن الكون يغشاه الظلام الدامس فى غالبيه أجزائه ، وأن طبقة النهار عبارة عن حزام رقيق جدًا ، لا يتعدى سمكه مائتين كيلو متر فوق مستوى سطح البحر ، فهو يغلف نصف الأرض المواجه للشمس ، ويتحرك على سطحها بمعدل دورانها حول محورها أمام الشمس ، وأنه بمجرد تجاوز تلك الطبقة الرقيقة من نور النهار تبدو الشمس قرصًا أزرقًا باهتًا فى صفحة السماء السوداء الحالكة السواد ، وكذلك تتضح مواقع النجوم بنقاط زرقاء باهتة لا تكاد ترى ، وبدراسة هذه الظاهرة المبهرة ، والتى سبق للقرآن أن أشار إليها من قبل ألف وأربعمائة سنة ، يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [سورة الحجر : ١٤-١٥]

"إن الغالبية العظمى من أشعة الشمس هى أشعة غير مرئية ، وأن الجزء المرئى لايرى إلا بعد انعكاسه وتشتته لمرات عديدة على عدد من الأجسام ، من هنا يتضح لنا أن الذى يجلى الشمس لعين الإنسان هو كثرة انعكاس الضوء الصادر إلى الأرض ، وتشتته على الجسيمات الصلبة والسائلة والغازية بتركيز معين فى نطاق الجزء الأسفل من الغلاف الغازى للأرض على ارتفاع مائتى كيلو متر فوق سطح البحر ، وباقى المسافة بينه وبين الشمس المقدرة بحوالى مائة وخمسين كيلو متر ؛ بل باقى الجزء المدرك لنا من الكون يغرق فى ظلام دامس ، وعندما يدخل ضوء الشمس إلى الطبقة الدنيا من الغلاف الغازى للأرض فإنه يتعرض للعديد من عمليات الانعكاس والتشتت ، فيعطى لكل من السحاب والشمس والسماء والبحر لونه الخاص به ، وهذا معناه أن النهار يجلى لنا الشمس أى يجعلها جلية لإحساسات المشاهد لها من أهل الأرض ، وليست الشمس هى التى تجلى وتظهر لنا النهار كما كان يعتقد كل الناس عبر التاريخ حتى الستينات وبدء رحلات الفضاء ".

فالليل والنهار آيتان كونيتان من آيات الله فى الخلق ، تشهدان على دقة بناء الكون وانتظام حركة الأرض حول محورها أمام الشمس ،"إن ميل هذا المحور من أجل تبادل الفصول المناخية فى الأرض، فبهذا التبادل بين الليل والنهار يتم التحكم فى درجات الحرارة والرطوبة وكميات الضوء اللازمة لمختلف الأنشطة الحياتية ؛ مثل التنفس والنتح والتمثيل الضوئى .

هل تعلم عزيزى القارئ أن نشاط الغدة الصنوبرية فى إنتاج الهرمونات الهامة لحياة الإنسان ، وبخاصة هرمون (الميلاتونين) ، وذلك أثناء الليل ، وهذا الهرمون له دور مهم فى المحافظة على جسد الإنسان ؛ حيث يقلل من التعرض لأمراض القلب والشرايين ؛ وذلك بالتقليل من مرض تجلط الدم ، ويعمل بالمحافظة على الخلايا العصبية وخلايا الدماغ ، ويعمل على تقوية جهاز المناعة ، ويؤخر آثار الشيخوخة عليه ،ومن بديع صنع الله فى جسم الإنسان أنه بمجرد أن تلتقط عيناه شعاع النور فى النهار ترسل رسالة إلى الساعة الحياتية فى جسده ، عن طريق الجهاز العصبى ، فيتوقف هرمون الميلاتوتين ويبدأ الجسد فى

إنتاج غيره من الهرمونات مثل (السيرتوتين)، ومن هنا يتضح أهميه تعاقب الليل والنهار" ."

كذلك بهذا التعاقب يتم ضبط التركيب الكيمائى للغلاف الغازى المحيط بالأرض ، وضبط دورة الماء بين الأرض والسماء ، وتنظيم حركة كل من الرياح والسحب ، وتوزيع المناخ ، ونزول الأمطار -بإذن الله- كذلك تفتيت الصخور وتكوين التربة الصالحة ؛ حيث يصيب الأرض الطاقة الشمسية نهارًا لعمرانها ، وتوفير القدر الكافى من الظلمة لاستكمال أسباب الراحة والهدوء والسكينة، وهو من ضرورات استمرارية الحياة لكل من الإنسان والحيوان والنبات" [١].

إن من ينظر إلى الليل والنهار وتعاقبهما ليدرك أن هناك يدًا تدبر وتحرك هذا الكون ، وأن الذى يدبر هذا الكون يدبر حياة البشر أيضًا ولا يتركهم سدى ، كما أنه لا يخلقهم عبثاً . [٢]

﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴾ :

الآية تحتمل وجوه كثيرة :

١_ خلق الذكر والأنثى أى عظمة خلق الذكر والأنثى قاله: أبى عبيده وغيره.

٢-من خلق الذكر والأنثى .فالله سبحانه وتعالى يقسم بذاته على خلق الذكر والأنثى قاله: الحسن ، من صمّمهما ومن إبتدعهما على غير مثال سابق للتنبيه بأنه الخالق المبدع الحكيم .

٣- وقيل معناه : وماخلق من الذكر والأنثى . [٣] سواء فى النبات أو الحيوان أو غير ذلك .

لو تأمل الإنسان للحظة وتفكر مما خلق لسجد راكعا لله تعالى كيف أن النطفة التى تستقر فى الرحم تتحول إلى ذكر أو أنثى مالذى يقول لهذه: كونى ذكراً ،ويقول لهذه :كونى أنثى؟هل هذا من قبيل المصادفة ؟! الإجابة:لايبقى هناك إلامدبراً يخلق الذكر والأنثى لحكمة مرسومة وغاية معلومة فلا مجال للمصادفة ولا مكان للتلقائية فى هذا الوجود.

فعلامَ يتكبر الإنسان..!!ألم يك نطفة من ماء مهين ؟! ثم تحولت هذه النطفة إلى علقة ..من ذا الذى خلقها جنيناً ..؟ومن الذى قاد هذه الرحلة المديدة وهو خليقه صغيرة ضعيفة لا عقل لها ولا تجارب..؟!

بل من الذى جعل من الخلية الواحدة الذكر والأنثى ؟ أى إرادة لهذه الخلية فى أن تكون ذكراً أو أنثى ..؟ أم من ذا الذى يزعم أنه تدخل فقاد خطواتها فى ظلمات الرحم إلى هذا الاختيار !! لا مفر من الإحساس باليد المدبرة التى قادت النطفة فى طريقها الطويل حتى انتهى بها إلى ذلك المصير. [٤]

ثم كيف أصبح الذكر له صفات خاصة بدءاً من هيكله العظمى فله جمجمة كبيرة وعضلات مفتولة وصوت خشن وله شكل معين وأجهزة معينة ويتقن أعمالاً معينة ، أما المرأة فلها هيكل عظمى آخر ولها أجهزة خاصة بها .

لقد أثبت العلم الحديث أن ذاكرة المرأة أقوى من ذاكرة الرجل ، والعاطفة تغلب على المرأة بينما العقل

(١) تفسير الآيات الكونية – زغلول النجار - ٤/٤٩٠ - ٤٩٢- ٤٩٨-٤٩٩.

(٢) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٦/٣٩٢١ .

(٣) تفسير القرطبى ٢٠ /٨٠-٨١ .

(٤) فى ظلال القرآن - سيد قطب ٦/٣٩٢١بتصرف.

يغلب على الرجل، والرجل يحب القيادة بينما المرأة تحب أن تنقاد إلى زوجها .
كذلك خلق الذكر والأنثى شامل لكل الأنواع وفى سائر الأحياء ، ومنها النبات والحيوان ، ففى الحيوان للذكر طباعه وللأنثى طباعها ،كذلك النبات فهناك نبات مذكر ونبات مؤنث ولا تنعقد الثمرة إلا إذا تم التلقيح بين الذكر والأنثى؛ ويتضح ذلك جليا فى قوله تعالى :

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ﴾ [سورة طه :٥٣]

"ولكن هناك زوجيه لم نكن نعرفها وعرفناها أخيرًا ، ففي الكهرباء لابد من وجود سالب وموجب ، وكذلك السحاب يتكون من ذكر وأنثى ، عندما يلتقيان ينزل المطر ، وعرفنا أيضًا أن فى الذرة يوجد سالب وموجب . إن أساس بناء الكون مبني على اعتبار الزوجين ، فكل منهما يحتاج إلى الآخر. [١]

﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ ﴾[سورة الذاريات : ٤٩].

أما الله فهو واحد لا يحتاج إلى صاحبة ولا ولد ، فالذكر والأنثى مكملان بعضهما لبعض ، وكل منهما له دوره فى الحياة ، ولا يستطيع الذكر أن يستغنى عن الأنثى ، ولا الأنثى تستطيع أن تستغنى عن الذكر ، فكل ميسر لما خلق له ، فالرجل يجد ويجتهد بالعمل فيتحمل مصاعب الحياة ، والمرأة لها دور فى تربية الأولاد ، وهى السكن الذى يأوى إليه الزوج ، فهى التى تؤنس وحدته ، وينسى هموم الحياة ومتاعبها بالأنس بها .

لقد شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يخلق كل شىء فى هذا الوجود فى زوجية واضحة حتى يبقى هو جل جلاله منفردا بالواحدانية المطلقة فوق جميع خلقه ، وهذه الزوجية لها من الشواهد ما يؤكد وحدانية الخالق سبحانه وتعالى بغير شريك ولا شبيه ولا منازع ولا صاحبة ولا ولد .[٢]

لقد كان من تدبير الله أن جعل بين الذكر والأنثى مودة ورحمة ، كان من الممكن أن يكون بينهما تنافر وتضارب وتنازع فى الرأى ، ولكن شاءت إرادة الله أن يجعل بينهما ود ورحمة ، فأما الود والحب يكون فى أول الزواج ويمتد إلى نهاية العمر ، أما الرحمة فتحضر عندما يكبر أحد الزوجين أو يمرض لأن البشر عامة أبناء أغيار، وكثيراً ما تتغير أحوالهم، فإن فقدتم السكن، وفقدتُم المودة ، فإن الرحمة تسعكما، فليرحم الزوج زوجته إنْ قَصُرت إمكاناتها للقيام بواجبها ، ولترحم الزوجة زوجها إنْ أقعده المرض ، فعندئذ يكون ما يربطهما هو الرحمة والود .

﴿ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴾ :

إن عملكم لمختلف ؛ فمنكم تقى ومنكم شقى ،[٣] "أن سعي الناس مختلف وطرقهم مختلفة ، ومن ثم فجزاؤهم مختلف كذلك ؛ فليس الخير كالشر، وليس الهدى كالضلال.

وليس الصلاح كالفساد، وليس من أعطى واتقى كمن بخل واستغنى، وليس من صدق وآمن كمن كذب وتولى . وأن لكل طريقاً ، ولكل مصيراً ، ولكل جزاء وفاقاً.

إن لكل واحد منا عالمه الخاص به ، فكل واحد له طباعه ومشاريعه واهتماماته ، فكل واحد منا له نظرته

(١) الحياة والموت– الشعراوى ٣٨. (٢) تفسير الآيات الكونية – زغلول النجار ٢٥١/١– ٢٥٤. (٣) صفوة التفاسير – الصابونى٥٧٠/٣.

للدنيا [١] "، فمنهم من يرى أنها مركبته إلى الآخرة ، ومنهم من لا يرى إلا دنياه ، ولا يرى إلا ما تحت قدميه.

فالناس فى النهاية ينقسمون إلى فريقين ؛ فريق أطاع الله وبذل ماله لله ، وفريق بخل بماله ولم يطع إلا هواه، ولكل وجهته ، ولكل منهما نهايته المقدرة له . فكل منا له سعيه وجهده ، وكل منا عنده مايشغله ويكدر عليه حياته ، ولكن الاختلاف بيننا هو كيف نصل إلى ما نريد ، فطريق الخير كله أشواك وعقبات ، وطريق الشر ما أقصره وأيسره ، فلقد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات.

تعجبت من طالب للدنيا والموت يطلبه ، وبانى القصور والقبر منزله، ومن يضحك بملء فيه والنار أمامه ، يا ابن آدم لا بالكثير تشبع ، ولا بالقليل تقنع ، تجمع مالك لمن لا يحمدك ، إنما أنت عبد بطنك وشهوتك .

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣﴾[سورة الليل : ٥-١٣]

أن سعي الناس مختلف وطرقهم مختلفة، ومن ثم فجزاؤهم مختلف كذلك؛ فليس الخير كالشر، وليس الهدى كالضلال. وليس الصلاح كالفساد، وليس من أعطى واتقى كمن بخل واستغنى، وليس من صدق وآمن كمن كذب وتولى. وأن لكل طريقاً، ولكل مصيراً ، ولكل جزاء وفاقاً [٢].

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴾ :

وأما من أعطى ماله وأنفقه ابتغاء وجه الله ، وكف نفسه عن محارم الله ، [٣] فهو قد تصدق ، ولم يمد يده إلى الحرام ؛ بل اتقى الله فى كل خطوة من خطوات حياته لأنه تعالى سيحاسبه على هذا المال من أين اكتسبه..؟ وفيما أنفقه ..؟

﴿ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ :

أى صدق بالجنة التى أعدها الله للأبرار ،[٤] فنحن لم نر الجنة ولم نر النار ولم نر الله ؛ ولكن كل ما حولنا يشير إلى يد القدرة الإلهية ، هذا الكون المنظم الدقيق المحكم بكل مافيه ومن عليه يشير إلى القدرة الإلهية ، لأنه ببساطة شديدة لو أن كل الناس رأوا الله لآمنوا به ، ولكن الامتحان الكبير لنا أننا لا نرى الله ومع ذلك نعبده ، ونتقرب إليه ونخشاه ونشعر أنه يرانا ومطلع علينا ، ويشعر بما تكنه قلوبنا؛ لذلك استحق من صدق بالجنة وهو لم يرها الثواب ، وهو الدخول إلى جنة الرحمن ، فلقد سعى لها وجهد جهده فى الدنيا ابتغاء مرضات الله .

﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ :

اليسرى :الأمر السهل. [٥]

(١) فى ظلال القرآن – سيد قطب بتصرف٦/٣٩٢٢.
(٢) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٦/٣٩٢١.
(٣) ، (٤) صفوة التفاسير –الصابونى٣/٥٧٠.
(٥) معانى القرآن وإعرابه – الزجاج ٥/٥٣٥.

هذا الإنسان الذى صدق بالله وبالجنة وبالنار ، ونهى نفسه عن الشهوات والمنكرات ،"سوف نهيؤه للطريقة اليسرى وهى فعل الخيرات وترك السيئات [١] فلو ترك لنفسه فسوف تنتصر عليه ، فالنفس ضعيفة ، والإنسان بطبعه خلق ضعيفاً ،فهو ضعيفٌ أمام نفسه وأمام الهوى وأمام الدنيا ومغرياتها ، فالله لا يتركه هكذا ؛ بل يمد له يد العون ، فالله يهيىء له سبل الخير ، ويساعده على فعل الطاعات وترك المحرمات ، فالله هو الموفق إلى العمل الصالح ، فلا تغتر أخى فى الله وتظن بنفسك خيرًا، فلولا توفيق الله لك ماكنت صالحًا ، فإن كنت بعيدا عن الله فتقدم بالخطوة الأولى وتقرب إلى الله ، وستجد العجب العجاب،فسيفتح الله لك أبواب الخير جميعًا إن علم الله صدق نيتك وحبك له، فإن تصدق الله يصدقك .

﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴾ :

هذا هو الفريق الثانى فريق من بخل بإنفاق المال ، واستغنى عن عبادة الله ، [٢] فهو يرى أن هذا المال إنما هو منحة له ، قد أخذه بشطارته أو بعلمه ، فليعلم هذا الإنسان أنه إنما هو مستخلف على هذا المال ، وأن هذا المال كان فى يد غيره قبله ، فالمال إنما هو ابتلاء لك هل ستنفقه فيما يحب الله ويرضى ، أم ستنفقه فيما يغضب الله ، لا تظن أنك قد فضلك الله على غيرك حين منحك الله إياه ، أو هو شطارة منك ، أو تقول كما قال قارون :

﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [سورة القصص : ٧٨].

فهناك من هو أكثر علمًا منك ، فهذا المال إنما هو ابتلاء لك ، ماذا ستفعل به ، هل ستساعد به المحرومين المنكوبين، أم ستبخل به على عباد الله ؟ هل هذا المال سيزيدك قوة ، فتصبح من المتجبرين على عباد الله ، فتسحقهم بقدمك ، وتتكبر عليهم أم ستمد لهم يد العون ؟ لا تظن أن الله يحبك لأنه أعطاك المال ، فالله يعطى الدنيا لمن أحب ولمن لا يحب ، أما الآخرة لايعطيها إلا لمن يحب ، ولو تساوى الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء.

﴿ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴾ :

العسرى :العذاب ، والأمر العسير . [٣]

فهذا الذى بخل بماله واستغنى عن الله ، وعن عبادته وكذب بالجنة ونعيمها [٤]فييسره الله إلى طريق المشقة، ففى كل خطوة من خطواته يقيد له الله من يعينه على الشر من قرناء السوء ، سواء من شياطين الإنس أو الجن ، ويجعل مثواه الأخير إلى النار .

﴿ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴾ :

تردى :قيل مات ، وقيل :إذا تردى فى النار. [٥]

تردى :اختلف فيه على أربعة أقوال : الأول : تردى أى هلك فهو مشتق من الردى وهو الموت ، أو تردى أى سقط فى القبر، أو سقط فى جهنم ، أو تردى بأكفانه من الرداء . [٦]

استفهام إنكارى ، أى أي شيء ينفعه ... ؟ هل ينفعه ماله إذا هلك وهوى فى نار جهنم ؟ [٧]حيث يقول :

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٢/٥٨٠. (٢) صفوة التفاسير –الصابونى٣/٥٧٠. (٣) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٣٣٦/٥. (٤) صفوة التفاسير –الصابونى٣/٥٧٠. (٥) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج ٣٣٦/٥. (٦) التسهيل لعلوم التنزيل ٢/٥٨٠ . (٧) صفوة التفاسير –الصابونى٣/٥٧٠.

﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴾ [سورة الحاقة : ٢٨-٢٩].

هل تنفعه فى تلك اللحظات أموال الدنيا وكنوزها ؟ هل تساوى لحظة عذاب يتعذبها ؟ لو فكر الإنسان قليلاً ووضع إصبعه فى النار للحظات ، هل يتحملها ؟ فكيف بنار جهنم ؟! .

﴿وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ٤٧ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٤٧-٤٨]

هكذا ترسم لنا السورة الكريمة طريقين ونهجين مختلفين، فكل إنسان يفعل بنفسه ما يختار ، وفى كلا الطريقين ييسر الله له طريقه ؛ إما إلى اليسرى وإما إلى العسرى .[١]

ثم تتحدث السورة بعد ذلك عن مصير كل فريق ؛ من سار لليسرى ومن سار إلى العسرى ، ويقرر الله عاقبة كل فريق فهو يعرف من أين جاء؟ ولماذا جاء؟ وإلى أين يذهب؟ وماذا هو واجد هنالك؟ وقد علم أنه هنا لأمر، وأن كل ما يقع له مقدر لتمام هذا الأمر. وعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة، وأنه مجزي على الصغيرة والكبيرة ، وأنه لم يخلق عبثًا ، ولن يترك سدى ، ولن يمضي بلا حساب.

﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ﴾ :

أى إن علينا أن نبين للناس طريق الهدى من طريق الضلالة ونوضح لهم سبيل الرشد من سبيل الغى.[٢]

"ما معنى الهدى؟

الهدى هو الدلالة على الطريق ، فهناك نوعان من الهداية. الهداية الأولى: وهى **الدلالة على الطريق** :وهى من الله لكل عباده فالرسل جاءوا ليهدوا البشر إلى الطريق المستقيم طريق المنهج ، وبلاغ الرسل الذى جاءوا به لمن أرسلوا إليهم هو أن يدلوهم على طريق الهداية لمنهج الله ، ويبينوا لهم الطريق الهدى من الضلالة . إذن الهدى هو الدلالة على الطريق إلى الله ليعرف الناس دين الله وليعبدوه ويطيعوه فيما أمر.

ولكن هناك دلالة أخرى هى **دلالة المعونة** : وهذه خص بها الله سبحانه وتعالى المؤمنين من عباده، فإذا دخل إنسان فى الإيمان فإن الله يعينه ويزيده هدى ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾ [سورة محمد: ١٧]

فالله سبحانه وتعالى رحمة بنا بين لنا ما سيحدث إذا اتبعنا طريق الهداية ، وما سيحدث إذا اتبعنا طريق الضلال ، ومن رحمته جل جلاله أنه جعل مفتاح الجنة والنار فى أيدينا فمن أراد مشى فى طريق الجنة بالإيمان بالله سبحانه وتعالى ، ومن أراد مشى فى طريق النار بمعصية الله." [٣]لقد كان الله بنا رحيمًا حين جعل فطرة الإنسان تميل إلى الحق ، كذلك أرسل الرسل لهداية الخلق ، لكى لا يكون لأحد حجة بعد الرسل، ولا يكون هناك ظلم لأحد . [٤]

(١) فى ظلال القرآن - سيد قطب ٣٩٢٣/٦.
(٢) صفوة التفاسير –الصابونى٥٧٠/٣.
(٣) القضاء والقدر- الشعراوى -٨٣ – ٨٨.
(٤) فى ظلال القرآن - سيدقطب ٣٩٢٣/٦.

لقد شهدت الفطر والعقول بأن للعالم ربا قادرا حكيما عليما رحيما كاملا فى ذاته وصفاته، لا يكون إلا مريدا للخير لعباده مجريا لهم على الشريعة والسنة الفاضلة العائدة باستصلاحهم ، الموافقة لما ركب فى عقولهم من استحسان الحسن واستقباح القبيح ، وما جبل طباعهم عليه من إيثار النافع لهم المصلح لشأنهم ، وترك الضار المفسد لهم ، وشهدت هذه الشريعة له بأنه أحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين وأنه المحيط بكل شىء علما .(١)

﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴾ :

أى لنا ما فى الدنيا والآخرة ، فأين يذهب من يريد أن يذهب عن الله بعيدًا ... ؟فمن طلب الدنيا والآخرة بعيدًا عن الله فقد أخطأ الطريق .(٢)

﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الليل : ١٤-٢١]

﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾ :

تلظى :تتوهج وتتوقد(٣). وتلظى: تلتهب من شدة الاشتعال. وهو مشتق من اللّظى مصدر: لَظِيَتْ النار إذا التهبت، وأصل { تلظى } تتلظى بتاءين حذفت إحداهما للاختصار.(٤)

أى فحذرتكم يا أهل مكة نارًا تتوقد وتتوهج من شدة حرارتها،(٥)فالله يحبنا ويخاف علينا؛ بل إنه رحيم بنا ، فلو آمن أهل الأرض جميعًا فلن يزيد ذلك فى ملك الله شيئًا ، ولو كفر أهل الأرض جميعًا ما نقص ذلك فى ملك الله شيئًا ، إنه سبحانه لا يتضرر بمعصية العبد ، ولا ينتفع بطاعته ولا تتوقف قدرته فى الإحسان إلى العبد على فعل يصدر من العبد ، بل كما أنعم عليه ابتداء بأجزل المواهب ، وأفضل العطايا من حسن الصورة ، وكمال الخلقة ، وقوام البنية ، وما أكرمه من قبول العلم وهداه إلى معرفته التى هى أسمى جوائزه(٦)، يتكرم عليه فيحذره من عذاب النار .

فالله سبحانه وتعالى الذى اختار آدم ، وفضله على ملائكته ، وجعله خليفته يريد أن يأتى الإنسان إليه شوقًا وحبًا ، فهو لم يجبره على الطاعة بل ترك له حرية الاختيار ، لذلك فالله سبحانه وتعالى ينذر الناس جميعًا من عذاب النار ويحذرهم منها ؛ لعلهم يتعظون .

ولكن هناك سؤال يلح علينا ... **لماذا يهتم الله بنا كل هذا الاهتمام ؟** .

الله يتودد إليك بالرغم من أنك صغير جدًا فى ملكه ، وهو غنى عن عبادتك، فهناك من لا يعصون له أمرًا وهم الملائكة ؛ لكنك مخلوق غالٍ على الخالق ، فلقد أسجد لك ملائكته ، وجعلك خليفة فى الأرض ، ونفخ فيك من روحه.

(١) مفتاح دار السعادة -ابن القيم ٨٥٩/٢.
(٢) صفوة التفاسير –الصابونى٥٧٠/٣.
(٣) معانى القرآن وإعرابه– الزجاج ٣٣٦/٥.
(٤) التحرير والتنوير –ابن عاشور ٣٩٧/٣٠.
(٥) صفوة التفاسير –الصابونى٥٧٠/٣.
(٦) مفتاح دار السعادة - ابن القيم٨٥٩/٢.

﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴾ :

هو أشقى عباد الله جميعًا ؛ لأنه قذف بنفسه إلى التهلكة ، ولم يستعد لهذا اليوم ، ولم يقدم أى شيء لآخرته ، فكان عاقبته الخلود فى النار ، وذلك هو الكافر الشقى الذى شقى نفسه وهو لايدرى ، وهو يحسب أنه يحسن صنعًا ، فشر الناس من باع دينه ليحقق لذة عاجلة فى الدنيا ، فلقد باع نعيمًا مقيمًا بشهوة تستغرق زمنًا قصيرًا ، باع خلودًا فى الجنة بوقت قصير فى الدنيا ، ولكن ...من الأشقى ؟ .

﴿ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ :

أى كذب الرسل وأعرض عن الإيمان كذب بالدعوة وتولى عن الهدى وعن دعوة ربه له ليهديه كما وعد.(١)

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾ :

أى سيبتعد عنها وعن حرها من اتقى الله ، الذى تجنب المحارم والمعاصى والشرك ، وهذا هو السعيد .

﴿ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴾ :

يتزكى: من أداء الزكاة ،أو من الزكاة أى يصير زكيا عند الله ،أو يتطهر من ذنوبه (٢) هو الذى ينفق ماله لا ليرائى به ويستعلى ، ولا ردًا لجميل أحد ، ولا طلبًا لشكر أحد ، وإنما ينفقه ابتغاء مرضاة الله. (٣)

﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾ :

أى ليس لأحد عنده نعمة حتى يكافئه عليها ، وإنما ينفق لوجه الله .أى لايفعل الخير جزاء على نعمة أنعم بها عليه أحد. (٤)

قال المفسرون :" نزلت الآيات فى حق (أبى بكر الصديق) حين اشترى بلالًا وأعتقه فى سبيل الله ، فقال المشركون : إنما فعل ذلك (ليدٍ كانت له عنده) فنزلت الآيات " . (٥)

﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ :

أى ليس له غاية إلا مرضاة الله وطلب ثوابه ، فياترى ما الجزاء الذى ينتظره ؟

﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ :

ولسوف يعطيه ربه فى الآخرة ما يرضيه ،(٦) ويا لها من لحظات رضى يفيضها الله على روح صفيه وخليله ، يرضى بدينه ، ويرضى بربه ، ويرضى بنصيبه ، فلا يقلق ولا يضيق ولا يستعجل ولا يستثقل العبء ، ولا يستبعد الغاية. (٧)

يرضى بما يجده من جزاء فى الدنيا والآخرة ، فهو يرضى عن ربه فى كل حال ، يرضى بغناه وفقره ، يرضى بيسره وعسره ، فلا يقلق ولا يستثقل أعباء الدنيا ، إنه جزاء لا يمنحه الله إلا لمن رضى عنه ، وهو يسكبه فى القلوب التى تخلص له فلا ترى سواه أحدًا ، إنه جزاء الصبر على أحزان الدنيا وهمومها .

---

(١) تفسير القرطبى ٨٦/٢٠.
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٨٠/٢.
(٣) فى ظلال القرآن - سيدقطب ٣٩٢٣/٦.
(٤) التسهيل لعلوم التزيل ٥٨٠/٢ .
(٥) انظر تفسير أبى السعود ١٦٨/٩ والتسهيل لعلوم التزيل ٥٨٠/٢ والقرطبى ٨٨/٢٠.
(٦) صفوة التفاسير –الصابونى٥٧٠/٣
(٧) فى ظلال القرآن – سيدقطب ٣٩٢٣/٦.

﴿ سُورَةُالضُّحَىٰ ﴾

■ **ما المحور الذى تدور حوله السورة ؟**

هى تتناول شخصية النبى الأعظم-ﷺ-، وما حباه الله من الفضل والإنعام فى الدنيا والآخرة ؛ ليشكر الله على تلك النعم الجليلة .

■ **ما ترشد إليه السورة :**

١. ابتدأت السورة بالقسم على جلالة قدر الرسول -ﷺ- ، وأن ربه لم يهجره ولم يبغضه كما زعم المشركون ، بل هو عند الله رفيع القدر عظيم الشأن والمكانة .

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤﴾

[سورة الضحى : ١-٤]

٢. ثم بشرته بالعطاء الجزيل فى الآخرة،وما أعده الله لرسوله من أنواع الكرامات ،ومنها الشفاعة العظمى.

﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ ﴾ [سورة الضحى : ٥]

٣. ثم ذكرته بما كان عليه فى الصغر من اليتم والفقر والفاقة والضياع ، فآواه ربه وأغناه ، وأحاطه برعايته وعنايته .

﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ﴾[سورة الضحى:٦-٨]

٤. ختمت السورة بتوصيته -ﷺ- بوصايا ثلاثة مقابل تلك النعم الثلاثة ؛ ليعطف على اليتيم ، ويرحم المحتاج ، ويمسح دمعة البائس المسكين ، وحدث الناس بفضل الله وإنعامه عليك. (١)

﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾[سورة الضحى:٩-١١]

■ **ما سبب نزول هذه الآيات ؟**

– عَنِ الأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جُنْدَبًا، يَقُولُ: " اشْتَكَى النَّبِيُّ ﷺ ، فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَةً - أَوْ لَيْلَتَيْنِ - فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ مَا أُرَى شَيْطَانَكَ إِلَّا قَدْ تَرَكَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ [سورة الضحى:١-٣] (٢)

(١) صفوة التفاسير-الصابونى٣/٥٧١-٥٧٢ .

(٢) (٤٩٨٣) صحيح البخارى – كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ- بَابٌ: كَيْفَ نَزَلَ الوَحْيُ، وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ ، أسباب النزول – الواحدى ٤٨١.

ورد فى روايات كثيرة أن الوحى قد فتر عن الرسول - ﷺ - ، وأبطأ عليه سيدنا جبريل ، فلما تأخر عليه الوحى استوحش قلبه من الحبيب فنزلت هذه السورة ، تفيض من الرحمة والحب والطمأنينه على قلب الحبيب ، إن الله ماكان ليقلاه أو ينساه ، أو يتركه منذ أن اختاره .[١]

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤﴾ [سورة الضحى : ١-٤]

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ :

الضحى :طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيض الشمس.[٢] ، سجى :إذا سكن.[٣]

يقسم الله تعالى بوقت الضحى ، وهو أول النهار ، حينما ترتفع الشمس ، وحين ينتشر ضوءها ليبدد ظلام الليل ، ويقسم بالليل إذا اشتد ظلامه وغطى الوجود .[٤]

فالليل والنهار آيتان من آيات الله لمن أراد أن يتدبر ويتفكر فى خلق الله وإبداعه فى الكون .

حيث تتصل الروح بالوجود، وخالق الوجود ، وتحس بعبادة الكون كله لمبدعه ، وتوجهه لبارئه بالتسبيح والفرح والصفاء ، حيث الليل الساجى الذى يرق ويسكن ويصفو ، ثم ينكشف ويجلى مع الضحى الرائق الصافى .[٥]

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ :

أى لم يقطع عنك الوحى ولاأبغضك ،[٦] وذلك أنه استأخر عليه الوحى فقال بعض الناس: إن محمداً قد ودعه ربه وقلاه فأنزل الله تعالى الآية.[٧]

أى ما تركك ربك يامحمد منذ أن اختارك ، ولا أبغضك منذ أحبك ،وهذا رد على المشركين حين قالوا : هجره ربه .[٨]

﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ :

أى ولدار الآخرة خير لك يامحمد من هذه الحياة الدنيا ؛ لأن الآخرة باقية ، والدنيا فانية ،[٩] فالدنيا دار من لا دار له ، ويسعى لها من لا عقل له .

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾[سورة الضحى : ٥-٨]

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٨٢/٢بتصرف.
(٢) لسان العرب ٤٧٥/١٤. (٣) مفردات ألفاظ القرآن الكريم- للأصفهانى ٣٩٩ .
(٤) صفوة التفاسير- الصابونى٥٧١/٣-٥٧٢ .
(٥) التصوير الفنى- سيد قطب ١٠٥. (٦) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٥/ ٣٣٩.
(٧) لسان العرب ٣٨٣/٨.
(٨) ، (٩) صفوة التفاسير- الصابونى٥٧٢/٣.

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ :

إن الله ليدخر لك مايرضيك من التوفيق فى الدعوة ، وإزاحة العقبات من طريقك ، وغلبة منهجك .[١]

فهذا وعد واسع شامل لما أعطيه النبى من النصر والظفر بأعدائه يوم بدر ، ويوم فتح مكة ، وكثرة الأتباع والفتوح ، وأعلى دينه ، وجعل أمته خير الأمم ، ودخول الناس فى دين الله أفواجاً ، ومافتح على الخلفاء الراشدين ومن بعدهم أقطار الأرض شرقا وغربا.[٢] وأعطاه فى الآخرة الشفاعه العامة والمقام المحمود .

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾ :

يد الله الرحيمة تمتد إلى رسوله ومصطفاه ، ويتضح ذلك من خلال رعايته منذ نعومة أظفاره ، فيقول لحبيبه: انظر فى واقع حالك ، ألم تكن يا محمداً يتيمًا فى صغرك فآواك إلى عمك "أبى طالب" وضمك إليه، فلقد توفى أباه وهو جنين فى بطن أمه ، ثم توفيت أمه وله من العمر ست سنين ، ثم كان فى كفالة جده "عبد المطلب "إلى أن توفى وله من العمر ثمانى سنين ، فكفله عمه "أبو طالب "، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره حتى ابتعثه الله على رأس الأربعين ، وكان عمه أبو طالب يعبد الأصنام ومع ذلك كان يدفع الأذى عنه ، وكل ذلك من حفظ الله له وعنايته به .[٣]

ففى هذه الآيات درس لكل مؤمن ومؤمنة من خلال حبيبه فيذكر نبيه الكريم بنعمه العظيمة وفضله الكبير عليه ، فليس عطاء الله إكرامًا ولا منعه حرمانًا .

(فعطاؤه ابتلاء وحرمانه دواء) فربما يكون المنع هو عين العطاء ، فربما أعطاك فمنعك ، وربما منعك فأعطاك ، وكل ذلك فى أقدار الله ، فهو يعلم بعلمه الأزلى ما يصلح هذا الإنسان وما يقومه ، فأنت ممتحن فى هذه الدنيا مرتين ؛ مرة فيما أعطاك ، والثانية فيما سلب منك ، أنت ممتحن إذا كنت ضعيفًا ، وممتحن إذا كنت قويًا .

﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ :

أى ووجدك تائهًا عن معرفة الشريعة والدين فهداك السبيل.[٤]

﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [سورة الشورى:٥٢]

﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ :

العائل : الذى لا مال له ، والفقر يسمى عَيْلة .[٥]

أى وجدك فقيرًا محتاجًا فأغناك عن الخلق بما يسر لك من أسباب التجارة ، ولما عدد عليه هذه النعم الثلاث وصاه بثلاث وصايا مقابلها .[٦]

(١) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٩٢٧/٦.
(٢) التحرير والتنوير –ابن عاشور ٣٩٨/٣٠ .
(٣) عمدة التفسير - ابن كثير ٦٩٩/٣.
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٣٣/٢ .
(٥) التحرير والتنوير –ابن عاشور ٤٠٠/٣٠ .
(٦) صفوة التفاسير- الصابونى ٥٧٣/٣.

﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾

[سورة الضحى: ٩-١١]

﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴾ :

أما اليتيم فلا تحتقره ، ولاتظلمه بتضييع ماله ، والمراد أن تكن لليتيم كالأب الرحيم ، فقد كنت يتيمًا فآواك الله ، لذلك فلا تقسو عليه لأنك عانيت مما عانى منه . (١)

﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴾ :

لاتنهر : فإما أعطيته وإما رددته رداً ليناً. (٢)

أى السائل المستجدى ، الذى يسأل عن حاجة وفقر ، فلا تذله ولا تهنه ولا تنهره ولا تزجره إذاسألك ، ولكن أحسن إليه وتلطف به (٣) فقد كنت فقيرًا وعانيت مما عانى منه ؛ فإما أن تعطيه أو ترده ردًا جميلاً برفق ولين .

﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾ :

أى بلغ ما أرسلت به ، وحدث بالنبوة التى آتاك الله ، وهى أجل النعم . (٤)

أى حدث الناس بفضل الله وإنعامه عليك ، فلا تنس نعمة الله عليك ، فاعطف على اليتيم ، وارحم السائل ، فقد ذقت اليتم والفقر ، وأرشد العباد إلى طريق الرشاد كما هداك ربك . (٥)

وهذه التوجيهات إلى إكرام اليتيم والنهى عن قهره وكسر خاطره وإذلاله وإلى إغناء السائل مع الرفق به من أهم إيحاءات الواقع فى البيئة الجاحدة المتكالبة التى لا ترعى حق الضعيف غير القادر على حماية حقه بسيفه ، وأما التحدث بنعمة الله وبخاصة نعمة الهدى والإيمان فهو صورة من صور الشكر للمنعم . (٦)

*****

(١) صفوة التفاسير- الصابونى ٥٧٣/٣ . (٢) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٣٣٩/٥ . (٣) عمدة التفسير– ابن كثير ٦٩٩/٣ .
(٤) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٣٤٠/٥. (٥) روح المعانى- الألوسى ١٦٤/٣٠ . (٦)فى ظلال القرآن– سيد قطب ٣٩٢٧/٦-٣٩٢٨.

﴿ سُورَةُ الشَّرْحِ ﴾

■ **ما المحور الذى تدور حوله السورة؟**

ذكر عناية الله تعالى لرسوله ، وإزالة الغم والحرج عنه وتشريف قدره ، وأتبع ذلك بأنه كلما عرض له عسر فسيجد من أمره يسرًا ، فليتحمل متاعب الرسالة ويطلب من الله المعونة .

■ **ما ترشد إليه السورة :**

١. تتحدث عن مكانة الرسول الجليل -ﷺ-، وقد تناولت الحديث عن نعم الله الكثيرة على عبده ورسوله، وذلك بشرح صدره بالإيمان وتنوير قلبه بالحكمة والمعرفة ، وتطهيره من الذنوب والأوزار ، وكل ذلك بقصد التسلية لرسول الله -ﷺ-عما يلقاه من أذى الفجار ، وتطييب خاطره الشريف بما منحه الله من الأنوار.

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ ﴾[سورة الشرح :١-٣]

٢. تتحدث عن إعلاء منزلة الرسول ، ورفع مقامه فى الدنيا والآخرة ، وقرن اسمه -ﷺ- باسم الله تعالى .

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[سورة الشرح : ٤]

٣. تناولت السورة دعوة الرسول-ﷺ-وهو بمكة يقاسى مع المؤمنين الشدائد والأهوال من الكفرة المكذبين ، فآنسته بقرب الفرج وقرب النصر على الأعداء.

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ [سورة الشرح : ٥-٦]

٤. ختمت بالتذكير للمصطفى -ﷺ- بواجب التفرغ لعبادة الله بعد انتهائه من تبليغ الرسالة شكرًا لله على ما أولاه من النعم الجليلة .(١)

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾ [سورة الشرح : ٧-٨]

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ ﴾[سورة الشرح : ١-٤]

(١) صفوة التفاسير -الصابونى ٣/٥٧٤- ٥٧٥.

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ :

شرح الله صدره لقبول الخير ووسعه لقبول الحق فاتسع ،[١] أى شرحناه للإسلام .

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾ [سورة الأنعام :١٢٥]

أى نورناه وجعلناه فسيحا رحبا واسعاً، وقيل المراد بشرح الصدر :شرح صدره ليلة الإسراء.[٢]

وشرح الصدر تنويره بالحكمة وتوسيعه لتلقى مايوحى إليه ، وهو قول الجمهور " ، وقيل: " هو شق جبريل لصدره فى صغره ، وهو مروى عن ابن عباس " .[٣]

هذه السورة توحى بأن هناك ضائقة فى روح الرسول-ﷺ- لأمر هذه الدعوة الثقيلة على كاهله ، والكيد والأذى والمكر الذى كان يعانيه الرسول الكريم فيناجيه بقوله : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ لهذه الدعوة بالهدى والإيمان ونور القرآن ، وإعلامه برضى الله عنه ، وبشارته بما سيحصل للدين الذى جاء به من النصر ، وكذلك نور صدره بالحكمة ، فيقول له :فتش فى صدرك ألا تجد فيه الانشراح والإشراق والأنوار ، ألا تجد السعادة مع كل مشقة وراحة مع كل تعب وكل يسر،وعسر ورضى مع كل حرمان،فبيد من هذا ؟[٤]

﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ :

أى وضعنا عنك عبئك الثقيل ، والكلام تمثيل لحال إزالة الشدائد والكروب بحال من يحط ثقلاً عن حامله ؛ ليريحه من عناء الثقل .

"**الوزر فيه ثلاثة أقوال**:

الأول: أن الوزر هو أثقال النبوة وتكاليفها ، ووضعها على هذا هو إعانته عليها، وتمهيد عذره بعد ما بلغ الرسالة.

الثانى: أن الوزر هو تحيره قبل النبوة ، إذ كان يرى أن قومه على ضلال ، ولم يأته من الله أمر واضح فوضعه على هذا هو بالنبوّة والهدى للشريعة.

الثالث قال الجمهور :المراد بالوزر الذنوب التى فعلها-ﷺ- ووضعها عنه هو غفرانها له.

﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [سورة الفتح :٢]

وهذا على قول من جوّز صغائر الذنوب على الأنبياء ، أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوّة [٥] وليس المراد بالذنوب المعاصى والآثام ، فإن الرسل معصومون ، لكن ما فعله الرسول عن اجتهاد وعوتب عليه كإذنه ﷺ للمنافقين فى التخلف عن الجهاد حين اعتذروا ، وأخذه الفداء من أسرى بدر ، وعبسه فى وجه الأعمى.[٦]

---

(١) لسان العرب ٤٩٧/٢ . (٢) عمدة التفسير- ابن كثير ٧٠١/٣. (٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٨٥/٢ .

(٤) فى ظلال القرآن– سيد قطب ٣٩٢٩/٦ بتصرف (٥) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٨٦/٢. (٦) صفوة التفاسير - الصابونى ٥٧٥/٣.

وإنما وصفت ذنوب الأنبياء بالثقل ، وهى صغائر مغفورة لهم ، لهمّهم بها وتحسّرهم عليها ، فهى ثقيلة عندهم لشدة خوفهم من الله.[١]

-{ عَنْ بْنُ مَسْعُودٍ موقوفاً: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قاعدٌ تحتّ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ وَقَعَ عَلَى أَنْفِهِ» }[٢]

﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ :

الذى أثقل ظهرك حتى كاد يحطمه من ثقله ، وبتوفيقك وتيسرك للدعوة ومداخل القلوب ألا تجد عبئك خفيفًا بعد أن شرحنا لك صدرك . [٣]

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ :

أى رفعناه فى الملأ الأعلى ورفعناه فى الأرض ، فجعل ذكره بين الناس بصفات الكمال ، وذلك بما نزل من القرآن ثناء عليه ، وبإلهام الناس التحدث بما جبله الله عليه من المحامد منذ نشأته .

قال قتادة: " رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ،[٤] وفى الحديث :

-{عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: "أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ لَكَ : كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ ؟ قَالَ: **اللَّهُ أَعْلَمُ.** قَالَ: إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ معي" }[٥]

"لقد قرن الله ذكر الرسول بذكره جل وعلا فى كلمة الشهادة والآذان والإقامة والتشهد والخطب ، وفى غير موضع من القرآن ، وأخذ على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به ، وفى تسميته رسول الله ونبى الله وذكره فى كتب الأولين " .[٦]

وقال آخرون : رفع الله ذكره فى الأولين والآخرين، ونوه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به، وأن يأمروا أممهم بالإيمان به ، ثم رفع ذكره فى أمته فلا يذكر إلا ذكر معه . [٧]

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ [سورة الشرح : ٥-٦]

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ :

أى سيأتى الفرج بعد الضيق ، واليسر بعد العسر فلا تحزن ولا تضجر،[٨] فالله يدبر لك أمورك ، فهو يدبر لك فى الغيب أمور لو علمتها لبكيت فرحاً ، فمع كل محنة منحة من الله ، ومع كل ألم أمل.

فلقد كان بمكة هو وأصحابه فى عسر من إذاية الكفار ، ومن ضيق الحال ، ووعده الله باليسر ، وقد تقدم تعديد النعم لتسليته ، ولتطيب نفسه ، ويقوى رجاؤه ؛ كأنه يقول : إن الذى أنعم عليك بهذه النعم

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٨٦/٢. (٢) (٢٤٩٧) سنن الترمذى– أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - باب منه ، (٦٣٠٨) صحيح البخارى – كتاب الدعوات- باب التوبة. (٣) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٩٢٩/٦ . (٤)عمدة التفسير–ابن كثير ٧٠٢/٣.
(٥) (٣٣٨٢) إسناده ضعيف،صحيح ابن حبان-كِتَابُ الزَّكَاةِ– بَابُ ذِكْرِ الْإِخْبَارِ عَنْ إِبَاحَةِ تَعْدَادِ النِّعَمِ لِلْمُنْعِمِ عَلَى الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا.
(٦) تفسير البحر المحيط - ٤٨٤/٨. (٧) عمدة التفسير– ابن كثير ٧٠٢/٣. (٨) صفوة التفاسير – الصابونى ٥٧٥/٣.

سينصرك، ويظهرك، ويبدل لك هذا العسر بيسر، ولذلك كرر إن مع العسر يسرا.[١]

فعلى المؤمن أن يعلم أن الدنيا دار ابتلاء واختبار، فإن أضحكت قليلاً منعت طويلًا، ولكل فرحة ترحة، فهذه هى سنة الله فى الأرض الابتلاء.

ولكن لابد أن تعلم عزيزى القارئ أن مع العسر يسراً، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، فلا تحتقر ماقدره الله لك، واعلم أن الله هو العالم بشؤون خلقه، يعز من يشاء ويذل من يشاء، فلو سارت الحياة على وتيرة واحدة لاغتر الإنسان بما عنده وتكبر وتجبر على عبيده، لذلك هناك عسر وهناك يسر، وذلك لتصحيح مسيرة الإنسان بإحياء ضميره، وذلك باليقين بأن نصر الله قريب وأن فرجه قريب، وأن بعد الضيق سعة، وأن بعد العسر يسراً، وأن ما وعد الله المبتلين من جزاء لابد أن يتحقق.

فعندما لا تنجح فى أمر ما فاعلم أن الله سبحانه وتعالى يعلم أن هذا خير لك إما لأنك غير مستعد له بعد لأنك لن تقدر على تحمله الآن، أو لأن هناك قادم أفضل لك، فتقبل ما كتبه الله لك وابتسم ولا تعجز.

إن هذه الدنيا من عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن لشقاء،قد جعلها الله دار بلوى وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة، وكل ذلك وفق قدر معلوم وقضاء مرسوم وحكمة إلهية، فوراء كل محنة منحة منه سبحانه وتعالى.

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾[سورة الشرح : ٧-٨]

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ :

فانصب: إذا فرغت من الفريضة فانصب فى النافلة.[٢]

أى إذا فرغت يا محمد من الدعوة للخلق فاجتهد فى عبادة الخالق، وتوجه بقلبك إلى من يستحق أن تنصب فيه وتكد وتجهد وقم إليه نشيطًا فارغ البال، توجه إلى ربك خاليا من كل شىء حتى من أمر الناس الذين تشتغل بدعوتهم فإنه لابد من الزاد للطريق، وافرغ لربك النية والرغبه.[٣]

*****

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٨٦/٢.
(٢) لسان العرب ٧٥٨/١ .
(٣) فى ظلال القرآن -سيد قطب ٣٩٣٠/٦.

﴿ سُورَةُ التِّينِ ﴾

- **ما المحور الذى تدور حوله السورة ؟**

السورة تعالج موضعين بارزين هما :

١. تكريم الله عز وجل للإنسان .

٢. الإيمان بالحساب والجزاء .

- **ما ترشد إليه السورة :**

١.ابتدأت السورة بالقسم بالأماكن المقدسة ، والتى خصها الله سبحانه وتعالى بإنزال الوحى فيها على أنبيائه ورسله ، وهى" بيت المقدس" وجبل الطور" و"مكة المكرمة" ، على أن الله تعالى كرم الإنسان فخلقه فى أبدع وأجمل صورة ، وإذا لم يشكر ربه فسيسير إلى أسفل دركات الجحيم .

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ ﴾ [سورة التين : ١-٣]

٢.وبخت الكافر على إنكاره بالبعث والنشور بعد تلك الدلائل الباهرة التى تدل على قدرة رب العالمين فى خلق الإنسان فى أحسن شكل وأجمل صورة .

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [سورة التين : ٤]

٣.ختمت ببيان عدل الله بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين ، وفيها تقرير للجزاء وإثبات للمعاد . (١)

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨ ﴾ [سورة التين : ٧-٨]

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ ﴾ [سورة التين : ١-٣]

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ :

قيل: التين دمشق ، والزيتون بيت المقدس ، وقيل : التين والزيتون جبلان بالشام. (٢)
يقسم الله تعالى بالتين والزيتون لبركتهما وعظيم منفعتهما " .

وهناك قول آخر : أنهما موضعان، ثم اختلف فيهما فقيل:جبلان بالشام أحدهما بدمشق ينبت فيه التين، والآخر بإيليا ينبت فيه الزيتون ، وقيل : التين مسجد دمشق ، والزيتون مسجد بيت المقدس والأظهر أنهما موضوعان من الشام وهما اللذان كان فيهما مولد عيسى عليه السلام ومسكنه، وذلك أن الله ذكر بعد هذا جبل الطور الذى كلم عليه موسى عليه السلام ، والبلد الذى بعث منه محمد-ﷺ-. (٣)

(١) صفوة التفاسير - الصابونى ٥٧٧/٣ .
(٢) لسان العرب ٧٥/١٣.
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٨٧/٢.

لقد ذكر التين مرة واحدة فى القرآن الكريم ، بينما ذكر الزيتون فى سبعة مواضع من القرآن الكريم .

ولكن.... ما منافع ثمرة التين؟
هل تعلم عزيزى القارئ أن ثمرة التين لها قدرة على مقاومة الأمراض السرطانية ، كما أنها تحمى الدم من أعداد من الفيروسات والبكتريا ؛ مثل فيروس الالتهاب الكبدى ، كما أنها تدر اللبن على الأم المرضع ، وتستخدم فى علاج البواسير والإمساك المزمن والنقرس ، وكذلك فى اضطراب الحيض .

فائدة الزيتون : هى شجرة معمرة تعيش لأكثر من ألف سنة ، أما عن فائدة زيتها ، فهو يقى من تصلب شرايين القلب ، وارتفاع الكولسترول فى الدم ، وارتفاع ضغط الدم ، ومرض السكر والبدانة ، إن تناول ملعقة من زيت الزيتون يوميًا يمكن أن تنقص من خطر حدوث سرطان الثدى بنسبة تصل إلى ٤٥٪ ، كذلك سرطان الرحم.

- {عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**ائْتَدِمُوا بِالزَّيْتِ، وَادَّهِنُوا بِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ**»}[(١)]

ومن هنا يتضح أهمية زيت الزيتون ، فكيف لا تكون مباركة ، وقد أقسم الله تعالى بها ، فكيف لا تكون مباركة وقد شبه الله تعالى نوره بالنور الصادر عن زيتها.

﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ ﴾[سورة النور : ٣٥]

فالشجرة مباركة والزيت مبارك. زيت الزيتون هو هبة السماء لنا ، فهو يدخل فى إنتاج العديد من الأدوية والدهانات الطبية وزيوت الشعر والصابون ، وبه كانت توقد المصابيح قديمًا , فالزيتون وزيته غنيان بالدهون والبروتينات ، فقيران فى الكربوهيدرات (السكريات والنشويات) ، بينما التين غنى بالسكر والمركبات النشوية ، وفقير فى المواد الدهنية والبروتينية ؛ومن هنا فهما يكملان حاجة الإنسان من المواد الغذائية.[(٢)]

﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ :
يقسم الله تعالى بالجبل المبارك الذى كلم الله عليه موسى -عليه السلام- ، وهو "طور سيناء" ذو الشجر الكثير الحسن المبارك . [(٣)]

قال الخازن :سمى سينين وسيناء لحسنه لكونه مباركًا ،وكل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سينين وسيناء.[(٤)]

(١) (٣٣١٩) سنن ابن ماجه -كِتَابُ الْأَطْعِمَةِ -بَابُ الزَّيْتِ.
(٢) تفسير الآيات الكونية- زغلول النجار - ٤/ ٥٢٢ .
(٣) صفوة التفاسير- الصابونى ٣/٥٧٨.
(٤) تفسير الخازن - ٢٦٦/٧ .

﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ :

يقسم الله تعالى "بمكة المكرمة" [١]، وبها الكعبة المشرفة أول بيت وضع للناس ، وهى أول يابسة ظهرت على الأرض ، ثم نمت اليابسة من حول هذه البقعة المباركة ؛ لتكون قارة واحدة هى القارة الأم المعروفة باسم (بانجيا) ، والتى تفتت إلى القارات السبع الحالية ، ثم أخذت القارات فى التباعد بعضها عن بعض.[٢] فالبيت الحرام هو مركز لدائرة تمر بأطراف قارات العالمين القديم والجديد ، والأرض اليابسة موزعة حول البيت الحرام بصورة منتظمة .

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ ﴾[سورة التين : ٤-٦]

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ :

أى لقد خلقنا الإنسان فى أحسن شكل ، من انتصاب القامة وتناسب الأعضاء ، وميزه بالعلم والفهم والعقل ،[٣] لأنه سبحانه خلق كل شيء مُنْكَباً على وجهه ، وخلقه هو مستوياً، وله لسان ذَلِق، ويد وأصابع يقبض بها . [٤]

فالإنسان هو الكائن الوحيد الذى يمشى مرفوع الرأس بينما غيره من الكائنات يمشى مكبا على وجهه فالإنسان ينظر أمامه أو إلى أعلى بينما غيره يمشى ناظرا إلى أسفل وهو الكائن الوحيد الذى يتمكن من أن ينام على ظهره مما يحقق له الراحة. [٥]

يقول ابن القيم :"**نعم خلقت من طين ولكن تكوينى عجيب** ! انظر أيها الإنسان كيف قسم الله تلك الأجزاء المتشابهة المتساوية إلى الأعصاب والعظام والعروق والأوتار واليابس والليّن وبين ذلك؟

ثم كيف ربط بعضها ببعض أقوى رباط وأشدّه وأبعده عن الانحلال؟ وكيف كساها لحمًا ركّبه عليها وجعله وعاءً لها وغشاءً وحافِظًا، وجعلها حاملة له مُقيمة له ؟ فاللحم قائم بها وهي محفوظة به، وكيف صوّرها فأحسن صورها وشقّ لها السمع والبصر والفم والأنف وسائر المنافذ ومدّ اليدين والرجلين ، وبسطهما ، وقسم رءوسهما بالأصابع ، ثم قسم الأصابع بالأنامل وركّب الأعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والأمعاء كلّ واحد منها له قدر يخصّه ومنفعة تخصّه؟.

ثم انظر الحكمة البالغة في تركيب العظام قوامًا للبدن وعِمادًا له ، وكيف قدّرها ربّها وخالقها بتقادير مختلفة ، وأشكال مختلفة ؟ فمنها الصغير والكبير والطويل والقصير والمنحني والمستدير والدقيق والعريض والمصمت والمجوّف ، وكيف ركب بعضها في بعض ؟ وكيف اختلفت أشكالها ؟[٦]

يتضح ذلك من انتصاب القامة ، وهى ميزة ينفرد بها الإنسان عن جميع المخلوقات ؛ حيث إن الهيكل العظمى يتركب من مائتى وستة عظمة ،تختلف أطوالها فمنها القصير ومنها الطويل صممت لكى تعين الإنسان على الحركة، وجعل الله من تلك العظام المفاصل التى تسمح للإنسان بالوقوف مستقيمًا والجلوس

(١) قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وإبراهيم النخعى ولا خلاف فى ذلك مختصر ابن كثير ٧٠٣/٣.
(٢) تفسير الآيات الكونية -زغلول النجار ٤/ ٥٣١. (٣) صفوة التفاسير– الصابونى ٥٧٨/٣ (٤) تفسير القرطبى ١١٤/٢٠ .
(٥) من عجائب الخلق فى جسم الإنسان – إسماعيل الجاويش٦٠. (٦) مفتاح دار السعادة– ابن القيم ٥٤١/٢ -٥٤٢.

والاضطجاع والانحناء والثنى،"وحيثما يقف الإنسان يتأمل عجائب نفسه يلتقى بأسرار تدهش وتحير ... من تكوين أعضائه ، وتوزيعها ووظائفها ، وطوعية أدائها لهذه الوظائف عملية الهضم والامتصاص، عملية التنفس والاحتراق ، دورة الدم وانتظامه تناسق هذه الأجهزة كلها وتعاونها وتجاوبها الكامل الدقيق، وكل عجيبة من هذه تنطوى تحتها عجائب ، وفى كل عضو وكل جزء من عضو خارقة تحير الألباب فكل فرد من هذا الجنس عالم وحده ، ومرآة ينعكس من خلالها هذا الوجود كله فى صورة خاصة لاتتكرر أبداً على مدار الدهور ، ولانظير له بين أبناء جنسه جميعا لا فى شكله وملامحه ولا فى عقله ومداركه ولا فى روحه ومشاعره ولافى صورة كذلك لا تتكرر ،كما لا توجد بصمة أصابع مماثلة لبصمة أصابع أخرى فى هذه الأرض فى جميع العصور."[١]

كذلك خلقه سبحانه وتعالى لليدين اللتين هما آلة العبد ، وسلاحه ورأس مال معاشه ، فطوّلهما بحيث يصلان إلى ما شاء من بدنه ، وعرّض الكفّ ليتمكّن به من القبض والبَسْط، وقسم فيه الأصابع الخمس، وقسم كل إصبع بثلاث أنامل ، والإبهام باثنتين ، ووضع الأصابع الأربعة في جانب والإبهام في جانب ، لتدوّر الإبهام على الجميع فجاءت على أحسن وضع صَلُحَت بـه للقبض والبسط ومباشرة الأعمال وانظر كيف كسا العظام العريضة كعظام الظهر والرأس كسوة من اللحم تناسبها، والعظام الدقيقة كسوة تناسبها كالأصابع، والمتوسطة كذلك كعظام الذراعين والعضدين.[٢]

فالله سبحانه وتعالى أحسن كل شيء خلقه ،آه لو نظرنا إلى بديع صنع الله فى الإنسان لوجدنا العجب العجاب !!. ولنتأمل معا مخ الإنسان وهو عجيبة من عجائب خلق الله فهل تعلم عزيزى القارئ أن مخ الإنسان يستطيع أن يختزن من المعلومات مائة مليون معلومة بالأضافة إلى ما يختزنه من الذكريات إذ يختزن المخ معلومات تبدأ من الطفولة وحتى نهاية العمر فضلا عن صور الأشخاص والأماكن التى يشاهدها الإنسان عبر عمره الطويل أضف إلى ذلك الوظائف الضرورية التى يقوم بها المخ ، ومن العجيب أن المخ الذى يؤدى كل هذه العمليات لايتعدى وزنه كيلو جرام وربع أى حوالى ٢٪من وزن صاحبه ، والعجيب أنه يستهلك ٢٠٪عشرون فى المائة من مجموع الأكسجين الداخل للجسم و الغريب أنه يعمل بطاقة قدرها العلماء ٢٠ عشرون وات فى حين يرى العلماء أن أى كمبيوتر يختزن نفس القدر من المعلومات التى يختزنها المخ فإنه يحتاج أن يعمل بطاقة تزيد على ألف وات وسيحتاج إلى مساحة تعادل ٢٠عشرين ألف مرة المساحة التى يشغلها المخ البشرى.[٣]

وصدق الله العظيم حين يقول :﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [سورة الذاريات : ٢١]

من عجائب المخ أيضا أنك عندك ذاكرة للأصوات فإذا تحدث معك أحد على الهاتف تقول له فلان لقدعرفتك ، ولكن كيف عرفته ...؟؟ عندك ذاكرة للأصوات فعندما سمعت صوته وازنت بين صوته وكل الأرشيف الموجود فى دماغك وقلت فلان ، لقد أثبت العلم الحديث أن كل إنسان له صوته الخاص الذى يميزه كما يتميز ببصمة الأصابع فكما أنه لاتتشابه بصمة الأصابع فكذلك لايتشابه صوتان لفردين

(١) فى ظلال القرآن - سيد قطب ٦/٣٣٧٩ - ٣٣٨٠ .
(٢) مفتاح دار السعادة– ابن القيم ٢/٥٤٢.
(٣) من عجائب الخلق فى جسم الإنسان- إسماعيل الجاويش ٥٦.

مختلفين إذ أنه بمجرد أن تسمع صوتا دون أن ترى صاحبه تقول فلان فلقد اكتشف العالم الأمريكى (لورانس كيرستا) أن لكل إنسان نبرة صوتية تميزه عن باقى البشر.[١]

فأما **القلب**: فهو الملك المستعمل لجميع آلات البدن والمستخدم لها ؛ فهو محفوف بها محشود مخدوم مستقر في الوسط، وهو أشرف أعضاء البدن وبه قوام الحياة ، وهو منبع الروح الحيواني والحرارة الغريزية ، وهو معدن العقل والعلم والحلم والشجاعة والكرم والصبر والاحتمال والحبّ والإرادة والرضا والغضب، وسائر صفات الكمال ؛ فجميع الأعضاء الظاهرة والباطنة وقواها إنما هي جند من أجناد القلب ؛ فإن العين طليعته ورائده الذي يكشف له المرئيات؛ فإن رأت شيئًا أدّته إليه ، ولشدّة الارتباط الذي بينها وبينه إذا استقر فيه شيء ظهر فيها ، فهي مرآته المترجمة للناظر ما فيه ؛ كما أن اللسان ترجمانه المؤدّي للسمع ما فيه ؛ ولهذا كثيرًا ما يقرن سبحانه في كتابه بين هذه الثلاث." [٢]

انظر إلى القلب ودقة تكوينه فالقلب آلة خارقة لا تعرف التعب ، إنها عضلة من أعقد العضلات ، إذ تنقبض وتنبسط من سبعين إلى ثمانين مرة فى الدقيقة أى أن قلب الإنسان الذى يصل عمره سبعين عاما يدق حوالى ثلاثة ملايين دقة ، ويضخ القلب ٧٢٠٠آلاف لتر فى اليوم الواحد ، أى ما يعادل ٧٧ مليون جالون خلال حياة تمتد لسبعين عاما ، ويضخ القلب من الدم فى طول عمر الإنسان ما يكفى لملىء مستودع بحجم إحدى أكبر ناطحات السحاب [٣].

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ :

السفل :هو فى القرآن على ثلاثة معان: الانحطاط فى المكان ، والخسران فى الأمر، وبلوغ أرذل العمر، وقيل: رددناه إلى الضلال . [٤]

أى ثم أنزلنا درجته إلى أسفل سافلين ؛ حيث إنه لم يشكر نعمة خلقنا له فى أحسن صورة ، ولم يستعمل ما خصصناه به فى طاعتنا ، فلذلك سنرده إلى أسفل سافلين وهى جهنم . [٥]

وتتضح عناية الخالق بهذا المخلوق الضعيف وما فيه من انحراف عن الفطرة والفساد التى قد تنتكس به إلى أسفل سافلين حين ينحرف عن الفطرة ويحيد عن الإيمان ، فالإنسان مهيأ أن يفوق الملائكة ، فكما نعلم أن الإنسان مركب من روح وجسد،فالروح بطبعها تميل إلى خالقها وذلك إذا غلبت متطلبات الروح متطلبات الجسد ، أما الجسد بطبعه يميل إلى الأرض ومركب فيه شهوات ، فإن استجاب لشهواته خارج النطاق الذى رسمه له خالقه فهو أدنى من الحيوان ، وقد تكون البهائم أرفع منه قدرًا لاستقامتها على الفطرة وإلهامها تسبيح ربها ، بينما هو المخلوق فى أحسن تقويم يجحد ربه ويتبع هواه ومن هنا تتجلى قيمة الإيمان فى حياة الإنسان ، وحين ينطفئ هذا النور ، فالنتيجة الحتمية هى هبوط الإنسان إلى أسفل سافلين.[٦]

إن غير المؤمن يعيش فى الدنيا تتوزعه هموم كثيرة ، وتنازعه نوازع شتى ، هذه تميل به إلى اليمين ، وتلك

---

(١) من عجائب الخلق فى جسم الإنسان - إسماعيل الجاويش بتصرف ٨٣– ٨٤ .
(٢) مفتاح دار السعادة» -ابن القيم ٢/٥٥٠ -٥٥٢.
(٣) من عجائب الخلق فى جسم الإنسان- إسماعيل الجاويش٣٣.
(٤) عمدة الحفاظ – السمين الحلبى ٢/٢٠٣ .
(٥) صفوة التفاسير- الصابونى ٣/٥٧٩.
(٦) فى ظلال القرآن – سيد قطب ٦/٣٩٣٤.

تجذبه إلى الشمال ، فهو فى صراع دائم داخل نفسه ، فالكافر إذا أعطى نفسه شهواتها فقد حرمها من أشياء كثيرة فالكافر دائما يشعر بالقلق والهم والحزن حتى وأن ملك الدنيا بحذافيرها، فكلما وصل إلى ما طمحت إليه نفسه طمح إلى شيء أخر ولا يملء عين ابن آدم إلا التراب ، ولذلك فهو دائما أبداً يعانى من الخوف أن تزول منه هذه النعمة فتجده دائما يساوره القلق والخوف من أن يمكر به أعدائه ، أما راحة البال فهى من نصيب المؤمن حيث أنه زهد فى الدنيا فأصبح لا يطمح فى ملكها الزائل بل اطمئن لما عند الله ، ولذلك فهو فى أمان داخلى حيث أنه لا يتصارع على هذه الدنيا ولا يتكالب عليها ، فتجد المؤمن مطمئن منشرح الصدر مطمئن مرتاح البال.

ما أعظم الفرق بين رجلين أحدهما عرف الغاية من وجوده وسلك الطريق الموصل إلي مرضاة ربه ، وآخر ضال يخبط فى عماية ويمشى إلى غير غاية ولا يدرى إلام المسير...؟ ولا إلى أين المصير...؟!! .

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ :

إلا المؤمنين المتقين ، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح فهؤلاء هم الذين يظلون على الفطرة .

﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ :

أى فلهم ثواب دائم غير مقطوع عنهم ، وهى الجنة دار المتقين ،[١] أما الذين ينحرفون بفطرتهم إلى أسفل سافلين فيظلون ينحدرون حتى يستقروا فى الدرك الأسفل فى جهنم ، فهما طريقان طريق الخير وطريق الشر أيهما شئت فاختر لنفسك .

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨ ﴾ [سورة التين : ٧-٨]

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴾ :

فيه قولان **أحدهما**: أنه خطاب للنبى-ﷺ- والدين شريعته، والمعنى أى شىء يكذبك بالدين بعد هذه الدلائل التى تشهد بصحة نبوتك، **والآخر**: أنه خطاب للإنسان الكافر، فما سبب تكذيبك أيها الإنسان بعد هذا البيان ، وبعد وضوح الدلائل والبراهين ؟[٢]

فإن خلق الإنسان من نطفة وإيجاده فى أجمل شكل وأبدع صورة من أوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء ، فما الذى يدعوك إلى التكذيب بيوم الدين بعد هذه البراهين...!! .

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ :

أى هو أحكم الحاكمين الذى لا يجور ولا يظلم أحدا ومن عدله أن يقيم القيامة فينصف المظلوم فى الدنيا ممن ظلمه[٣] أى أليس الذى خلق وأبدع بأعدل العادلين حين يحكم فى أمر الخلق ، على هذا النحو فى الحكم على المؤمنين والكافرين .[٤]

(١) صفوة التفاسير– الصابونى ٣/٥٧٩ .
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ٢/٥٨٨.
(٣) عمدة التفسير –ابن كثير ٣/٧٠٤ .
(٤) صفوة التفاسير– الصابونى ٣/٥٧٩.

﴿ سُورَةُ العَلَقِ ﴾

■ **ما المحور الذى تدور حوله السورة ؟**

إن هذه السورة تتحدث عن حادث ضخم فى حياة البشرية كلها ، وهذه اللحظة التى غيرت حياة الناس جميعًا ، ياترى ما حقيقة هذه اللحظة... ؟؟ .

إن حقيقتها أن الله عز وجل قد تكرم فى عليائه ، فالتفت إلى هذا الخليفة المسمى الإنسان ، لقد كرم الله هذا الخليفة باختيار واحد منهم ليكون ملتقى نوره الإلهى ومستودع حكمته ومهبط كلماته ، فأما آثار هذا الحادث الهائل فى حياة البشرية كلها فقد بدأت اللحظة الأولى منذ أن تحددت الجهة التى يتطلع إليها الإنسان ويتلقى عنها تصوراته وقيمه وموازينه،إنها ليست الهوى وإنما هى السماء والوحى الإلهى.(١)

هى تعالج ثلاثة قضايا :

موضوع بدء نزول الوحى على خاتم الأنبياء محمد-ﷺ- .

١. موضوع طغيان الإنسان بالمال وتمرده على أوامر الله .

٢. قصة الشقى" أبى جهل" ونهيه الرسول -ﷺ-عن الصلاة .

■ **ماترشد إليه السورة :**

١. بيان فضل الله على رسوله الكريم بإنزال هذا القرآن ، وتذكيره بنعمة الله عليه وهو يتعبد ربه بغار حراء حيث تنزل عليه الوحى بآيات الذكر الحكيم .

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ ..**إلى** .. ﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾[سورة العلق :١-٥]

٢. تحدثت عن طغيان الإنسان فى هذه الحياة بالقوة والثراء ، وتمرده على أوامر الله بسبب نعمة الغنى ، وكان الواجب عليه أن يشكر ربه على إفضاله ، لا أن يجحد النعماء ، وذكرته بالعودة إلى ربه لينال الجزاء .

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨﴾ [سورة العلق : ٦-٨]

٣. تناولت قصة أبى جهل - فرعون هذه الأمة - الذى كان يتوعد الرسول ويهدده ، وينهاه عن الصلاة انتصارًا للأوثان والأصنام .

﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ ﴾ [سورة العلق : ٩-١٠]

٤. ختمت بوعيد ذلك الشقى الكافر بأشد العقاب إن استمر على ضلاله وطغيانه ، وأمرت الرسول بعدم الإصغاء إلى وعيد ذلك المجرم الأثيم . (٢)

﴿كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾..**إلى**.﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب۩﴾[سورة العلق-١٩]

(١) فى ظلال القرآن – سيد قطب بتصرف ٦/٣٩٣٦– ٣٩٣٧.

(٢) صفوة التفاسير– الصابونى ٣/٥٨٠ -٥٨١ .

- **ما سبب نزول بدايات السورة ؟؟**

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾..**إلى**..﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾:**؟؟**

-{ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**» ، قَالَ: " فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، **قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ**، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ : اقْرَأْ ، **فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ** ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي **الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ** : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾[سورة العلق:١-٣] " فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، **فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ**» ، قَالَ: نَعَمْ ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ ،وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ }[1]

ما سبب نزول الآيات :

﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ ..**إلى**.. ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ﴾ **؟؟**

– { عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾[سورة العلق: ١٨] قَالَ : قَالَ أَبُو جَهْلٍ ، لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي لَأَطَأَنَّ عَلَى عُنُقِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْ فَعَلَ لَأَخَذَتْهُ المَلَائِكَةُ عِيَانًا**» }[2]

(١) (٣) صحيح البخارى-- كِتَابُ بَدْءِ الوَحْيِ -- بَابُ كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

(٢) « حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»(٣٣٤٨)سنن الترمذى-- أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-- بَاب وَمِنْ سُورَةِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ.

-{ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأُ عَلَى رَقَبَتِهِ ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَالَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**» } [(١)] .

❊✾❊✾❊

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾[سورة العلق : ١-٥]

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ :

باسم الله فى كل خطوة ، فى كل حركة ، باسم الله نبدأ ونسير ، فالله الذى خلق هو الذى علم ، فمنه البدء والنشأة ، ومنه التعليم والمعرفة ، فكل ما يفعله الإنسان ينبغى أن يكون باسم الله ،[(٢)]وعلى وفق منهاج شرعه . "هذا هو الأمر الإلهى الأول لرسوله وحبيبه ومصطفاه ، أى اقرأ يامحمد القرآن مبتدئاً ومستعينًا باسم ربك الذى خلق جميع المخلوقات ، وأوجد جميع العوالم ". [(٣)]

وهو أمر للأمة الإسلامية من بعده ، وفيه دعوة إلى القراءة والكتابة والتعلم ، فمن دون علم لانستطيع أن نصل إلى الله ، لذلك كان الأمر الإلهى لرسوله: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [سورة محمد : ١٩]

فهذه الآيات تدعو الرسول إلى القراءة والكتابة والعلم ، فالعلم هو أساس الحياة ، ومصدر التعليم هو الله، فالله هو الذى خلق وهو الذى علم ، فوجود الإنسان من دون منهج لا معنى له ولا قيمة ، فإذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معًا فعليك بالعلم.

"والعلم خير من المال ؛لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق،"[(٤)]

ولكن هناك سؤال يلح علينا... ألم يكن الحق سبحانه وتعالى الذى أرسل جبريل -عليه السلام- يعرف أن محمدًا لايقرأ ولايكتب ؟ إنه هو الذى اختاره أميًا !

فالأمية صفة كمال فى حق الرسول -ﷺ- ، وصفة نقص فى حق غيره ، فالله يريد أن يلفتنا إلى أن الرسول الكريم الأمى سيعلمه الله ليكون معلمًا للبشرية كلها إلى يوم القيامة . [(٥)]

---

(١) (٢٧٩٧) صحيح مسلم– كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ– بَابُ قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ [العلق:٦- ٧] ،

عمدة التفسير– ابن كثير٧٠٧/٣ . (٢) في ظلال القرآن – سيد قطب ٦/ ٣٩٣٩. (٣) صفوة التفاسير– الصابونى ٥٨٢/٣.

(٤) حلية الأولياء– الأصفهانى– من قول على بن أبى طالب رضى الله عنه ٧٩/١-٨٠. (٥) المعجزة الكبرى - الشعراوى٧ .

لقد أخذ خصوم الإسلام هذه النقطة وقالوا :كيف يقول الله لرسوله اقرأ ؟ ويرد الرسول :ما أنا بقارئ .

نقول : إن الله تعالى كان يتحدث بقدرته التى تقول للشيء كن فيكون ، بينما الرسول ﷺ كان يتحدث بقدرته البشرية التى تقول أنه لا يستطيع أن يقرأ كلمة واحدة ، ولكن قدرة الله ستجعله معلماً للبشرية كلها إلى يوم القيامة لأن كل البشر يعلمهم البشر، ولكن محمد -ﷺ- سيعلمه الله ؛ ولأن المعلم هو الله سبحانه وتعالى قال :﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾ مستخدما صيغة المبالغة فأنت حين تتعلم من بشر فهذا دليل على كرم الله لأنه يسر لك العلم على يد بشر مثلك ، أما إذا كان الله هو الذى سيعلمك يكون أكرم؛ لأن ربك قد رفعك درجة عالية ليعلمك هو سبحانه وتعالى. (١)

﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴾ :

العلقة :كل دم جامد غليظ، وقيل :لهذه الدابة التى تكون فى الماء علقة لأنها حمراء اللون كالدم وهى تعلق بالبدن وتمص الدم . (٢)وخص الإنسان بالذكر تشريفا له ، وقيل : أراد أن يبين قدر نعمته عليه بأن خلقه من علقة مهينة حتى صار بشراً سوياً . (٣)

يذكر الله الإنسان بنشأته الأولى ، أى خلق هذا الإنسان البديع الشكل ، الذى هو أشرف المخلوقات من العلقة ، وهى قطعة قدر الأنملة من الدم الغليظ الجامد الباقى رطبًا ، كيف نشأت وكيف تطورت ؟ وكيف تخلقت جنينًا ؟ ثم خرجت إلى الدنيا لتكون طفلاً، لا يستقل بنفسه ولا يدفع عنها أذى ، ثم مازالت عناية الله تحف بهذا المخلوق العاجز حتى كان طفلًا ، ثم شابًا ثم شيخًا ثم كهلًا !!.

- {عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " **وَكَّلَ اللَّهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا،قَالَ: أَيْ رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ ، فَمَا الأَجَلُ، فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ** "} (٤)

ونجد هذه الصورة التفصيلية ، في قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة المؤمنون : ١٢-١٤]

فلو لم يكن هناك إله عظيم لما نمت وصارت جنيناً، ولكن كيف تحولت هذه الخلايا فشكلت القلب والدماغ والعظام فتبارك الله أحسن الخالقين !!.

(١) خواطر الشعراوى ٤١/١-٤٢. (٢) لسان العرب ٢٦٧/١٠ . (٣) تفسيرالقرطبى ١١٩/٢٠.
(٤) (٦٥٩٥) صحيح البخارى -كتاب فى القدر -باب القدر .

﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾

أى اقرأ يامحمد وربك العظيم الكريم ، الذى لا يساويه ولا يدانيه شيء ، وقد دل على كمال كرمه أنه علم العباد ما لم يعلموا ، وكرر الأمر بالقراءة تأكيداً على أهمية القراءة.(١)

﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ :

أى علمه الخط والكتابة بالقلم ، وعلم البشر مالم يكونوا يعلموه من العلوم والمعارف ، فنقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم .(٢)

يقول ابن القيم : " لقد ذكر الله سبحانه وتعالى التعليم بالقلم الذي هو من أعظم نعمه على عباده ؛ إذ به تخلد العلوم ، وتثبت الحقوق ، وتعلم الوصايا ، وتحفظ الشهادات ، ويضبط حساب المعاملات الواقعة بين الناس، وبه تقيّد أخبار الماضين للباقين اللاّحقين.
ولولا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض ، ولم يعرف الخلف مذاهب السّلف ، وكان معظم الخلل الداخل على الناس في دينهم ودنياهم إنما يعتريهم من النسيان الذي يمحو صور العلم من قلوبهم ؛ فجعل سبحانه وتعالى لهم الكتاب وعاءً حافظًا للعلم من الضياع ؛ فنعمة الله عزّ وجلّ بتعليم القلم بعد القرآن من أجلّ النّعم.

والتعلم وإن كان مما يخلص إليه الإنسان بالفطنة والحيلة فإنه الذي بلغ به ذلك وأوصله إليه عطية وهبها الله منه ، وفضل أعطاه الله إياه ، وزيادة في خلقه وفضله ؛ فهو الذي علّمه الكتابة ، يقول الله تعالى :

﴿ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ ﴾[سورة البقرة :٢٨٢]

وإن كان هو المتعلِّم ففِعله فِعْل مطاوع لتعليم الذي علّم بالقلم ؛ فإنه علمه فتعلَّم كما أنه علَّمه الكلام فتكلَّم .

﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾ [سورة الرحمن :٣-٤]

هذا ومن أعطاه الذهن الذي يَعي به ،واللسان الذي يترجم به ، والبَنان الذي يخط به؟ ومن هيأ ذهنه لقبول هذا التعليم دون سائر الحيوانات ؟ ومَن الذي أنطق لسانه وحرّك بنانه ؟ ومَن الذي دعّم البنان بالكفّ ، ودعّم الكفّ بالساعد ؟ فكم لله من آية نحن غافلون عنها في التعلّم بالقلم .

فقف وقفة في حال الكتابة وتأمّل حالك وقد أمسكت القلم وهو جماد،ووضعته على القرطاس وهو جماد فتولّد من بينهما أنواع الحِكَم ، وأصناف العلوم ، وفنون المراسلات ، والخطب والنظم والنثر ، وجوابات المسائل.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٢/٥٩٠ .
(٢) صفوة التفاسير -الصابونى ٣/٥٨٢ .

فمَن الذي أجرى تلك المعاني على قلبك ورسمها في ذهنك ثم أجرى العبارات الدالّة عليها على لسانك،ثم حرّك بها بنانك حتى صارت نقشًا عجيبًا معناه أعجب من صورته؛ فتقضي به مآربك وتبلغ به حاجة في صدرك،وترسله إلى الأقطار النائية والجهات المتباعدة؛ فيقوم مقامك، ويترجم عنك،ويتكلم على لسانك، ويقوم مقام رسولك،ويجدي عليك ما لا يجدي من ترسُله سوى مَن علّم بالقلم الإنسان ما لم يعلم..».[١]

فالله الذى علم الإنسان مالم يعلم لأنه ماعلم إلا بتعليم الله له ، لقد كان أول المخلوقات القلم ليكتب المقادير قبل كونها ،وجعل آدم آخر المخلوقات .

-{حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمٍ، قَالَ: قَدِمْتُ مَكَّةَ فَلَقِيتُ عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّ نَاسًا عِنْدَنَا يَقُولُونَ فِي القَدَرِ، فَقَالَ عَطَاءٌ: لَقِيتُ الوَلِيدَ بْنَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" **إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الأَبَدِ**"}[٢]

والعلم يكون تارة فى الأذهان، وتارة يكون فى اللسان ،وتارة يكون فى الكتابة بالبنان.[٣]

وهذه الآيات الخمس هى أول ما تنزل من القرآن ، كما ثبت فى الصحاح أن النبى- ﷺ- نزل عليه الملك وهو يتعبد بغار حراء ، فقال: اقرأ ، فقال: ما أنا بقارئ .....الخ .

قال ابن كثير : " أول شيء نزل من القرآن هذه الآيات المباركات ، وهن أول رحمة رحم الله بها العباد ، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم ، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة ، وأن من كرمه تعالى أن علّم الإنسان ما لم يعلم،فعرفه وشرفه وكرمه بالعلم،وهو القدر الذى امتاز به آدم على الملائكة .[٤] ثم أخبر تعالى عن سبب بطر الإنسان وطغيانه ، فقال:

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ٨﴾[سورة العلق:٦-٨]

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴾ :

الطغيان: هو تجاوز الحد فى العصيان.[٥]

فهو يعرض عن الهدى بسبب طغيانه ، واتباع هوى النفس ، وبسبب نسيانه لحقيقة ذاته ، يستكبر على ربه عز وجل ،"لا يشكر حين يعطى ، ولا يعرف مصدر النعمة التى أغنته ، ثم هو يطغى ويفجر ، ويبغى ويتكبر ، من حيث كان ينبغى أن يعرف ثم يشكر المنعم[٦] إن المال ليطغى الإنسان ويجعله يحسب أنه يستطيع أن يفعل أى شىء بقوته الذاتية، ولماذا.. لا. وهو يملك المال الذى يستطيع أن يحقق به ما يريد، حينئذ يحسب أنه قد استغنى عن الله سبحانه وتعالى، ولم يعد فى حاجة إلى عونه ولا إلى رضاه فيطغى ويغتر",[٧] ولكن... ما سبب ذلك ؟

﴿ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾ :

سبب ذلك من أجل أن رأى نفسه غنيا وأصبح ذا ثروة ومال[٨] فيشعر بأنه قد استغنى عن أيه قوة خارج

(١) مفتاح دار السعادة –ابن القيم ٢/٧٩٢-٧٩٣ .
(٢) حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ (٣٣١٩) سنن الترمذى- أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بَاب وَمِنْ سُورَةِ ن.
(٣)،(٤) عمدة التفسير - ابن كثير٣/٧٠٦.
(٥) مفردات ألفاظ القرآن الكريم– للأصفهانى ٥٢٠ .
(٦) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٦/٣٩٤٢.
(٧) الخير والشر– الشعراوى ٥٣ .
(٨) صفوة التفاسير -الصابونى٣/٥٨٢ .

ذاته فمن أجل ذلك هو يطغى ويتجاوز حده وينسى حقيقية العبودية وينصرف ويعرض عن الحق.

ولكن... ما معنى استغناء الإنسان؟

شعوره بأنه غير محتاج إلى غيره ، تعززه بالمال بالجاه والسلطان والولد ،واستغناء الإنسان ينشأ بسبب نسيانه لحقيقة بقائه فى هذه الدنيا ، فصاحب الأولاد يرى أنه عزيز بأولاده ! .

ويلك أيها الإنسان من أنت حتى تستكثر بأولادك! وترى أنك فى غنى عن العزيز الجبار ، يوم تقوم بين يدى الله فردًا وحيدا! كذلك من يمتلك المال يشعر أنه فى غنى عن رب الناس ، فهو يرى أنه بجهده حصل على هذا المال ،ويلك أيها الإنسان كيف تغتر بمالك وتشعر أنك فى غنى عن رب العالمين حين تقوم بين يدى الملك لا تملك قطميرا ،وياصاحب السلطان أنت اليوم الملك وغدًا لمن الملك ؟ لله الواحد القهار .

لقد خلق الله الإنسان ضعيفاً، ولكن ما الحكمة من ذلك؟

فى الحقيقية أن ضعفه هو سبب سعادته وذلك ليفتقر إلى الله بضعفه، و ليشعر دائما بحاجاته إلى ربه وتوكله عليه فى كل أموره ،فمن منا لا يخاف ولا يقلق من المستقبل ..! من منا لا يتوجس خيفه من الغد ! كل ذلك يدعو الإنسان أن يقف على باب ربه متجلبب بجلباب العبودية مفتقراً إلى الله.

فى الواقع لا توجد سعادة مطلقة فى هذه الدنيا ،فلا توجد سعادة إلا ويشوبها كدر، وهكذا أرادها الله ،أن السعادة التامة فى الآخرة حين يلقى الإنسان ربه وهو راضى عنه ،فنحن فى حياة إعداد لحياة أبدية ، فنحن لم نخلق عبثا ولكن خلقنا فى هذه الدنيا لندفع ثمن الجنة ، ولكن الإنسان غفل عن ذلك وانشغل بالحياة الدنيا ، "ونسى إن الذي أعطاه فأغناه هو الله. كما أنه هو الذي خلقه وأكرمه وعلمه.

ولكن الإنسان فى عمومه لا يشكر حين يُعطى فيستغني؛ ولا يعرف مصدر النعمة التي أغنته وعلمته ورزقته ، ثم هو يطغى ويفجر، ويبغي ويتكبر، حيث كان ينبغي عليه أن يشكر المنعم.

وحين تبرز صورة الإنسان الطاغى الذى نسى نشأته وأبطره غناه يجيء التعقيب بالتهديد.[١]

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ :

أى مرجعك[٢] أيها المتكبر المغرور الطاغية إلى الله فيجازيك على أعمالك وهنا تحذير وتهديد لأبى جهل وأمثاله[٣] ولكل إنسان من عاقبة الطغيان.

ثم تعرض السورة بعد ذلك صورة الطغيان فى صورة مستنكرة ، حيث نزلت هذه الآيات فى (أبى جهل) حيث كان يطغى بكثرة ماله ، ويبالغ فى عداوة الرسول والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨

(١) فى ظلال القرآن– سيد قطب ٣٩٤٢/٦ . (٢) لسان العرب ١١٤/٨ . (٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٥٩٠/٢ .

كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾ [سورة العلق : ٩-١٩]

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ :

أرأيت هذا المتكبر الشقى الذى ينهى عبدًا من عباد الله عن الصلاة ، ما أسخف عقله وأشنع فعله ، وقد أجمع المفسرون على أن العبد المصلى هو محمد-ﷺ- ،وأن الذى نهاه هو اللعين "أبا جهل" ، حيث قال: " لئن رأيت محمدًا يصلى لأطأن على عنقه " . (١)

﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ :

أى أخبرنى إن كان هذا العبد المصلى – وهو النبىﷺ- الذى تنهاه عن الصلاة صالحًا مهتديًا على الطريقة المستقيمة فى قوله وفعله !!. (٢)

﴿ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴾ :

أى أو كان آمرًا بالإخلاص والتوحيد ، داعيًا إلى الهدى والرشاد ، كيف تزجره وتنهاه ؟!.

﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ :

أرأيت إن أضاف إلى الفعلة المستنكرة فعلة أخرى أشد نكرًا ، وهى تكذيبه بالقرآن وإعراضه عن الإيمان .

﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ :

أى ألم يعلم ذلك الشقى أن الله مطلع على أحواله ، مراقب لأفعاله وسيجازيه عليها !!.

وأمام مشهد الطغيان فى وجه الإيمان والطاعة يجيء التهديد الحاسم الرادع .

﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ﴾ :

أى ليرتدع هذا الفاجر عن غيه وضلاله ، فو الله لئن لم ينته عن أذى الرسول ، ويكف عما عليه من الكفر والضلال.(٣)

﴿ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ :

سفعت بالشىء: إذا قبضت عليه وجذبته جذباً شديداً. (٤)

الناصية: مقدم الرأس أى لنصهرنها ، ولنأخذن بناصيته إلى النار بها، ولنذلّنّه ولنسوّدن وجهه ، وخص الناصية لأنها مقدم الوجه . (٥) وقد يعبر بها عن جملة الإنسان؛ كما يقال: هذه ناصية مباركة؛ إشارة إلى جميع الإنسان. وخص الناصية بالذكر على عادة العرب فيمن أرادوا إذلاله وإهانته أخذوا بناصيته.. فالآية وإن كانت فى أبى جهل فهى عظة للناس وتهديد لمن يمتنع أو يمنع غيره عن الطاعة. (٦)

أى لنأخذ بناصيته يوم القيامة وتطوى مع قدميه ويطرح فى النار بعنف وشدة ، ونقذفه فيها . (٧)

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٢/٥٩٠.
(٢) ، (٣) صفوة التفاسير- الصابونى ٣/٥٨٣ .
(٤) معانى القرآن وإعرابه– للزجاج ٥/٣٤٥ .
(٥) لسان العرب ٨/١٥٨.
(٦) تفسير القرطبى ٢٠/١٢٥.
(٧) التسهيل لعلوم التنزيل ٢/٥٩١ .

﴿ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾

أى صاحبها كاذب خاطئ . قال ابن عباس: " لما نهى أبو جهل رسول الله -ﷺ-عن الصلاة انتهره رسول الله ، فقال أبو جهل: " أتنهرنى يا محمد، لقد علمت ما بها أكثر ناديًا منى "، ثم قال : " فو الله لاملأن عليك هذا الوادى إن شئت خيلاً جردًا ورجالاً مردًا ". (١)

ووصف الناصية بأنها كاذبة تشير إلى حقيقة علمية ، وهى أن ناصية الإنسان هى مركز التحكم فى اتخاذ القرار ، وفى حكمه على الأشياء ، وفى تصرفاته ، لقد كانت سورة العلق من أوائل ما نزل من القرآن الكريم ، وذلك من قبل ألف وأربعمائة سنة فى زمن لم يكن الإنسان ليدرك دور الناصية فى حياة الإنسان ، لقد توصل العلماء أن مخ الإنسان الذى لايشكل أكثر من ٢٪ من وزنه يتحكم فى جميع أنشطته الذهنيه والبدنيه ، ويتكون مخ الإنسان من كتلة بالغة التعقيد من الخلايا والأنسجة العصبية الممتدة من الحبل النخاعي الشوكى ، وتنقسم هذه الكتلة العصبية إلى واحدة رئيسة وهى ثلاث أقسام : البصلة المخية أو النخاع المستطيل ، وهى تصل المخ بالنخاع الشوكى ، ووظيفته تنظيم التنفس وضغط الدم ودماء القلب .

المخيخ : وهو فوق النخاع المستطيل ، ووظيفته التنسيق بين العمليات العضلية المعقدة ، مثل انتصاب القامة وحركات الأطراف .

المخ : وفيه تتركز عمليات التلقى من جميع مراكز الحس فى الجسم ، وكذلك تتركز فيه جميع الأنشطة العقلية والسلوكيات الذكية ، وقد ثبت بالتجربة أن الناصية (غطاء مقدمة الفص الجبهى للمخ) تتحكم فى الإرادة والقدرة على التخطيط واتخاذ القرار والحكم على الأشياء والتفاعل مع الآخرين ، والتحكم فى المشاعر والقدرة على ضبط السلوك والشعور بالمسئولية ، ولما كان غطاء مقدمة الفص الجبهى للمخ وكان وضعه خلف الجبهة مباشرة له كل هذه القدرات الحاكمة لشخصية الإنسان كان الوصف القرآنى لجبهة كافر مثل "أبى جهل" بأنها ناصية كاذبة خاطئة سبقًا علميًا منذ أكثر من أربعة عشر قرنا. (٢)

﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ :

ناديه: هم أهل مجلسه وكانوا عشيرته أى فليستنصر بهم (٣)، فالمراد من النادي أهل النادي ، ولا يسمى المكان نادياً حتى يكون فيه أهله ، وسمي نادياً لأن القوم يندون إليه نداً وندوة ، ومنه دار الندوة بمكة ، وكانوا يجتمعون فيها للتشاور، وقيل: سمي نادياً لأنه مجلس الندى والجود، ذكر ذلك على سبيل التهكم أي: اجمع أهل الكرم والدفاع في زعمك لينصروك. (٤)

الزبانية: الغلاظ الشداد واحدهم زبينة وهم هؤلاء الملائكة الذين قال عنهم الله: (٥)

﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [سورة التحريم: ٦]

(١) معالم التنزيل-البغوى ٤٨٠/٨» الطبرى ٢٥٥/٣٠. (٢)تفسير الآيات الكونية- زغلول النجار ٥٤٦/٤ . (٣) معانى القرآن وإعرابه - للزجاج ٣٤٦/٥. (٤) مفاتيح الغيب – الرازى٣٢ /٢٥. (٥) تفسير القرطبى ١٢٦/٢٠.

فالزبانية هم : ملائكة العذاب ، ولا شك أنهم مخصوصون بقوة شديدة . وقال مقاتل : هم خزنة جهنم أرجلهم في الأرض ورءوسهم في السماء ، وقال قتادة : الزبانية هم الشرط في كلام العرب ، وهم الملائكة الغلاظ الشداد ، وملائكة النار سموا الزبانية لأنهم يزبنون الكفار أي يدفعونهم في جهنم.(١)

أى فليدع قومه وعشيرته فليستنصر بهم ، أما نحن فإننا سندع الملائكة الغلاظ الشداد.(٢)

قال ابن عباس: " والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب من ساعته "(٣).

- {عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فَجَاءَ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ «فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَزَبَرَهُ» ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا بِهَا نَادٍ أَكْثَرُ مِنِّي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ [سورة العلق:١٧- ١٨] فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «وَاللَّهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ اللَّهِ»}(٤)

وفى ضوء هذا المصير المتخيل المرعب تختم السورة بتوجيه المؤمن الطائع إلى الإصرار والثبات على الإيمان والطاعة .

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب۩ ﴾ :

كلا : أى ليس الأمر كما يظنه أبو جهل ، فليرتدع هذا الفاجر ولا تطعه يامحمد فيما دعاك إليه من ترك الصلاة وواظب على سجودك وصلاتك وتقرب بذلك إلى ربك .(٥)

﴿ وَٱقْتَرِب۩ ﴾:

والمراد وابتغ بسجودك قرب المنزلة من ربك ، وقال بعضهم المراد: اسجد يا محمد ، واقترب يا أبا جهل منه حتى تبصر ما ينالك من أخذ الزبانية إياك ، فكأنه تعالى أمره بالسجود ليزداد غيظ الكافر، فيكون غيظه وغضبه عند مشاهدة السجود أتم.(٦)

*****

(١) مفاتيح الغيب- الرازى٣٢ /٢٥. (٢) تفسير القرطبى ١٢٦/٢٠. (٣) تفسير القرطبي ١٢٧/٢٠ والتسهيل لعلوم التنزيل٥٩١/٢.
(٤) (٣٣٤٩) « حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ» سنن الترمذى- أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بَاب وَمِنْ سُورَةِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ..
(٥) صفوة التفاسير-الصابونى ٣/ ٥٨٣ ، والقرطبى ١٢٨/٢٠. (٦) مفاتيح الغيب – الرازى٣٢ /٢٦.

﴿ سُورَةُ القَدْرِ ﴾

■ **ما المحور الذى تدور حوله السورة ؟**

تحدثت السورة عن بدء نزول القرآن العظيم ، وعن فضل ليلة القدر على سائر الأيام والشهور ، لما فيها من الأنوار والتجليات القدسية والنفحات الربانية التى يفيضها البارى جل وعلا على عباده المؤمنين تكريماً لنزول القرآن المبين كما تحدثت عن نزول الملائكة الأبرار حتى طلوع الفجر فيالها من ليلة عظيمة القدر هى خير عند الله من ألف شهر. (١)

■ **ما سبب نزول هذه الآيات ؟**

-عن مجاهد قال: ذكر النبى ﷺ رجلا من بنى إسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فتعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [سورة القدر:١-٣] قال :خير من الذى لبس فيها السلاح ذلك الرجل. (٢)

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾ [سورة القدر : ١-٥]

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ :

القدر :القضاء والحكم وهو ما يقدره الله تعالى من القضاء ويحكم به من الأمور. (٣)

إن هذه السورة لتتحدث عن ليلة الاتصال المطلق بين الأرض والملأ الأعلى ، والمراد بإنزال القرآن أى إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، ثم نزل به جبريل إلى الأرض فى مدة ثلاث وعشرين سنة . (٤)

(١) صفوة التفاسير - الصابونى ٥٨٤/٣.
(٢) أسباب النزول -الواحدى٤٨٦.
(٣) لسان العرب٧٤/٥ .
(٤) صفوة التفاسير- الصابونى ٥٨٥/٣.

كما قال ابن عباس : "أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة على رسول الله " . (١)

وسميت ليلة القدر لعظمها وشرفها، وقد يكون معناها التقدير والتدبير فى حياة العبيد ، ولأنه يقدر فيها ما يكون فى العام من الآجال والأرزاق والمقادير القدرية. (٢)

وعن ابن عباس قال: يُكْتَب من أم الكتاب ما يكون في السنة من رزق ومطر وحياة وموت ، حَتَّى الحاجّ. وقيل: سميت بذلك لأنه أُنزل فيها كتاباً ذا قدر، على رسول ذي قدر، على أمة ذات قدر. وقيل: لأنه ينزل فيها ملائكة ذوو قدر وخَطَر. وقيل: لأن الله تعالى ينزل فيها الخير والبركة والمغفرة. وقال سهل: سميت بذلك لأن الله تعالى قدّر فيها الرحمة على المؤمنين . (٣)

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾ :

تعظيم وتفخيم لأمرها أى وما أعلمك يامحمد ما ليلة القدر والشرف ؟ فهى ليلة عظيمة باختيار الله لبدء تنزيل هذا القرآن وفيضان هذا النور على الوجود كله ، وتنزيل الملائكة وجبريل عليه السلام خاصة بإذن ربهم ، ومعهم هذا القرآن ، وانتشارهم فيما بين السماء والأرض فى هذا المهرجان الكونى الذى شهدته الأرض فى هذه الليلة ، لقد قرر فى هذه الليلة أقدار الأمم والدول والشعوب وأوضاع القلوب . (٤)

﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ :

أى ليلة القدر فى الشرف والفضل خير من ألف شهر ، لما اختصت به من شرف تنزيل القرآن .

قال عمرو بن قيس الملائى : العمل الصالح فى ليلة القدر خير من العمل فى ألف شهر ليس فيه ليلة القدر.(٥)

ففضيلة الزمان إنما تكون بكثرة ما يقع فيه ، وقيل المعنى : خير من الدهر كله لأن العرب تذكر الألف فى غاية الأشياء كلها. (٦) وقال مجاهد :عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر . (٧)

- {عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»} (٨)

ولقد أبهم الله هذه الليلة ليجتهد المؤمنون فى العبادة فى ليالى رمضان طمعاً لإدراكها ،كما أخفى ساعة الإجابة فى يوم الجمعة ، وأخفى الصلاة الوسطى فى الصلوات الخمس، واسمه الأعظم فى الأسماء ، ورضاه

(١) عمدة التفسير- ابن كثير٣/٧٠٨ .
(٢) فى ظلال القرآن- سيد قطب ٦/٣٩٤٥.
(٣) القرطبى ٢٠/١٣٠-١٣١.
(٤) فى ظلال القرآن- سيد قطب ٦/٣٩٤٥.
(٥) وهذا اختيار ابن جرير وهذا الصواب على ما عداه عمدة التفسير- ابن كثير ٣/٧٠٨، الكشاف ٤/٧٨٠.
(٦) البحر المحيط ٨/٤٩٣.
(٧) عمدة التفسير- ابن كثير٣/٧٠٨
(٨) (٢٠١٤) صحيح البخارى- كِتَابُ فَضْلِ لَيْلَةِ القَدْرِ- بَابُ فَضْلِ لَيْلَةِ القَدْرِ.

فى الطاعات ليرغبوا فى جميعها، وسخطه فى المعاصى لينتهوا عن جميعها ، وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا فى الطاعات حذراً من قيامها . (١)

-{ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي الوِتْرِ، مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**»} (٢)

قيل للحسين بن فضل : أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض ، قال :بلى .
قيل: **فما معنى ليلة القدر ؟**
قال :سوق المقادير إلى المواقيت ، وتنفيذ القضاء المقدر . (٣)

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ :

أى تنزل الملائكة لكثرة بركتها ، أما الروح فقيل المراد به ها هنا جبريل عليه السلام ، وقيل هم ضرب من الملائكة(٤) إلى الأرض فى تلك الليلة بأمر ربهم من أجل كل أمر قدره الله وقضاه فى تلك السنة إلى السنة القابلة من رزق وأجل وغير ذلك . (٥)

﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ :

أى سلام على أولياء الله وأهل طاعته ، سلام من أول يومها إلى طلوع الفجر ، تسلم فيها الملائكة على المؤمنين ولا يقدر الله فيها إلا الخير والسلامة لبنى الإنسان يعنى سالمة لايستطيع الشيطان أن يعمل فيها السوء ، أو يعمل فيها أذى ، وقال قتادة: تقضى فيها الأمور ،وتقدر الآجال والأرزاق . (٦)

❊❊❊❊❊

(١) معالم التنزيل -البغوى ٤٨٢/٨.
(٢) (٢٠٢٠) صحيح البخارى - كِتَابُ فَضْلِ لَيْلَةِ القَدْرِ - بَابُ تَحَرِّي لَيْلَةِ القَدْرِ فِي الوِتْرِ مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ.
(٣) معالم التنزيل- البغوى ٤٨٢/٨.
(٤) عمدة التفسير- ابن كثير ٣/ ٧٠٨ .
(٥) تفسير الطبرى ٥٣٤/٢٤.
(٦) عمدة التفسير- ابن كثير ٧٠٩/٣.

﴿ سُورَةُ البَيِّنَةِ ﴾

- **ما المحور الذى تدور حوله السورة ؟**

١. موقف أهل الكتاب من رسالة محمد -ﷺ-.
٢ .موضوع إخلاص العبادة لله جل وعلا .
٣ .مصير كل من السعداء والأشقياء فى الآخرة .

- **ما ترشد إليه السورة :**

١. ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن اليهود والنصارى وموقفهم من دعوة رسول الله-ﷺ-بعد أن عرفوا أوصاف النبى المبعوث آخر الزمان ، وكانوا ينتظرون بعثته ومجيئه فلما بعث خاتم الرسل كذبوا برسالته وكفروا وعاندوا .

٢.تحدثت السورة عن عنصر مهم من عناصر الإيمان ، وهو إخلاص العبادة لله تعالى ، الذى أمر به جميع أهل الأديان ، وإفراده جل وعلا بالذكر والقصد والتوجه فى جميع الأقوال والأفعال ،خالصة لوجهه الكريم .

٣. تحدثت عن مصير أهل الإجرام - شر البرية - من كفرة أهل الكتاب والمشركين ، وخلودهم فى الجحيم ، وعن مصير المؤمنين أصحاب المنازل العالية - خير البرية - وخلودهم فى جنات النعيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين جزاء طاعتهم وإخلاصهم لرب العالمين .(١)

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾[سورة البينة : ١-٥]

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ :

لم يكن أهل الكفر والجحود الذين كفروا بالله وبرسوله من اليهود والنصارى والمشركين عبدة الأوثان منتهين عن الكفر، "فلقد كانت الأرض فى حاجة ماسة إلى رسالة جديدة ومنهج جديد وحركة جديدة ،

(١) صفوة التفاسير- الصابونى ٥٨٦/٣.

كان الكفر قد تطرق إلى عقائد أهلها جميعًا ؛ سواء أهل الكتاب الذين عرفوا الديانات السماوية من قبل ثم حرفوها ، أو المشركون فى الجزيرة العربية وفى خارجها . [١]

﴿ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ :

أى منتهين عما هم عليه من الكفر حتى تأتيهم الحجة الواضحة ، وهى بعثة محمد-ﷺ-ورسالته وقد فسرها بقوله تعالى:

﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ :

أى ما كانوا يتحولون عن هذا الكفر إلا بهذه الرسالة الجديدة ، وهى على يد رسول يكون ذو بينة واضحة مطهرة من الشرك والكفر والزور . [٢]

﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ :

أى فيها أحكام قيمة مستقيمة لا عوج فيها ، تبين الحق من الباطل . [٣]

قال الصاوى : المراد بالصحف (القراطيس) التى يكتب فيها القرآن ، والمراد بالكتب الأحكام المكتوبة فيها ، وإنما قال :﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ لأن القرآن يجمع ثمرة كتب الله تعالى المقدمة عليه . "[٤]

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ :

أى ما اختلفوا فى نبوة سيدنا محمد-ﷺ-إلا من بعد ان تبينوا أن الذى وعدوا به فى التوراة والإنجيل أنه الحق [٥] ، "وإنما خص أهل الكتاب هنا بالذكر لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوته بما يجدون فى كتبهم من ذكره . [٦]

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ :

إنهم أمروا فى التوراة والإنجيل أن يعبدوا الله وحده ويخلصوا له العبادة ، فالدين واحد والعقيدة واحدة ، دين لا غموض فيه ولا تعقيد ؛ ولكنهم حرفوا وبدلوا ، فعبدوا أحبارهم ورهبانهم . [٧]

﴿ حُنَفَآءَ ﴾ :

جمع حنيف وهو لقب للذى يؤمن بالله وحده دون شريك ، قال أهل اللغة: وأصله أنه تَحَنَّفَ إلى الإسلام؛ أي مال إليه. كان ابن عباس يقول: أى مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام ، مستقيمين على دين إبراهيم دين الحنيفية السمحة التى جاء بها خاتم المرسلين. [٨]

---

(١)، (٢) فى ظلال القرآن – سيد قطب ٣٩٤٨/٦. (٣) صفوة التفاسير – الصابونى ٥٨٧/٣. (٤) حاشية الصاوى ٣٤٢/٤ .
(٥) معانى القرآن الكريم- الزجاج ٣٥٠/٥. (٦) التسهيل لعلوم التنزيل ٢١٢/٤. (٧) صفوة التفاسير – الصابونى ٥٨٨/٣ .
(٨) تفسير القرطبى ١٤٤/٢٠.

﴿ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ ﴾ :

وهذه هى قاعدة دين الله على الإطلاق عبادة الله وحده ، وإخلاص الدين له ، والميل عن الشرك وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، [١] وخص الصلاة والزكاة لشرفهما . [٢]

﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ :

أى ذلك المذكور هو دين أهل الحق من العبادة والإخلاص وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، هو دين الملة المستقيمة دين الإسلام ، فلماذا لايدخلون فى الإسلام ؟ [٣]

فأما وقد جاءتهم البينة من قبل فى ديانتهم على أيدى رسلهم ، ثم جاءتهم البينة حية فى صورة رسول من الله يتلو صحفًا مطهرة ، ويقدم لهم عقيدة واضحة بسيطة ميسرة ، فقد تبين الطريق ووضح المصير ، الذين يكفرون والذين يؤمنون . [٤]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ ﴾ [سورة البينة : ٦]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ ﴾ :

لقد شاءت أقدار الله أن يكون محمد-ﷺ- هو الرسول الأخير وخاتم الرسالات ، فهذه هى الفرصة الأخيرة فإما إيمان ونجاة ، وإما كفر وهلاك ،والحقيقة الواضحة أن الكفار فى نار جهنم خالدين فيها ، مهما يكن من صلاح بعض أعمالهم مادامت لا تقوم على غير الإيمان بهذه الرسالة الجديدة ، وبهذا الرسول الأخير. [٥]

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ :

الأصل البريئة إلا أن الهمزة خففت لكثرة الاستعمال ، وقال بعضهم : جائز أن يكون اشتقاقها من البرى وهو التراب. [٦] أى أولئك هم شر الخلق على الإطلاق ؛ وذلك لأن أهل الكتاب كانوا مقرين بمبعث محمد -ﷺ- ، ثم أنهم كفروا بذلك بعد مبعثه -ﷺ- بخلاف المشركين ، فإنهم ولدوا على عبادة الأوثان وإنكار الحشر والقيامة .

وأهل الكتاب هم شر من السراق لأنهم سرقوا من كتاب الله صفة محمد-ﷺ- ، وشر من قطاع الطريق لأنهم قطعوا طريق الحق على الخلق . [٧]

---

(١) فى ظلال القرآن – سيد قطب ٣٩٥٢/٦ (٢) حاشية الصاوى٣٤٣/٤ . (٣) صفوة التفاسير– الصابونى ٥٨٨/٣.
(٤) ،(٥) فى ظلال القرآن– سيد قطب ٣٩٥٢/٦ بتصرف. (٦) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٣٥٠/٥. (٧) التفسير الكبير–للرازى ٥٠/٣٢.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾ [سورة البينة : ٧-٨]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ :

أى إن المؤمنين الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح هم خير الخليقة التى خلقها الله .

﴿ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ :

أى ثوابهم فى الآخرة على ما قدموا من الإيمان والأعمال الصالحة .

﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ :

جزاؤهم جنات للإقامة فى نعيمها تجرى من تحت قصورها أنهار الجنة ، والطمأنينة من القلق الذى يعكر وينغص الحياة .(١)

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ ﴾ :

أى ماكثين فيها أبدًا ، لا يموتون ولا يخرجون منها ، وهم فى نعيم دائم لا ينقطع .

﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾ :

أن الله تعالى رضى عن أفعالهم ورضوا عنه ما جازاهم به.(٢)

أى رضى الله عنهم بما قدموا فى الدنيا من الطاعات وفعل الصالحات ، ورضوا بما أعطاهم من الخيرات والكرامات ، (٣)فالرضا ينقسم قسمين ؛ رضا به ورضا عنه ، فالرضا به ربًا ومدبرًا ، والرضا عنه فيما يقضى ويقدر .

فالرضا فى نفوسهم عن ربهم ، الرضا عن قدره فيهم وإنعامه عليهم ، الرضا الذى يغمر النفس بالهدوء والفرح والطمأنينة.(٤)

﴿ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ :

أى ذلك الجزاء والثواب الحسن لمن خاف الله واتقاه وانتهى عن معصية مولاه .

*****

(١) صفوة التفاسير- الصابونى ٥٨٨/٣.
(٢) لسان العرب ٣٢٤/١٤.
(٣) صفوة التفاسير- الصابونى ٥٨٩/٣.
(٤) فى ظلال القرآن- سيد قطب ٣٩٥٣/٦.

﴿ سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ ﴾

- **ما المحور الذى تدور حوله السورة ؟**

إثبات البعث وذكر أشراطه ، وما يعترى الناس من الفزع عند حدوثه ، حضور الناس للحشر وجزاؤهم على أعمالهم من خير وشر .

- **ما ترشد إليه السورة :**

تتحدث السورة الكريمة عن الزلزال العنيف الذى يكون بين يدى الساعة ؛ حيث يندك كل صرح شامخ ، وينهار كل جبلٍ راسخ ، وترتجف الأرض ارتجافًا ، ويحصل من الأمور العجيبة الغريبة ما يندهش له الإنسان ؛ كإخراج الأرض ما فيها من موتى وإلقائها ما فى بطنها من كنوز ثمينة من ذهبٍ وفضة ، وشهادتها على كل إنسان بما عمل على ظهرها ، تقول : عملت كذا يوم كذا ، كما تتحدث السورة عن انصراف الخلائق من أرض المحشر إلى الجنة أو النار ، وانقسامهم إلى أصناف ما بين شقى وسعيد. (١)

- **ما سبب نزول هذه الآيات ؟**

- قال مقاتل : نزلت فى رجلين كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه الثمرة والكسرة والجوزة ويقول : ماهذا بشىء وإنما نؤجر على ما نعطى ونحن نحبه ، وكان الآخر: يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ، ويقول: ليس على من هذا شىء إنما أوعد الله بالنار على الكبائر، فأنزل الله عز وجل يرغبهم فى القليل من الخير فإنه يوشك أن يكثر ، ويحذرهم اليسير من الذنب فإنه يوشك أن يكثر ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [سورة الزلزلة : ٧-٨] (٢)

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦﴾ [سورة الزلزلة : ١-٦]

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ :

أى إذا حركت الأرض تحريكًا عنيفًا ، واضطربت اضطرابًا شديدًا ، واهتزت بمن عليها اهتزازًا يقطع

(١) صفوة التفاسير- الصابونى ٥٩٣/٣.

(٢) أسباب النزول- الواحدى ٤٨٨.

القلوب ، ويفزع الألباب ، وذلك عند قيام الساعة تتزلزل ، وتتحرك تحريكًا متتابعًا ، وتضطرب بمن عليها ، ولا تسكن حتى تلقى ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء وقلاع.[١]

هل وقفت عند هذه الآية وتأملتها ، تخيل معى عزيزى القارئ يوم القيامة يوم يحدث زلزال عنيف ، ليس كزلزال الدنيا ، والإنسان قد شاهد زلزال وبراكين من قبل ولكنه حين يرى زالزال يوم القيامة لا يجد أن هناك شبها بينه وبين ماكان يقع من الزلازل فى الحياة الدنيا فهذا أمر جديد لا عهد للإنسان به أمر لا يذكر له نظيراً ، أمر هائل يقع للمرة الأولى![٢]

وتأمل معى كيف سيكون الدمار فى أرجاء الكون ، فالأرض سوف تتزلزل من تحت الأقدام ، والمبانى الشاهقة سوف تسقط وتنهدم ، والبحار سوف تتحول إلى نيران مشتعلة ،والجبال تكون كالعهن المنفوش، ياالها من مشاهد تتقطع لها القلوب من ذكرها ، فما بالك بمشاهدتها ومعايشتها ، اللَّهُمَّ رحماك رحماك ... !! إن الزلزال الذى يكون بين يدى الساعة عظيم... وخطب جسيم !! .

أخى الكريم دعنا نتسأل أنا وأنت ماذا أعددنا لأهوال يوم القيامة ؟
الأيام تمضى والساعات تمر وعقارب الساعة تسير، والعمر يتقدم والساعة تقترب ، وعلاماتها الصغرى قد اكتملت ،والكبرى يوادرها على الأبواب ، فماذا أعددنا لها حتى إذا جاء أحدنا الموت قال:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾[سورة المؤمنون : ٩٩-١٠٠]

﴿ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ﴾ :
أثقالها: أى أخرجت الأرض ما فى بطنها من الكنوز والموتى.[٣]
قال ابن عباس : " أخرجت موتاها" .[٤]
-{عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " **تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا، أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا**}[٥]

أى يقول الإنسان فى دهشة وتعجب ما سبب هذا الزالزال العظيم ؟! فهو يرى ما لم يعهد ، ويواجه ما لا يدرك ، ويشهد ما لا يملك الصبر أمامه والسكوت[٦] ، ما الذى يزلزلها من تحت أقدامى ؟ ما الذى جعلها

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/٢١٣، والخازن ٤/٢٨٠ .
(٢) فى ظلال القرآن- سيد قطب ٦/٣٩٥٥ .
(٣) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٥/٣٥١.
(٤) روح المعانى- الألوسي٣٠/٢٠٩ .
(٥)(١٠١٣) صحيح مسلم -كِتَاب الزَّكَاة-بَابُ التَّرْغِيبِ فِي الصَّدَقَةِ قَبْلَ أَنْ لَا يُوجَدَ مَنْ يَقْبَلُهَا (٦) فى ظلال القرآن- سيد قطب ٦/٣٩٥٥.

ترتج هكذا ، وكيف الخلاص ؟ وأين المهرب والملاذ ... ؟ إنه لمشهد يخلع القلوب ، فهو ليس كزلزال الدنيا بل هذا زلزال يوم القيامة ، وما أدراك ما يوم القيامة؟! .

هاهى الإرض تتزلزل من تحت أقدامه فى ثورة من الغضب ترتج تهتز، الجبال الراسية الشامخة تهتز ..تقتلع من مكانها لقد صارت هباءا منبثا، والأرض تميد بأهلها، تعلو الأصوات بالصراخ والفزع من شدة الخوف والرعب ، ها هو يكاد يسقط من فوقها ، وينتابه نوبة من الفزع ويشعر بالهلع لا يكاد يلتقط أنفاسه ، وهو يتساءل ما لها ....؟!!

"لقد استنكر أمرها بعد ماكانت قارة ساكنة ثابتة ، وهو مستقر على ظهرها أى تقلبت الحال فصارت مضطربة متحركة ثم ألقت ما فى بطنها من الأموات من الأولين والآخرين، وحينئذ استنكر أمرها وتبدلت الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار . يارب رحماك ... رحماك من هول هذا اليوم !! [١]

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ :

أى فى ذلك اليوم العصيب يوم القيامة تتحدث الأرض وتخبر بما عمل عليها من خير وشر ، وتشهد على كل إنسان بما صنع على ظهرها . [٢]

-{عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: -﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [سورة الزلزلة: ٤] **قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟»** قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **" فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، تَقُولُ: عَمِلَ يَوْمَ كَذَا كَذَا وَكَذَا، فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا "}** [٣]

﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ :

أى أمرها الله بالكلام وأذن لها بأن تخبر بما عمل عليها ، فهى تشكو العاصى ، وتشهد عليه ، وتشكر المطيع وتثنى عليه [٤]، فى هذا الموقف يقف الإنسان فى دهشة وعجب واضطراب ، لا يكاد يلتقط أنفاسه ، وهو يتساءل ما لها ؟ فى هذه اللحظات يواجه بمشهد الحشر والحساب والوزن والجزاء!! .

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾ :

أشتاتا : الشتّ :الشيء المتفرق ، فالناس يحشرون مختلفى الأحوال من شقاوة وسعادة ، وخوف وأمن، وحزن وسرور بحسب أعمالهم. [٥]

فى هذا اليوم يرى مشهد القيام من القبور ، يرى مشهد لا عهد له به ، مشهد الخلائق فى أجيالها جميعًا تنبعث من هنا وهناك ليروا أعمالهم ، إنهم ذاهبون إلى حيث تعرض أعمالهم ، ليواجهوها ويواجهوا جزاءها ، وينقسموا إلى فريقين ؛ فريق أهل الجنة وفريق أهل النار ، فهذا يوم محكمة العدل ، والمحاسب هو الحكم العدل قيوم السموات والأرض ، حيث يجمع الله الأولين والآخرين ؛ ولكن المحكمة تحتاج

(١) عمدة التفسير -ابن كثير ٧١٧/٣ .
(٢) تفسير القرطبى ١٤٨/٢٠.
(٣) « حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ» (٣٣٥٣) سنن الترمذى -أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -بَاب وَمِنْ سُورَةِ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ .
(٤) صفوة التفاسير- الصابونى ٥٩١/٣ .
(٥) عمدة الحفاظ- السمين الحلبى ٢٥١/٢ .

إلى شهود وقاض، فالقاضى هو الله سبحانه وتعالى ، والشهود كثيرة أولها وأعلاها هو الله سبحانه وتعالى والملائكة الذين يسجلون علينا أعمالنا ، والرسل التى أرسلها الله لهدايتنا ، وأعضاء الإنسان تشهد عليه يوم القيامة ، والأرض تشهد على الإنسان بارتكاب المعاصى عليها ، فلقد أنزل له الله الكتب وجعل له الموعظة والنذير من موت وشيب وبلاء ، والحاكم عادل فليس هناك أى تهديدات أو ضغوط خارجية ، وهذا المشهد هو مشهد الناس من أيام أبينا آدم إلى يوم القيامة ، كل يتلقى حسابه .

"ومواجهة الإنسان لعمله قد تكون أقسى من أى جزاء، فهناك من يخجل من عمله ،وهناك من يشيح بوجهه عنه لبشاعته ، حيث يتمثل له فى نوبة من نوبات الندم ولذع الضمير ، فكيف به وهو يواجه بعمله على رءوس الأشهاد فى حضرة العظيم الجليل العظيم الجبار المتكبر ، إنها عقوبة هائلة رهيبة . [١]

﴿ لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ :

حيث يواجهون بما كانوا يعملون ، لينالوا جزاء أعمالهم من خير أوشر . [٢]

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [سورة الزلزلة:٧-٨]

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ :

" الذرّ: أن يضرب الرجل بيده على الأرض، فما علِق بها من التراب فهو الذَّرّ، وكذا قال ابن عباس: إذا وضعت يدك على الأرض ورفعتها ، فكل واحد مما لزق من التراب ذَرَّة.

كان ابن عباس يقول فى شرح الآية الكريمة: مَن يعمل من الكفار مثقال ذرّة خيراً يَرَهُ في الدنيا، ولا يُثاب عليه في الآخرة ، ومن يعمل مثقال ذرّة من شر عُوقب عليه في الآخرة ، مع عقاب الشرك، ومن يعمل مثقال ذرة من شر من المؤمنين يَرَهُ في الدنيا ، ولا يعاقَبْ عليه في الآخرة إذا مات ، ويُتجاوز عنه ، وإن عمل مثقال ذرّة من خير يُقْبلْ منه، ويضاعفْ له في الآخرة." [٣]

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ :

"قال محمد بن كعب القُرَظِيّ: فمنْ يَعْمَل مِثْقَالَ ذَرّة منْ خَيْر من كافر، يرى ثوابه في الدنيا، في نفسه وماله وأهله وولده، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير.

ومن يعمل مثقال ذرّة من شرّ من مُؤْمن، يرى عُقوبته في الدنيا، في نفسه وماله وولده وأهله، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شرّ.

قال القرطبى : "وهذا مثل ضربه الله تعالى فى أنه لا يغفل من عمل ابن آدم صغيرة ولا كبيرة" . [٤] وفى الأرض قلوب لا تتحرك لجبل من الذنوب والمعاصى ولا تتأثر بل ترتكب المعاصى وتجاهر وتفاخر بها .

(١) فى ظلال القرآن -سيد قطب ٣٩٥٥/٦. (٢) عمدة التفسير –ابن كثير ٧١٧/٣. (٣) ، (٤) تفسير القرطبى ٢٠ /١٥٠.

قال ابن مسعود :هذه الآية أحكم آية فى القرآن ،كما روى عن كعب الأحبار أنه قال لقد أنزل على محمد- ﷺ - أحصتا ما فى التوراة والإنجيل والزبور والصحف ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[سورة الزلزلة : ٧-٨]. (١)

ففى هاتين الآيتين الترغيب فى قليل الخير وكثيره ، والتحذير من قليل الشر وكثيره .

ولنقف هنا لحظات مع هذه الآية ، تخيل معى أنك فى موقف الحساب ، قلبك يكاد يخرج من صدرك من الخوف والقلق، فهى نتيجة يترتب عليها جنة أو نار ، نعيم مقيم أو عذاب سرمدى .

تخيل وأنت تترقب صحيفة أعمالك والناس من حولك فى ذهول وهلع ، ففرح سعيد حامل صحيفته بيمينه ، يكاد يطير من شدة الفرح ، يطوف بين الناس ، ويصيح بأعلى صوته ...هآؤم اقرءوا كتابيه ، وآخر ممسك صحيفته بشماله ، وجهه مسود ، يبكى من حسرة وندامة على سواد صحيفته ، وكيف لا ؟! والمصير النار والمستقر سقر ، اللَّهُمَّ أجرنا منها، هل يرضيك ساعتها أنك عصيت الله طرفة عين؟ هل يرضيك ساعتها أنك قصرت فى فرض من فروض الله ؟هل يرضيك أنك تكاسلت أو نمت عن صلاة مكتوبة ؟ لقد عصيت وتماديت فى المعاصي كثيرًا ، فماذا بقى لك من لذة معصيتك ، هل يرضيك أنك أضعت دقيقة من عمرك فى غير طاعة الله ؟ فكل صغيرة وكبيرة مسجلة عليك فسوف تحاسب عليها ،

فأعد العدة من اليوم يامسكين فأنت فى زمن المهلة ، واعلم أن اليوم عمل ولا حساب ، وغدًا حساب ولا عمل ، ولايغرنك طول الأمل فالموت يأتى بغتة ، والقبر صندوق العمل ، فلذة المعصية تذهب ولكن أثرها يبقى مكتوبًا فى صحيفتك ، وتعب الطاعة يذهب أيضًا وثوابها يبقى ، فالعاقل من حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت ، والغافل من أتبع هواه ، وتمنى على الله الأمانى .

*****

(١) تفسير القرطبى ٢٠ /١٥٢.

﴿ سُورَةُ العَادِيَاتِ ﴾

■ **ما ترشد إليه السورة :**

هى تتحدث عن خيل المجاهدين فى سبيل الله ،حين تغير على الأعداء فيسمع لها عند عدوها بسرعة صوت شديد ، وتقدح بحوافراها الحجارة فيتاطير منها النار ، وتثير التراب والغبار ،وقد بدأت السورة بالقسم بخيل الغزاة –إظهاراً لشرفها وفضلها عند الله _على أن الإنسان كفور لنعمة الله تعالى عليه وهو معلن لهذا الكفران والجحود بلسان حاله ومقاله ،كما تحدثت عن طبيعة الإنسان وحبه الشديد للمال، وختمت السورة ببيان أن مرجع الخلائق إلى الله للحساب والجزاء ، ولا ينفع فى الآخرة مال ولا جاه، وإنما ينفع العمل الصالح .(١)

*****

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحًا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحًا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحًا ۝٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعًا ۝٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ۝٥ ﴾ [سورة العاديات : ١-٥]

﴿ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحًا ﴾ :

قال ابن عباس: هى الخيل تضبح ،وكان علىّ رضي الله عنه يقول: هى الإبل(٢)،ذهبنا إلى موقعة بدر وماكان معنا يومئذ إلا فرس كان عليه المقداد والضبح فى الخيل أظهر عند أهل العلم، وقال أبو إسحق :ضبح الخيل صوت أجوافها إذا عدت.(٣)

يقسم الله بخيل المجاهدين،ويصف حركاتها المسرعات فى الكر، يسمع لأنفاسها صوت جهير هو الضبح.(٤)

﴿ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحًا ﴾ :

هى الخيل التى تخرج شرر النار بحوافرها إذا سارت على الحجارة من شدة الجرى ويصف حركاتها المسرعات فى الكر ، قارعة الصخر بحوافرها حتى تورى الشرر منها مغيرة فى الصباح لمفاجأة العدو.(٥)

﴿ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحًا ﴾ :

هى الخيل التى تغير على العدو وقت الصباح قبل طلوع الشمس لمفاجأة العدو،(٦) كما كان رسول الله ﷺ يغير صباحا ويستمع الأذان فإن سمع أذانا وإلا أغار.(٧)

(١) صفوة التفاسير - الصابونى ٥٩٢/٣ . (٢)عمدة التفسير -ابن كثير ٣/ ٧١٩ . (٣) لسان العرب ٥٢٣/٢. (٤) صفوة التفاسير– الصابونى ٥٩٣/٣.
(٥) فى ظلال القرآن -سيد قطب ٣٩٥٨/٦. (٦) معالم التنزيل – البغوى ٥٠٦/٨ . (٧) عمدة التفسير – ابن كثير ٧١٩/٣

﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴾

فأثرن بمكان عدوها نقعا أى غباراً.(١) أى فأثارت الخيل الغبار الكثيف لشدة العدو .

﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾ :

حيث تتوسط صفوف الأعداء على غرة فتوقع الفوضى والاضطراب. (٢)

أقسم سبحانه أقسام ثلاثة تعظيمًا للمقسم به ، وهو خيل المجاهدين فى سبيل الله التى تسرع على أعداء الله، وتقدح النار بحوافرها ، وتغير على الأعداء وقت الصباح فتثير الغبار وتتوسط العدو فتصيبه بالرعب والفزع. (٣)

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾ [سورة العاديات : ٦-١١]

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ :

كنود: لكفور ، (٤) إن الإنسان لجاحد لنعم ربه شديد الكفر .

قال ابن عباس :"لكفور جحود لنعم الله " ، وكذلك قال الحسن : "يذكر المصائب وينسي النعم " . (٥)

فهو يزدرى القليل ولا يشكر على الكثير ، وينسي كثير النعمة بقليل المحنة ، ويلوم ربه فى أيسر نقمة .

﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ :

قال قتادة وسفيان الثورى: وإن الله على ذلك لشهيد، ويحتمل أن يعود الضمير على الإنسان(٦) أى إن الإنسان لشاهد على كنوده وجحوده لنعم ربه، وذلك بلسان حاله ومقاله .

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ [سورة الفجر : ١٥-١٦]

﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ :

أى و أنه من أجل حب المال بخيل (٧) فيه مذهبان أحدهما : إنه لشديد المحبة للمال ، والثانى: إنه لحريص بخيل، وكلاهما صحيح أى وإنه من أجل حب المال بخيل ،(٨) إنه لشديد الحب للمال حريص على جمعه ، وهو لحب عبادة الله وشكر نعمه ضعيف متقاعس ، فهذه فطرته وهذا طبعه إذا لم يخالط الإيمان قلبه

(١) معانى القرآن وإعرابه- الزجاج ٣٥٣/٥. (٢) فى ظلال القران– سيد قطب ٣٩٥٨/٦. (٣) صفوة التفاسير -الصابونى ٥٩٣/٣.
(٤) معانى القرآن وإعرابه – الزجاج ٣٥٤/٥. (٥) تفسير القرطبى ١٦٠/٢٠ . (٦) قاله محمد بن كعب القرظى-عمدة التفسير- ابن كثير ٧٢٠/٣.
(٧) معانى القرآن وإعرابه – الزجاج ٣٥٤/٥ . (٨) عمدة التفسير – ابن كثير ٧٢٠/٣.

فيغير تصوراته وقيمه وموازينه واهتماماته ، إن الإنسان بغير إيمان حقير صغير ، وخاصة إذا اشتد طموحه وتعالت أهدافه ، فهو سجين فى سجن الذات ، [١]فالإنسان بطبعه يحب المال مع أنه قد يكون سبب شقائه ، وقد يكون فيه طغيانه ، "إن عابد المال يعيش رغم غناه فى خوف وهلع ، إنه فاقد للأمان لأنه يخشى الفقر ، ولذلك فهو يقتر على نفسه ، فهو خائف أن يتمتع به حتى لا ينقص أو يزول ، وهو فى ذل دائم فى سبيل الحفاظ على ماله[٢] .

إن المال عبد مخلص ، ولكنه سيد رديء ، هو عبدك حين تنفقه ، ولكن حين تخزنه وتتكالب عليه يشقيك ويمرضك لأنك أصبحت له خادماً. [٣]

يقول أحد الفلاسفة : إن الإنسان ينفق صحته بحثا عن المال ، فإذا حصل على المال ينفق ماله ليسترد صحته .

ثم قال الله تعالى مزهداً فى الدنيا مرغباً فى الآخرة ومنبهاً على ماهو كائن بعد هذه الحال وما يستقله الإنسان من الإهوال. [٤]

﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ :

ألا يعلم هذا الإنسان إذا أثير وأخرج ما فى القبور من الموتى .

﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ :

قال ابن عباس وغيره: أى أبرز ما فى الصدور من الأسرار والخفايا التى كانوا يسرونها . [٥]

﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ :

فالله عالم بجميع ما يصنعون ومجازيهم عليه يوم القيامة .

*****

(١) فى ظلال القرآن- سيد قطب ٣٩٥٨/٦.
(٢) الخير والشر- الشعراوى ٧١.
(٣) خواطر الشعراوى ٢٩٧/١ .
(٤) ، (٥) عمدة التفسير - ابن كثير ٧٢٠/٣.

﴿ سُورَةُ القَارِعَةِ ﴾

■ **ما المحور الذى تدور حوله السورة ؟**

تتحدث عن القيامة وأهوالها ، ثم نسف الجبال وتطايرها ، ثم الموازين التى توزن بها أعمال الناس وأنقسامهم إلى قسمين سعداء وأشقياء .

■ **ما ترشد إليه السورة :**

١. تتحدث عن القيامة وأهوالها ، والآخرة وشدائدها وما يكون فيها من أحداث وأهوال عظام ؛ كخروج الناس من القبور وانتشارهم كالفراش المتطاير المنتشر هنا وهناك ، يجيئون ويذهبون على غير نظام من شدة حيرتهم وفزعهم .
٢. تحدثت عن نسف الجبال وتطايرها حتى تصبح كالصوف المنبث المتطاير فى الهواء بعد أن كانت صلبة راسخة فوق الأرض ، وقد قرن بين الناس والجبال تنبيهًا على تأثير تلك القارعة فى الجبال حتى صارت كالصوف المندوف ، فكيف يكون حال البشر فى ذلك اليوم العصيب ؟ .
٣. ثم ذكرت الموازين التى توزن بها أعمال الناس ، وانقسام الخلق إلى سعداء وأشقياء حسب ثقل الموازين وخفتها ، وسميت بالقارعة لأنها تقرع القلوب والأسماع بهولها .[١]

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ ﴾ [سورة القارعة : ١-٥]

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ :

القارعة : القيامة والساعة لأنها تقرع الخلائق بأهوالها وأفزاعها.[٢]

بدأت السورة بالقارعة للتهويل والتشويق ، أى القيامة وأى شيء القيامة ؟ إنها فى الفظاعة والفخامة ، بحيث لا يدركها خيال ولا يبلغها وهم إنسان ، فهى أعظم من أن توصف أو تصور ، ثم زاد فى التفخيم والتهويل لشأنها[٣] فقال سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ :

كلمة استفهام على جهة التعظيم والتفخيم لشأنها[٤]. فهي أكبر من أن يحيط بها الإدراك ، وأن يلم بها

(١) صفوة التفاسير–الصابونى ٣/٥٩٤-٥٩٥. (٢) تفسير القرطبى ٢٠ /١٦٤. (٣)صفوة التفاسير–الصابونى ٣/٥٩٥. (٤) تفسير القرطبى ٢٠/ ١٦٤.

التصور .. !أى أى شيء أعلمك ما شأن القارعة فى هولها على النفوس..؟ زيادة فى تهويل أمرها وتعظيمه إنها لا تفزع القلوب فحسب بل تنشق السماء وتتزلزل الأرض، وتدك الجبال وتنسف نسفًا، وتتناثر الكواكب وتكور الشمس والقمر فهى تقرع القلوب والأسماع بفنون من الأهوال والأفزاع ، وبعد هذا التخويف والتشويق لمعرفة شىء من أحوالها جاء التوضيح والبيان بقوله تعالى[١].

﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ :

شبّه الله الخلق يوم القيامة بالفراش في كثرتهم وانتشارهم وذلتهم، ويحتمل أنه شبههم به لتساقطهم في جهنم. كما يتساقط الفراش في المصباح.

قال بعض العلماء: الناس في أول قيامهم من القبور كالفراش المبثوث ، لأنهم يجيئون ويذهبون على غير نظام ، فالكل عندما يرى هذه الأهوال والشدائد يكون كالفراش المبثوث المتفرق المنتشر هنا وهناك ثم يدعوهم الداعي فيتوجهون إلى ناحية المحشر؛ فيكونون حينئذ كالجراد المنتشر. لأن الجراد يقصد إلى جهة واحدة، وقيل: الفراش هنا الجراد الصغير وهو ضعيف[٢].

ولكن .... **لماذا يشبه الله تعالى الناس بالفراش المتفرق؟**

وذلك لأن الفراش من أضعف المخلوقات وأغباها، يقول ابن القيم :الفراش ناقص الفطنة ، ضعيف الحيلة ، ليس فى الطير أضعف منه ولا أجهل ، وفيما ترى من تهافته على النار، وأنت تطرده حتى يحرق نفسه دليل على ذلك [٣] ، فدل ذلك على أن الناس إذا بعثوا فزعوا فهم فى حيرة كالفراش الذى يتهافت على الهلاك ، لايملك لنفسه وجهة ولايعرف له هدفاً، فأين المهرب... ؟وأين المفر...؟ .

فأول حالهم كالفراش لا وجه له يتحير فى كل وجه ، ثم يكونون كالجراد لأن لها وجها تقصده ، قال ابن عباس :كغوغاء الجراد يركب بعضها بعضا ، كذلك الناس يجول بعضهم فى بعض. [٤]

﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ :

العهن :الصوف[٥]المصبوغ ألواناً.[٦] أى تصير الجبال كالصوف المنتشر المتطاير ، تتفرق أجزاؤها وتتطاير فى الجو حتى تكون كالصوف المتطاير عند الندف ، وإذا كان هذا حال الجبال الصلبة العظيمة مع كونها غير مكلفة ، فكيف هو حال الإنسان الضعيف المقصود بالتكليف والحساب!! .[٧]

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾ [سورة القارعة : ٦-١١]

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ :

اختلف الناس فى ذكر الميزان فى القيامة ، فجاء فى التفسير أنه ميزان له كفتان ، وأن الميزان أنزل فى الدنيا ليتعامل الناس بالعدل ، وتوزن به الأعمال ، وقال بعضهم:الميزان الكتاب الذى فيه أعمال الخلق.[٨]

(١) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٩٥/٣. (٢) التسهيل لعلوم التنزيل ٦٠٤/٢. (٣) مفتاح دار السعادة –ابن القيم ٧٠٢/٢ .
(٤) تفسير القرطبى ١٦٥/٢٠. (٥) قاله مجاهد وعكرمة-عمدة التفسير - ابن كثير ٧٢١/٣. (٦) لسان العرب٢٩٧/١٣.
(٧) حاشية الصاوى على الجلالين ٣٤٧/٤. (٨) لسان العرب ٤٤٦/١٣ .

أى من رجحت موازين حسناته وزادت على سيئاته . أما صفة هذا الميزان فهو ميزان دقيق لايزيد ولا ينقص. وميزان الأعمال يوم القيامة له لسان وكفتان عند الجمهور.(١)

يقول الله تعالى:﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء : ٤٧]

والقول فى الموزون على أوجه:

١. أن الأعمال هى التى توزن :

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[سورة الزلزلة :٧-٨]

٢.صحائف الأعمال هى التى توزن :

-{ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ المَعَافِرِيِّ ثُمَّ الحُبُلِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " **إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً ، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ : احْضُرْ وَزْنَكَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ ، فَقَالَ : إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ " ، قَالَ : « فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ »}(٢)**

٣.أن الموزون هو العامل نفسه :

والدليل :- {عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **مِمَّ تَضْحَكُونَ؟** " قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: " **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ** " (٣)

-{عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:"**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ،لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ،** وَقَالَ: اقْرَءُوا،﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [سورة الكهف: ١٠٥] "} (٤)

ولعل الحق أن الذى يوزن هو العامل وعمله وصحف أعماله ، فقد دلت النصوص التى سقناها على أن كل واحد من هذه الثلاثة يوزن ، ولم تنف النصوص المثبتة لوزن الواحد منها أن غيره لا يوزن فيكون

(١) التسهيل فى علوم التنزيل ٦٠٤/٢.
(٢) « حَسَنٌ غَرِيبٌ» (٢٦٣٩) سنن الترمذى- -أَبْوَابُ الْإِيمَانِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -- بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ يَمُوتُ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه.
(٣) (٣٩٩١) مسند أحمد - مسند عبد الله بن مسعود ٩٧/٧-٩٨.
(٤) (٤٧٢٩) صحيح البخارى -كتاب التفسير- باب﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ [سورة الكهف :١٠٥].

مقتضى الجمع بين النصوص إثبات الوزن للثلاثة المذكورة جميعها. [١]

هل فكرت يومًا عزيزى القارئ فى الميزان ، فماذا لو رجحت كفة السيئات على كفة الحسنات...؟! ألا يكون ذلك لك حافزًا أن تبادر إلى التوبة ، وتجتهد فى طاعة الله .

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ :

أى فهو فى عيشة هنيئة سعيدة فى جنان الخلد والنعيم . العيشة :كلمة تجمع النعم التى فى الجنة فهى فاعلة للرضا وهو اللين والانقياد لأهلها، كالفرش المرفوعة وارتفاعها مقدار مائة عام ، فإذا دنا منها ولى الله اتضعت حتى يستوى عليها، ثم ترتفع كهيئتها ، ومثل الشجرة أيضاً من الارتفاع ، فإذا اشتهى ولى الله ثمرتها تدلت إليه حتى يتناولها ولى الله قاعدا أو قائما ، ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ [سورة الحاقة:٢٣] وحيث ما مشى أو تنقل من مكان إلى مكان جرى معه نهر حيث شاء ، ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [سورة الإنسان :٦] فهذه الأشياء كلها عيشة قد أعطت الرضا من نفسها فهى فاعلة للرضا، وهى انذلت وانقادت بذلا وسماحة. [٢]

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ :

أى نقصت حسناته عن سيئاته ، أو لم يكن له حسنات يعتد بها .

﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ :

الهاوية: اسم من أسماء جهنم، قال أبو السعود : "﴿هَاوِيَةٌ﴾ : اسم من أسماء النار ، سميت بذلك لغاية عمقها وبعد مهواها ، روى أن أهل النار تهوى فيها سبعين خريفاً" . [٣]

أى فمسكنه ومصيره نار جهنم يهوى فى قعرها، وقال بعضهم: هذا دعاء عليه كما تقول: هوت أمه أى هلكت أمه ، وقال بعضهم : أمه هاوية صارت هاوية مأواه كما تُؤى المرأة ابنها فجعلها أما له إذا لا مأوى له غيرها ، وقيل : أم رأسه تهوى فى النار [٤] ،وسماها أمًا لأن الأم مأوى الولد ومفزعه ، فنار جهنم تؤوى هؤلاء المجرمين كما يأوى الأولاد إلى أمهم ، وتضمهم إليها كما تضم الأم الأولاد ،[٥] فالهاوية مأواه وسكنه التى يهوى فيها .

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴾ :

استفهام للتفخيم والتهويل ، أى وما أعلمك ما الهاوية ، وأصلها ما هى ؟ .

﴿ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ :

أى هى نار شديدة الحرارة ، قد خرجت عن الحد المعهود ، فإن حرارة أى نار إذا سعرت وألقى فيها أعظم الوقود لا تعادل حرها . [٦]

---

(١) اليوم الآخر القيامة الكبرى- عمر سليمان الأشقر ٢٥٤. (٢) تفسيرالقرطبى ١٦٦/٢٠. (٣) تفسير أبي السعود ١٩٤/٩ .
(٤)نقل هذا عن ابن عباس وعكرمة وقتاده عمدة التفسير-ابن كثير ٧٢٠/٣ لسان العرب ٣٧٣/١٥. (٥)،(٦)صفوة التفاسير– الصابونى ٣/ ٥٩٦.

﴿ سُورَةُ التَّكَاثُرِ ﴾

■ **ما المحور الذى تدور حوله السورة ؟**

تتحدث عن انشغال الناس بمغريات الحياة إلى أن يأتيهم الموت ، فالسورة تتحدث عن الذين عاشوا لأجسامهم وأهملوا أرواحهم وتتوعدهم بالجحيم ، وتوضح السورة بيان المخاطر والأهوال التى تنتظرهم فى الآخرة .

■ **ما ترشد إليه السورة :**

١. انشغال الناس بمغريات الحياة وتكالبهم على جمع حطام الدنيا ، حتى يقطع الموت عليهم متعتهم ، ويأتيهم فجأة وبغتة فينقلهم من القصور إلى القبور .

٢. بيان المخاطر والأهوال التى سيلقونها فى الآخرة ،والتى لا يجاوزها ولا ينجو منها إلا المؤمن الذى قدم صالح الأعمال.[١]

■ **ما سبب نزول هذه الآيات ؟**

- قال مقاتل والكلبى : " نزلت فى حيين من قريش هما :(بنو عبد مناف) و(بنو سهم بن عمرو)، وكان بينهم تفاخر، فتعادوا السادة و الأشراف أيهم أكثر فقال "بنو عبد مناف": نحن أكثر سيدًا ،وأعز عزيزًا ، وأعظم نفرًا ، وقال: "بنو سهم" مثل ذلك ، فكثرهم "بنو عبد مناف" ، ثم قالوا : نَعُدُّ موتانا حتى زاروا القبور فعدُّو موتاهم ، فكثرهم بنو سهم لأنهم أكثر عددًا فى الجاهلية " .[٢]

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ ﴾[سورة التكاثر : ١-٢]

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ :

قال القرطبى :أى شغلكم المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة الله حتى متم، ودفنتم فى المقابر. [٣]
فيا أيها اللاهون المتكاثرون بالأموال والأولاد والاهتمام بسفاسف الحياة ، وأنتم مفارقون كل هذا بما تتباهون وتتفاخرون ؟! حيث ينتهى بك المطاف إلى قبر ضيق لا تكاثر فيه ولا تفاخر استيقظوا . [٤]

(١) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٩٧/٣-٥٩٨.
(٢) أسباب النزول- الواحدى ٤٩٠ ،القرطبى ١٦٨/٢٠.
(٣) تفسير القرطبي١٦٨/٢٠ .
(٤) فى ظلال القرآن– سيد قطب ٣٩٦٢/٦ .

- {عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ قَالَ: " **يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ، أَوْ أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ؟** "} (١)

لذلك فاحذر أن تعيش لجسدك ، وتهمل غذاء روحك، فنهايتك القبر ،حيث الحساب والمجازاة على كل صغير وكبير ، فأنت مطالب بتحقيق التوازن بين متطلبات الجسد و متطلبات الروح .

﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ :

أيها المخدعون بما أنتم فيه ، التاركون ما تتكاثرون فيه إلى حفرة ضيقة لا تكاثر فيها ولا تفاخر، استيقظوا قبل فوات الأوان ...!!! (٢)

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾

[سورة التكاثر : ٣-٨]

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ :

كَلَّا : ردع وتنبيه ، أى ارتدعوا أيها الناس وانزجروا عن الاشتغال بما لا ينفع ولا يفيد فسوف تعلمون عاقبة جهلكم وتفريطكم فى جنب الله واشتغالكم بالفانى عن الباقى . (٣)

﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ :

وعيد بعد وعيد ، وإنما كرره للتأكيد وقيل الأول: تهديد للكفار ،والثانى: تهديد للمؤمنين. (٤)

فسوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت وعاينتم أهواله وشدائده ، فالقبر هو أول منازل الآخرة ، وهو إما حفرة من حفر النار ، أو روضة من رياض الجنة ، وهو بيت الدود وبيت الغربة وبيت الوحدة .

قال ابن عباس :" ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ما ينزل بكم من العذاب فى القبر ، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أى فى الآخرة إذا حل بكم العذاب فالأول فى القبر، والثانى فى الآخرة " . (٥)

---

(١) « حَسَنٌ صَحِيحٌ »(٣٣٥٤)سنن الترمذى– أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ – بَاب وَمِنْ سُورَةِ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ .

(٢) فى ظلال القرآن– سيد قطب ٢٩٦٢/٦ .

(٣) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٩٨/٣.

(٤) التسهيل فى علوم التنزيل ٢/ ٦٠٦.

(٥) تفسير القرطبى ٢٠/ ١٧٢.

﴿ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ﴾ :

أى ارتدعوا وانزجروا ، فلو علمتم العلم الحقيقى لما ألهاكم التكاثر ولما انشغلتم بالسفاسف ، ولما اشتغلتم بجمع الدرهم والدينار عن هدفكم الأكبر وعن المهمة التى خلقتم من أجلها،ولما خدعتم بنعيم الدنيا عن أهوال الآخرة وشدائدها .

﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ﴾ :

أقسم بأنكم ستشاهدون الجحيم عيانًا ويقينًا .والخطاب للكفار الذين وجبت لهم النار. [١]

﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ﴾ :

زيادة تأكيد أى ثم لترونها رؤية حقيقية بالمشاهدة العينية ، أى كلاّ منَّا سيرى جهنم بعينه فى الأخرة .

فهناك "**علم اليقين** " ، وهو خبر يأتيك من إنسان تثق فيه وفى أنه صادق فى كلامه ، وعندنا "**عين اليقين** " إذا كان الأمر قد شوهد مشاهدة العين ، و"**حق اليقين** " هو أن تدخل فى حقيقة الشىء إذا لمسته بيدك وتأكدت من أوصافه . [٢]

﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ :

أى لتسألن فى الآخرة عن نعيم الدنيا من الأمن والصحة وسائر ما يتلذذ به من مطعم ومشرب ومركب ومفرش [٣]، فهو عبء تستخفونه فى غمرتكم ولهوكم ، ولكن وراءه هم ثقيل . [٤]

*****

(١) تفسير القرطبى ١٧٤/٢٠ .
(٢) الأدلة المادية على وجود الله ١٨،خواطر الشعراوى ٥٥٦/١.
(٣) صفوة التفاسير –الصابونى ٥٩٩/٣.
(٤) فى ظلال القرآن- سيد قطب ٣٩٦٣/٦.

﴿ سُورَةُ العَصْرِ ﴾

- **ما المحور الذى تدور حوله السورة ؟**

يتمثل منهجًا كاملًا للحياة البشرية كما يريدها الإسلام ، إنها تصنع الدستور الإسلامى كله ، وتصف الأمة المسلمة على حقيقتها ووظيفتها .

- **ما ترشد إليه السورة :**

١. توضح سبب سعادة الإنسان أو شقاوته ونجاحه فى هذه الحياة أو خسرانه ودماره .

٢. يقسم الله تعالى بالعصر ، وهو الزمان الذى ينتهى فيه عمر الإنسان ، وما فيه من أصناف العجائب والعبر الدالة على قدرة الله وحكمته ، على أن جنس الإنسان فى خسارة ونقصان إلا من اتصف بالأوصاف الأربعة وهى:

١. الإيمان .
٢. العمل الصالح .
٣. التواصى بالحق .
٤. الاعتصام بالصبر ، وهى أسس الفضيلة وأساس الدين .[١]

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ ﴾ [سورة العصر : ١-٢]

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ :

العصر: قال الفراء: العصر الدهر أقسم الله تعالى به ،[٢] لفى خسر :لفى عقوبة بذنبه وأراد يخسر أهله ومنزله فى الجنة.[٣]

أقسم بالدهر والزمان لما فيه من أصناف الغرائب والعجائب والعبر والعظات على أن الإنسان فى خسران لأنه يفضل العاجلة على الآجله ، وتغلب عليه الأهواء والشهوات .[٤]

فالإنسان فى خسران إذ حياته هى رأس ماله فإذا لم يؤمن، ولم يعمل صالحا خسر كل الخسران.

"قال ابن عباس: " العصر هو الدهر ، أقسم تعالى به لاشتماله على أصناف العجائب " .

قال قتادة :" العصر هو آخر ساعات النهار ، أقسم به كما أقسم بالضحى لما فيها من دلالة القدرة الباهرة والعظة البالغة" .[٥]

(١) صفوة التفاسير- الصابونى ٦٠٠/٣.
(٢) لسان العرب ٥٧٥/٤.
(٣) لسان العرب ٢٣٨/٤.
(٤) صفوة التفاسير- الصابونى ٦٠١/٣
(٥) البحرالمحيط ٥٠٧/٨.

قال القرطبي:" أقسم الله عز وجل بالعصر ، وهو الدهر لما فيه من التنبيه بتصرف الأحوال وتبدلها ، وما فيها من الدلالة على الصانع ، وقيل: أقسم بصلاة العصر وهى الوسطى لأنها أفضل الصلوات ". (١)

وإنما أقسم تعالى بالزمان لأنه رأس عمر الإنسان ، فكل لحظة تمر تمضى من عمرك وتنقص من أجلك ، فكل يوم يمر عليك هو يوم جديد وهو على عملك شهيد ، فاغتنم هذا اليوم قبل ألا يعود، فإذا مضى الوقت لا يعود ولا يعوض ، فما مضى فات ، والمؤمل غيب ولك الساعة التى أنت فيها .

فإذا كانت الدنيا خشنة ومفعمة بالمشاكل ، وكنت فيها مستقيمًا على أمر الله ترجو رحمته وتخشى عذابه ، فإنك فيها الرابح والمفلح والمتفوق والفائز ، فهذه الدنيا ستمضى ، ثم يأتى الموت فينهى كل شيء ، فيموت إنسان وهو لا يملك من حطام الدنيا شيئًا ، ويموت آخر وهو يملك الملايين ، فيكونان فى القبر سواء ، فكلاهما يموت وهو لا يملك شيئًا ، فالموت يلغى قوة القوى وضعف الضعيف ، وغنى الغنى وفقر الفقير ، ووسامة الوسيم ودمامة الدميم ، وصحة الصحيح ومرض المريض ، فعطاء الدنيا ليس بعطاء وإنما هو ابتلاء؛ لأنه ينقطع بالموت .

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[سورة العصر : ٣]

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ :

أى جمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال ، فهؤلاء هم الفائزون لأنهم باعوا الخسيس بالنفيس ، واستبدلوا الباقيات الصالحات عوضًا عن الشهوات. (٢)

إن الإيمان دليل على صحة الفطرة ، فلقد فطر الإنسان على حب الخير وكراهية الشر ،فطر على حب العدل وكراهية الظلم ، حب الصدق و كراهية الكذب ، فالعمل الصالح هو ثمرة الإيمان .

"إن الإيمان هو اتصال هذا الكائن الصغير الضعيف الفانى المحدود بالأصل المطلق الأزلى الباقى الذى صدر عنه هذا الوجود ، وعندئذ ينطلق هذا الإنسان من حدود ذاته الصغيرة إلى رحابة الكون الكبير ، من حدود عمره القصير إلى امتداد الآباد التى لايعلمها إلا الله (٣)، وهذا الاتصال يمنحه السعادة الحقيقية التى يلهث بحثا عنها.

والواقع أن لى وقفة مع هذه الآية ، فما من آية إلا ويقرن فيها بين الإيمان والعمل الصالح ، فى الواقع إن معظم المسلمين يظن أن الإيمان هو مجرد إطلاق اللحية أو لبس النقاب و إقامة أركان الإسلام الخمسة ؛ ولكن مفهوم الإسلام أوسع وأشمل من ذلك ، فالإسلام يكون فى أن يتقن الإنسان عمله ، فى أن تحسن إلى جارك، فى أن تصل رحمك ، فى أن تتغاضي عن المسيء، فالإسلام دين تعامل قبل أن يكون دين شعائر تؤدى ، فالإسلام هو سلوك الفرد مع من حوله ، فلا يكفى أن تقول آمنت بفمك ، بل يجب أن تقرنها بالعمل الصالح .

إن الدين كلمة تقال.... ، وسلوك يفعل.... فإذا انفصلت الكلمة عن السلوك... **ضاع الدين** .

(١) تفسير القرطبى ١٧٩/٢٠ . (٢) صفوة التفاسير– الصابونى ٦٠١/٣. (٣) فى ظلال القرآن – سيد قطب٣٩٦٤/٦- ٣٩٦٥.

﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ ﴾ :

أى أوصى بعضهم بعضًا بالحق من الإيمان والتصديق وعبادة الرحمن ؛ لأن النهوض بالحق عسير والعوائق كثيرة ، فهناك هوى النفس، ومنطق المصلحة وظروف البيئة ، والتواصى بالصبر ضرورة فهو من أعسر ما يواجه الفرد والجماعة فلابد من الصبر على جهاد النفس وجهاد الغير، والصبر على الأذى والمشقة ،والصبر على طول الطريق ، وبطء المراحل، وبعد النهاية .[١]

﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ :

الصبر: نقيض الجزع ، والصبر هو حبس النفس عند الجزع.[٢]

أى تواصوا بالصبر على الشدائد والمصائب وعلى فعل الطاعات ، وترك المحرمات ، والصبر على أقدار الله المؤلمة .

"فكل مؤمن يدخل منهج الإيمان محتاج إلى الاستعانه بالصبر ليحمل نفسه على مشقة المنهج وتكاليفه، ولمنع نفسه عن الشهوات التى حرمها الله سبحانه وتعالى[٣]، لقد شأت حكمة الله أن تكون الدنيا دار ابتلاء بالشر والخير ، ودار صراع بين الحق والباطل ، لذلك كان التواصى بالصبر ضرورة للفوز بالجنة .

ونلاحظ ما من أمر فى القرآن إلا ويسبق الصبر الأمر الإلهى حتى فى الصلاة ، يقول الله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[سورة البقرة : ١٥٣]

ولكن... **ما الصبر ؟**

لغة :هو المنع والحبس ،**وشرعا** :هو حبس النفس عن الجزع ، وحبس اللسان عن الشكوى ، والجوارح عن المعاصى ،كاللطم وشق الثياب ،فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة، فإذا قام به العبد كما ينبغى انقلبت المحنة فى حقه منحة، واستحالت البلية عطية وصار المكروه محبوبا ،فإن الله سبحانه وتعالى لن يبتليه ليهلكه وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته،[٤] والصبر مر كمذاقه ولذلك حثنا الله على الصبر فى مواضع كثيرة من القرآن يقول الله تعالى فى كتابه العزيز:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [سورة البقرة : ١٥٥]

في الواقع كلنا مبتلى ، فلا أحد فى هذه الدنيا يمتلك كل شىء ، ومن فى ظنك أنه يمتلك كل شىء يفتقد إلي أهم شىء ، ألا وهو راحة البال والضمير ، ولكن..... **ما أنواع الصبر ؟**

١ .**الصبر على الطاعة** :

لأن النفس بطبعها تنفر من العبودية، فالنفس بطبعها تنفر من العبادات، فهناك ما يكره بسبب الكسل فالوضوء بالماء البارد فى شدة البرد عبودية لله ، وإقامة الصلاة فى وقتها عبودية لله ، ومنها ما يكره بسبب

(١) فى ظلال القرآن-سيد قطب٣٩٦٨/٦ (٢) لسان العرب ٤٣٨/٤. (٣)خواطر الشعراوى ٣٠٧/١. (٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب –ابن القيم ٣

البخل كالزكاة ، ومنها ما يكره بسببهما كالحج والجهاد ، فالمسلم يحبس نفسه على ما تكره من عبادة الله وطاعته ، ويلزمها بذلك إلزامًا ، فالنفس تميل إلى الراحة والكسل والتراخى ، ومن منا لا يجاهد نفسه ويعصي هواه ، فالنفس تأمر بالسوء ، ولكن عظمة الإنسان تتجلى فى أنه يخالف هواه ويطيع ربه فيما أمره ، ولذلك اقترن كل عمل بالصبر فأنت حين تجاهد فى سبيل الله لترفع كلمة الله فأنت فى جهاد مع نفسك ، فليس هناك أغلى ولا أحب من النفس .

٢.**الصبر على المعصية** :

وتركه لها مع نزوع النفس إليها من غير خوفا من الناس ، ولكن خوفا من غضب الله .

٣. **الصبر على ما قدره الله من الابتلاءات** :

من المحن والمصائب ،فيجب علينا أن نؤمن بالقدر خيره وشره فإن فى هذا البلاء حكمة لا يعلمها إلا الله فلا يجزع ولا يسخط على الأقدار ، بل عليه أن يتذكر أن أقدار الله جارية ، وأن قضاءه عدل وأن حكمه نافذ ، صبر العبد أم جزع غير أنه مع الصبر الأجر ، ومع الجزع الوزر .[١]

والمحن والبلايا في هذه الدنيا كثيرة ، منها " الصبر على ما يلاقيه المسلم إذا أمر بالمعروف من امتغاض بعض المأمورين به أو من أذاهم بالقول كمن يقول لآمره :هلا نظرت في أمر نفسك ، فالتخلق بالصبر لا يخلو من حمل المرء نفسه على مخالفة شهوات كثيرة ، ففى مخالفتها تعب يقتضى الصبر عليه ، حتى تصير مكارم الأخلاق ملكة لمن راض نفسه عليها ، وكذلك الأعمال الصالحة لا تخلو من إكراه النفس على ترك ما يميل إليه .

وحقيقة الصبر أنه منع المرء نفسه من تحصيل ما يشتهيه أو من محاولة تحصيله .[٢]

إن نجاة الإنسان لا تكون إلا إذا أكمل نفسه بالإيمان والعمل الصالح ، ونصح غيره وأرشده طريق الصواب ،فيكون قد جمع بين حق الله وحق العباد ، فالطريق واحد طريق الإيمان والعمل الصالح ، وقيام الجماعة المسلمة التى تتواصى بالحق وتتواصى بالصبر ، إنه الدستور الإلهى ونحن حراس هذا الدستور.[٣]

*****

(١) مختصر منهاج القاصدين-أحمد بن قدامة المقدسى ٢٦٦-٢٦٧ بتصرف.
(٢) التحرير والتنوير -ابن عاشور٣٠/ ٥٣٣
(٣) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٩٧١/٦ بتصرف..

﴿ سُورَةُ الهُمَزَةِ ﴾

- **ما المحور الذى تدور حوله السورة ؟**

تحدثت عن الذين يعيبون الناس ويأكلون أعراضهم ، والذين يشتغلون بجمع الأموال وعقابهم بدخولهم نارًا لا تخمد أبدًا .

- **ما ترشد إليه السورة :**

١. تتحدث عن الذين يعيبون على الناس ويأكلون أعراضهم بالطعن والانتقاص والازدراء، وبالسخرية والاستهزاء .
٢. كما ذمت الذين يشتغلون بجمع الأموال وتكديس الثروات كأنهم مخلدون فى الحياة .
٣. ختمت بذكر عاقبة هؤلاء الجهلاء ، حيث يدخلون نارًا لا تخمد ، تحطم المجرمين ومن يلقى فيها من البشر ، لأن الحطمة نار سقر .[١]

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ ﴾

[سورة الهمزة : ١-٣]

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ :

قال الزجاج: الهمزة واللمزة الذى يغتاب الناس ، واللمز: العيب فى الوجه ،وأصله الإشارة بالعين والرأس والشفة، والهمزة: الكلام الخفى، الهماز: العياب ،وهم العيابون فى الغيب ويكون ذلك بالعين والرأس .[٢]
أى العذاب والهلاك الشديد لكل من يعيب الناس ويغتابهم ويطعن فى أعراضهم ، أو يلمزهم سرًا بعينه أوحاجبه .

﴿ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴾ :

أى الذى جمع مالاً كثيرًا وأحصاه وحافظ على عدده لئلا ينقص ، فمنعه من الخيرات [٣] ، ولم ينفقه فى سبيل الله ، ولم يؤد حق الله ، ولكنه جمعه فأوعاه وحفظه . ولكن أى لذة فى جمع الأموال إذا افتقد صاحبها الأمن والسكينة والطمأنينة وهو يبتلى بالخوف من زوالها والقلق والحرص على جمع المزيد !

"إن عابد المال يعيش رغم غناه فى خوف وهلع، إنه فاقد للأمان ؛لأنه يخشى الفقر، ولذلك فهو يقتر على نفسه وعلى أولاده ، ويحرص على كل قرش يصرفه فتجده مع أنه يملك المال خائف أن يتمتع به حتى لا

(١) صفوة التفاسير - الصابونى ٦٠٢/٣. (٢) لسان العرب ٤٢٦/٥. (٣) التسهيل فى علوم التنزيل ٦٠٨/٢ .

ينقص ولا يزول وهو فى ذل دائم ، إنه فى سبيل الحفاظ على ماله مستعد لارضاء أصحاب النفوذ ولو ارتكب المعاصى ليحتفظ به وكأنه يتمتع بما يملك ، ولكنه فى الحقيقة فى خوف وبؤس داخل نفسه، وأول أضرار حب المال أنه يلهى صاحبه عن الله ويقسى القلوب ، ويغرى بأكل حقوق الضعفاء.

وهكذا نجد أن عطاء الله للكافرين ليس حباً لهم وإنما استدراجاً ، أنه يلهى هؤلاء الكفار بكفرهم وعدم إيمانهم عن منهجه ، ويعطيهم ويزيدهم مالاحتى يعبدوا المال ويتركوا عبادة الله ، وتظل ثرواتهم تلهيهم عن عبادته حتى يأتى أجلهم وتزهق أرواحهم وهم كافرون.

"فالمال خادم جيد ،وسيد ردىء ، أى أنك إذا حصلت على المال استطعت أن يحقق لك كل شىء فهو الذى يشترى لك ما تريد، ويأتيك بما تشتهى هذا إذا جعلته خادماً لك ، ولكن إذا جعلته سيداً لك وكنزته وأصبح هدفك أن تجمع المال من حلال أو حرام فإنك تصير عبدا للمال لا تستفيد منه، وإنما هو يسجنك فيحرمك مما تشتهى لأنك لا تريد إنفاق مالك ،ولا تتمتع به لأنك لا تريد أن تفارقه. (١)

فى الواقع إن رأس مالك هو أنفاسك ، فكل نفس من أنفاسك هو بمنزلة خاتمتك ، فإن الموت منك قريب، فما لك أتعبت نفسك فى كسب حطام الدنيا الفانية ، ألا تعلم أن الموت سيسلبك أموالك ويمنعك ما تشتهى ، فما لك أفنيت عمرك من أجل متاع قليل ..!!

فى الواقع ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ، فكما دخلت الدنيا عاريًا ستخرج منها عاريًا ، لا تمتلك شيئًا من حطام الدنيا سوي عملك، فأين مالك الذى أفنيت عمرك فى جمعه من حلال وحرام.... ؟ وظلمت هذا ... وسرقت هذا ... ، وظننت أنك تحسن صنعًا، وفى الواقع أنك يا مسكين تلقى بنفسك فى النار وتركت المال لمن يرثه وأنت تحاسب عليه ، فلو أنك امتلكت الدنيا بأجمعها لما وسعك إلا أن تأكل سوى ثلاث وجبات فى اليوم ، ولا أن تنام إلا فى فراش واحد ، إن الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والفزع الأكبر بين يديك .

فى الواقع إن فى النفس دوافع ورغبات لايرضيها المال ولا النفوذ ولا الجاه ولا السلطان لايرضيها سوى حب الله والأنس به ، والاطمئنان إلى رحابه الواسع ، والبعد عن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، والذوبان فى عبادته فمن ذاق عرف ومن عرف أغترف.

فالدنيا أمير من طلبها ، وخادم من تركها ، فمن طلبها رفضته ، ومن رفضها طلبته ، فالدنيا هى قنطرة الآخرة، فاعبروها ولا تعمروها .

﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴾ :

أى يظن هذا الجاهل لقرط غفلته أن ماله سيتركه مخلدًا فى الدنيا لايموت ،(٢) بعض الناس يظن أن المال هو القيمة العليا فى الحياة ، القيمة التى تهون أمامها جميع القيم وجميع الأقدار ، ويشعر كأنه قد ملك المال وملك كرامات الناس وأقدارهم بلا حساب ، فهو يظن أن هذا المال قادر على كل شيء ، ولا يعجز عن

(١) الخير والشر-الشعراوى ٧١-٦٠ .
(٢) القرطبى نقلا عن السدى بتصرف ١٨٤/٢٠ .

فعل شيء حتى دفع الموت وتخليد الحياة ودفع قضاء الله وحسابه وجزاءه ، ومن ثم ينطلق فى هوس بهذا المال بعده ويستلذ بعده ، ويستهين بأقدار الناس وكرامتهم ولمزهم وهمزهم ، يعيبهم بلسانه ويسخر منهم بحركاته... باللفتة الساخرة... والحركة الهازئة ، وهى صورة حقيرة حين تخلو من المروءة وتعرى من الإيمان ، والإسلام يكره هذه الصورة الهابطة ، وقد نهى عن السخرية والهمز واللمز .[١]

فى الواقع أن شهوة حب المال عمت الناس جميعًا حتى فتنوا بالدنيا وزهرتها ، وصارت غاية قصدهم بها يطلبون وبها يرضون ومن أجلها يغضبون وبسببها يقاطعون ، وكم قطعت أرحام فى سبيلها وسفكت دماء ووقعت الفواحش من أجلها ، وفرق بين الأخ وأخيه ، وتقاتل الأب مع ابنه ، وتعادى الأصحاب .

﴿ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩ ﴾ [سورة الهمزة : ٤- ٩]

﴿ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ﴾ :

النبذ : إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به [٢]، الحطمة: اسم من أسماء النار لأنها تحطم كل ما يلقى فيها وتلتهمه: وقيل الحطمة :باب من أبواب جهنم ، والحطم :هو كسر الشيء اليابس خاصة كالعظم .[٣]
أى ليرتدع عن هذا الظن ، فو الله ليطرحن فى النار التى تحطم كل ما يلقى فيها وتلتهمه .

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ﴾ :

تفخيم وتهويل لشأنها ، أى ما أعلمك ما حقيقة هذه النار العظيمة ؟
إنها الحطمة التى تحطم العظام وتأكل اللحوم حتى تهجم على القلوب[٤] ،إنه مشهد من مشاهد يوم القيامة يمثل فيه صورة للعذاب مادية ونفسية ، فالجزاء من جنس العمل.

" فالذى يدأب على السخرية من الناس وعلى لمزهم فى أنفسهم وأعراضهم وهو يجمع المال، فيظن المال كفيلاً له بالخلود فى الدنيا، هذا المتعالى بماله ، فكان عاقبة ذلك أنه كان منبوذًا مهملًا فى الحطمة ، التى تحطم كل ما يلقى إليها فتحطم كيانه وكبرياءه ، وهى نار الله الموقدة ، وإضافتها إلى الله توحى بأنها ليست كنار البشر فهى نار مغلقة عليه ولا ينقذه منها أحد ، ولا يسأل عنه فيها أحد ، وهو مقيد فيها كما تربط البهائم بلا احترم .[٥]

﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴾ :

هى نار الله المسعرة بأمره تعالى وإرادته وهى ليست كسائر النيران ، فإنها لا تخمد أبدًا [٦] ، وإضافة نار إلى اسم الجلالة للترويع بها بأنها نار خلقها القادر على الأمور العظيمة ،فهي نار ليست كنار البشر بل

(١) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٩٧٢/٦. (٢) مفردات ألفاظ القرآن الكريم –للأصفهانى ٧٨٨ . (٣) لسان العرب ١٣٨/١٢.
(٤) صفوة التفاسير – الصابونى ٦٠٢/٣. (٥) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٩٧٣/٦. (٦) صفوة التفاسير - الصابونى ٦٠٢/٣.

نار خالق النار ، ووصف النار بالموقودة يفيد أنها لاتزال تلتهب ولا يزول لهيبها وهذا كما وُصفت نارالأخدود بذات الوَقود في سورة البروج ، أي النار التي يُجدد اتقادها بوقود وَهو الحَطب الذي يُلقَى في النار لتتقد. (١)

﴿ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾ :

أى التى يبلغ ألمها ووجعها إلى القلوب فتحرقها ، قال القرطبى: "وخص الأفئدة لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه ، فإنهم فى حالة من يموت وهم لا يموتون" كما قال تعالى :

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾[سورة طه :٧٤]

فهم إذاً أحياء فى معنى الأموات. (٢)

﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ :

أى إن جهنم مطبقة مغلقة عليهم لايدخل إليهم روح ولا ريحان.

﴿ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ :

عمد: عمدت الشيء إذا اسندته، والعمود :خشب تعتمد عليه الخيمة. (٣)

أى هم موثوقون فى سلاسل وأغلال ، تشد بها أيديهم وأرجلهم بعد إطباق الأبواب عليهم ، وتمدد العمد إيذانًا بالخلود إلى غير نهاية . (٤)

قال مقاتل : أطبقت الأبواب عليهم ثم سُدَّت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم رَوْح . (٥)

*****

(١) التحرير والتنوير- ابن عاشور٣٠/٥٤٠ .
(٢) تفسير القرطبي٢٠/١٨٥ .
(٣) مفردات ألفاظ القرآن الكريم - الأصفهانى ٧٨٨.
(٤) صفوة التفاسير -الصابونى ٣/٦٠٢.
(٥) معالم التنزيل– البغوى ٨/٥٣١.

﴿ سُورَةُ الْفِيلِ ﴾

■ **ما المحور الذى تدور حوله السورة ، وما سبب نزولها ؟**

تتحدث السورة عن قصة "أصحاب الفيل" حين قصدوا هدم الكعبة ، فرد الله كيدهم فى نحورهم وحمى بيته من تسلطهم وطغيانه ، وأرسل على جيش "أبرهة الأشرم" وجنوده أضعف المخلوقات ، وهى الطير التى تحمل فى أرجلها ومناقيرها حجارة صغيرة ، ولكنها أشد فتكاً وتدميرًا من الرصاصات القاتلة ، حتى أهلكهم الله وأبادهم عن آخرهم ، وكان ذلك فى عام ميلاد سيد الكائنات محمد بن عبد الله ﷺ ، سنة سبعين وخمسائة ميلادية ، وهى تنبيه لقريش وتذكير لهم بما حل بالأمم الغابرة ، وأن الله غالب على أمره، وألا تغر قريش قوتها ووفرة عددها، فلقد أهلك الله من هو أشد منهم قوة وأكثر جمعًا . (١)

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥ ﴾ [سورة الفيل : ١-٥]

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾ :

﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ معناها أن الرؤية مستمرة لكل مؤمن بالله يقرأ هذه الآية ، فأنت ترى بإيمانك ما تعجز عينك عن أن تراه هذه هى الرؤية الإيمانية ، وهى أصدق من رؤية العين لأن العين قد تخدع صاحبها ؛ ولكن قلب المؤمن لا يخدع صاحبه أبداً. (٢)

والسؤال هنا للتعجب من الحادثة ، والتنبيه إلى دلالته العظيمة ، فالحادث كان معروفا عندهم ومشهوراً عندهم حتى لقد جعلوه مبدأ التاريخ فيقولون: حدث كذا عام الفيل. (٣)

أى هل تعلم يامحمد ماذا صنع الله العظيم الكبير بأصحاب الفيل ، الذين قصدوا الاعتداء على البيت ؟ روى أن "أبرهة الأشرم" ملك اليمن بنى كنيسة بصنعاء ، وأراد أن يصرف الحجيج إليها ، فجاء رجل من كنانة وتغوط فيها ليلاً ولطخ جدرانها بالنجاسة احتقارًا لها ، فغضب "أبرهة" وحلف أن يهدم الكعبة، وجاء مكة بجيش كبير على أفيال ، يتقدمهم فيل هو أعظم الفيلة ، فلما وصل قريبًا من مكة ، فر أهلها إلى الجبال خوفًا من جنده وجبروته ، وأرسل الله تعالى على جيش أبرهة طيورًا سودًا .

(١) صفوة التفاسير –الصابونى ٣/٦٠٤-٦٠٦ . (٢) خواطر الشعراوى- ١/٧٧ . (٣) فى ظلال القران- سيد قطب ٦/٣٩٧٩.

مع كل طائر ثلاثة أحجار ؛ حجر فى منقاره وحجران فى رجليه ، فرمتهم الطيور بالحجارة ، فكان الحجر يدخل فى رأس الرجل ويخرج من دبره فيرميه جثة هامدة ، حتى أهلكهم الله ودمرهم عن آخرهم ، وكانت قصتهم عبرة للمعتبرين .[١]

﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ :

والكيد: هو الاحتيال على إلحاق الضر بالغير ، ومعنى تضليل : أى أبطل كيدهم إبطالًا شديدًا ، إذ لم ينتفعوا بقوتهم مع ضعف أهل مكة وقله عددهم.

أى ألم يهلكهم ويجعل مكرهم وسعيهم فى تخريب الكعبة فى ضياعٍ وخسار[٢]، فالله يذكر قريشًا بنعمته عليهم فى حماية هذا البيت وصيانته فى الوقت الذى عجزوا هم عن الوقوف أمام أصحاب الفيل الأقوياء، وهو هنا يذكرهم بضعفهم وعجزهم فلا يغترون بقوتهم فى مواجهة محمد ﷺ والقلة المؤمنة معه ،ولكن كيف جعل الله كيدهم فى تضليل ؟ [٣]

﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ :

أى سلط عليهم من جنوده طيرًا ، أتتهم جماعات متتابعة بعضها فى إثر بعض [٤] وأحاطت بهم من كل جانب .

﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ :

سجيل: حجر وطين مختلط ، وأصله فيما قيل فارسى معّرب ، والسِّجِلُّ قيل: حجر كان يكتب فيه ثم سمى كل ما يكتب فيه سجلاً .[٥]

أى تقذفهم بحجارة صغيرة من طين متحجر ، كأنها رصاصات ثاقبة لا تصل إلى أحد إلا قتلته .

﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ :

العصف المأكول :فيها معنيان أحدهما :أنه جعل أصحاب الفيل كورق أخذ ما فيه من الحب وبقى هو لاحب فيه.

والآخر: أنه أراد أنه جعلهم كعصف أكله البهائم[٦]، والعصف يقال :لحطام النبت المتكسر .[٧]

أى فجعلهم كورق الشجر الذى عصفت به الريح وأكلته الدواب فراثته فيبس وتفرقت أجزاؤه ، وهذا تمثيل لحال أصحاب الفيل بعد تلك النضرة والقوة كيف صاروا متساقطين على الأرض هالكين .[٨]

---

(١) صفوة التفاسير –الصابونى ٣/ ٦٠٥، الكشاف–الزمخشرى بتصرف ٧٩٧/٤ .
(٢) صفوة التفاسير –الصابونى ٦٠٤/٣ .
(٣) فى ظلال القران- سيد قطب٣٩٧٩/٦.
(٤) قاله ابن عباس ومجاهد -القرطبى ١٩٧/٢٠.
(٥) مفردات ألفاظ القرآن الكريم– الأصفهانى ٣٩٨ .
(٦) لسان العرب ٢٤٧/٩ .
(٧) مفردات ألفاظ القرآن الكريم-الأصفهانى ٥٦٩ .
(٨) التحرير والتنوير –ابن عاشور٥٥١/٣٠.

ما الدروس والعبر المستفادة من قصة أصحاب الفيل؟

وهذه القصة تدل على كرامة الله للكعبة ، وإنعامه على قريش بدفع العدو عنهم ، فكان يجب عليهم أن يعبدوا الله ويشكروه ، وفيها مع ذلك عجائب وغرائب من قدرة الله العظيمة على الانتقام من أعدائه بأضعف جنوده ، وهى الطير التى ليست من عادتها أنها تقتل ،كذلك أن يكون ذلك الحدث التاريخى المهم فى عام ميلاد سيد الكائنات محمد ﷺ وكان من أعظم الإرهاصات الدالة على صدق نبوته. (١)

قال ابن إسحاق : لما رد الله الحبشة عن مكة عظمت العرب قريشا ، وقالوا : أهل الله قاتل الله عنهم ، وكفاهم عدّوهم. (٢)

كذلك هذه القصة تدل على كرامة الله للكعبة ليبقى هذا البيت بعيدًا عن سيطرة المتسلطين ، وليحفظ الأرض المقدسة ، وليحفظ لهذه الأرض حريتها حتى تنبت فيها العقيدة الجديدة حرة طليقة، لا يهيمن عليها سلطان ، ولا يطغى فيها طاغية ، ولكى يهيمن هذا الدين على الأديان كلها ويقود البشرية ولا يقاد ، وتحت راية الإسلام ولأول مرة في تاريخ العرب أصبح للعرب دور عالمي يؤدونه ، وأصبحت لهم قوة دولية يحسب لها حساب.

قوة جارفة تكتسح الممالك وتحطم العروش، وتتولى قيادة البشرية، لقد خرجوا من أرضهم جهاداً في سبيل الله وحده، ولم يخرجوا ليؤسسوا إمبراطورية عربية ينعمون ويرتعون في ظلها، ويتكبرون تحت حمايتها ، إنما قاموا ليخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

والفكرة الوحيدة التي تقدم بها العرب للبشرية كانت هي العقيدة الإسلامية ، وهي التي رفعتهم إلى مكان القيادة ، فإذا تخلوا عنها لم تعد لهم في الأرض وظيفة ، ولم يعد لهم في التاريخ دور.
وهذا ما يجب أن يذكره العرب جيداً إذا هم أرادوا الحياة... ، وأرادوا القوة....، وأرادوا القيادة.....

كذلك إنعام الله على قريش بدفع العدو عنهم ، فالله سبحانه وتعالى لم يرد أن يكل حماية بيته إلى المشركين، وتدخلت القدرة الإلهية لحماية بيته بل أن الأمر جرى في إهلاك المعتدين مجرى السنة الخارقة ـ لا السنة المألوفة المعهودة ـ لقد كان من مقتضى تدخل القدرة الإلهية لحماية البيت الحرام أن تبادر قريش والعرب إلى الدخول فى دين الله حينما جاءهم الرسول ﷺ ،(٣) ولكنهم تصدوا له وحاربوه ، فهم قوم ألفوا السيادة على العرب ، وكان من الممكن أن يسودوا العالم بهذه الدعوة الجديدة ، ولكن الله أراد الله أن ينتصر الإسلام بالضعفاء، وكان ذلك من قدر الله ليثبت أن كلمة الله هى العليا.

﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ ﴾ [سورة العنكبوت : ٦٧] .

(١) صفوة التفاسير –الصابونى ٦٠٤/٣ . (٢) تفسير القرطبى ١٩٦/٢٠ . (٣) فى ظلال القران- سيد قطب٣٩٨٠/٦-٣٩٨١بتصرف.

﴿ سُورَةُ قُرَيْش ﴾

■ **ما المحور الذى تدور حوله السورة ؟**

تحدثت هذه السورة عن نعم الله الجليلة على أهل مكة ؛ حيث كانت لهم رحلتان: رحلة فى الشتاء إلى اليمن ورحلة فى الصيف إلى الشام من أجل التجارة ، فهدف السورة هو شكر النعمة ، وقد أكرم الله تعالى قريشًا بنعمتين عظيمتين من نعمه الكثيرة نعمة الأمن والاستقرار ونعمة الغنى واليسار [١] ، لقد استجاب الله لدعوة خليله إبراهيم عليه السلام وهو يتوجه إليه عقب بناء البيت وتطهيره.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[سورة البقرة :١٢٦]

فجعل هذا البيت آمنا وجعله عتيقًا من سلطة المتسلطين وجبروت الجبابرة ، وجعل من يأوى إليه آمناً .

﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ ﴾ [سورة العنكبوت : ٦٧]

لقد كان من حادثة الفيل مضاعفة زيادة حرمة البيت عند العرب فى جميع أنحاء الجزيرة ، وزيادة مكانة أهله مما جعلهم يسيرون آمنين ، حينما حلوا وجدوا الكرامة والرعاية ، مما أدى إلى انتشار التجارة إلى اليمن جنوبًا فى الشتاء والشام شمالاً فى الصيف ،لقد ألفت نفوسهم هاتين الرحلتين الآمنتين ، فصارت عادة وإلفًا ، وهذه هى المنَّة التى يذكرهم الله بها بعد البعثة . [٢]

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ۝٤ ﴾ [سورة قريش : ١-٤]

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴾ :

الإيلاف: من يؤلفون أى يهيئون ويجهزون . [٣]

لقد ألفت قريش هاتين الرحلتين فصارت عادة لهم وإلفا ، فقريش ألفوا رحلة الشتاء والصيف وهى نعمة ومنحة من الله ولم يشكروه سبحانه وتعالى عليها ، لكن هل تعلم عزيزى القارئ ... **لما سموا قريشاً ؟**

قال أبو ريحانة : " سأل معاوية عبد الله ابن عباس لم سميت قريش قريشًا ؟ قال : لدابة تكون فى البحر من أعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته وهى تأكل ولاتؤكل وتعلو ولا تعلى.[٤]

(١) صفوة التفاسير– الصابونى ٦٠٦/٣ .
(٢) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٩٨٢/٦.
(٣) لسان العرب ٩/ ١٠ .
(٤) الكشاف ٨٠٢/٤ والتسهيل لعلوم التنزيل ٦١٢/٢.

والتقرش: من القرش وهو التكسب والجمع، وهم كانوا تجاراً حراصاً على جمع المال.[١]
ولم يكونوا أصحاب ضرع ولا زرع وقولهم فلان يتقرش المال أى يجمعه.[٢]

﴿ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴾ :

أى إيلافهم رحلة الشتاء والصيف والرزق الذى أفاضه عليهم ، وكانت بلادهم قفرة ؛ حيث كانوا يسافرون للتجارة ويأتون بالأطعمة والثياب ، ويربحون فى الذهاب والإياب ، وهم آمنون مطمئنون لا يتعرض لهم أحد بسوء ، لأن الناس كانوا يقولون :هؤلاء جيران بيت الله وسكان حرمه ، وهم أهل الله ، لأنهم ولاة الكعبة فلا تؤذوهم ولا تظلموهم، ولما أهلك الله أصحاب الفيل ورد كيدهم فى نحورهم،ازداد وقع أهل مكة فى القلوب ، وازداد تعظيم الأمراء والملوك لهم فازدادت تلك المنافع والمتاجر فلذلك جاء الامتنان على قريش وتذكيرهم بنعم الله ليوحدوه ويشكروه.[٣]

﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴾ :

أى فليعبدوا رب هذا البيت العظيم الذى يعيشون فى جواره آمنين ويسيرون باسمه وفى رعايته ، ثم يعودون سالمين ، فلذلك فليجعلوا عبادتهم شكرًا لله لهذه النعم التى خصهم بها ، لأنهم فى بلاد بلا زرع ولا ضرع.[٤]

﴿ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾ :

أمنهم من أن يخافوا فى الحرم ، ومن أن يخافوا فى رحلتهم.[٥]
آمنهم يحتمل أن يريد آمنهم من خوف أصحاب الفيل ، ويحتمل أنه يريد آمنهم فى بلدهم بدعوة إبراهيم فى قوله:

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[سورة البقرة : ١٢٦]

أو يعنى آمنهم فى أسفارهم لأنهم كانوا فى رحلتهم آمنيين ،ولا يتعرض لهم أحد بسوء وكان غيرهم من الناس تؤخذ أموالهم وأنفسهم.[٦]

فالله قد كفل لهم الأمن وكفل لهم الطعام ، وأمنهم من خوف ، وبالرغم من أن بلادهم صحراوية إلا أن الله قد أطعمهم وأشبعهم من هذا الجوع ، وآمنهم وغيرهم غير آمن فى بلاده ، فكل قبيلة كانت ترعى موقفها من قريش بعد حادثة الفيل ، فالله جعل لهم سيادة بين القبائل ، فقد كانوا يسافرون آمنين لا يتعرض لهم أحد لا فى سفرهم ولا فى حضرهم أفلا يجب على قريش أن يفردوا بالعبادة هذا الإله الجليل الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ؟

---

(١) معالم التنزيل – البغوى ٨/ ٥٤٦ . (٢) لسان العرب ٣٣٥/٦ . (٣)، (٤) صفوة التفاسير -الصابونى ٦٠٦/٣ .
(٥) معانى القرآن وإعرابه – الزجاج ٣٦٦/٥. (٦) التسهيل فى علوم التنزيل ٦١٣/٢.

﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَ لَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سورة القصص : ٥٧]

وقد يتساءل سائل : **لماذا لم تؤمن قريش بمحمد وبذلك تسود العالم بدينه ؟**

لقد كانت هذه إرادة الله ليعلم التاريخ أن العصبية لمحمد لم تخلق الإيمان ، ولكن الإيمان بمحمد خلق العصبية ، فلقد كانت قريش هى أول من حاربت الإسلام بشتى الوسائل...!!!

وحتى لايدخل هذا الدين إلا من هو صادق الإيمان ، الذى يضحى بماله وولده وكل ما يملك فى سبيل الله، فهم سيحملون راية الإسلام إلى الدنيا كلها ، أنهم سيفتحون بلاد العالم وتعرض عليهم الثروات ، وتفتح لهم أبواب القصور ، فلو كان فى قلوبهم ذرة من حب الدنيا لمالوا إليها ، وإذا مالوا ضاعت قضية الدين ، فلو بدأ الإسلام بأصحاب النفوذ وأصحاب الأموال لآمن الناس نفاقًا ورياءً وتقربًا من أصحاب النفوذ والسلطان .

فالله سبحانه لايريد لدينه أن يحمله المنافقون ، حتى لايصبح سلعة تباع وتشترى وتتغير وتتبدل لمن يدفع الثمن ، لكنه يريد أن يحمل هذا الدين صادقوا الإيمان الذين لا يبيعون دينهم بدنياهم ، والذين يخافون الله أشد من خوفهم من الناس ، ولا ينحرفون من أجل مال ومتاع الدنيا ، ولذلك كانت السنوات الأولى للإسلام سنوات تطهير واختبار للإيمان الصادق ، ولم تكن العقيدة الصادقة بالقول فقط ، ولكنها بالتجربة الإيمانية الصادقة ، فالقول سهل ولكن التجربة العملية هى الامتحان الحقيقى للنفس البشرية .[١]

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[سورة العنكبوت : ٢-٣]

*****

(١) المعجزة الكبرى–الشعراوى بتصرف ١٥ -١٦.

﴿ سُورَةُ المَاعُونِ ﴾

- **ما المحور الذى تدور حوله السورة :**

إن هذه السورة تعالج حقيقة ضخمة ، وهى طبيعة هذه العقيدة ، إن طبيعة هذا الدين الإخلاص لله فى كل عمل ، فهو ليس مجرد شعائر وطقوس تؤدى إلى الله ، وإنما يترجم ذلك فى سلوك الأفراد ، لذلك تجد كل الآيات القرآنية تخلط بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فلا يصح الإيمان بلا عمل وليس للإنسان أن يختار له من الدين ما لذ وما يتفق مع هواه ، ويترك ما لايتفق مع هواه ، إنما الدين هو منهج متكامل ، وإن الإيمان إذا تمكن من القلب يكون الطريق إلى العمل الصالح . [١]

- **ما ترشد إليه السورة :**

١. تتحدث السورة عن الكافر الجاحد لنعم الله المكذب بيوم الحساب والجزاء ، من صفات هذا الكافر أنه يهين اليتيم ، ولا يفعل الخير مطلقًا حتى ولو بالتذكير بحق المسكين والفقير ، فلا هم أحسنوا فى عبادة ربهم ولا أحسنوا إلى خلقه .

٢. كذلك تتحدث عن المنافق الذى لا يقصد بعمله وجه الله ؛ بل يرائى فى أعماله وصلاته ، الغافل عن صلاته الذى لايؤديها فى أوقاتها ، وقد توعد الله الفريقين بالويل والهلاك . [٢]

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [سورة الماعون : ١-٣]

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾ :

تبدأ الآيات بالاستفهام للتعجب والتشويق ، لنعمل فكرنا من الذى يكذب بالدين ؟ وها هو الجواب فذلك الذى يكذب بالجزاء والحساب فى الآخرة [٣] ،ولكن انتظر هل عرفت من هو.. ؟ وما أوصافه...؟ إن أردت أن تعرف تعال معنا لنعرف من هو... ؟

﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾ :

يدع اليتيم فى اللغة : أى يدفع ، أى الذى يدع اليتيم عن حقه . [٤] فذلك هو الذى يدفع اليتيم دفعًا

(١) فى ظلال القرآن –سيد قطب ٣٩٨٤/٦.
(٢) صفوة التفاسير – الصابونى ٦٠٨/٣.
(٣) تفسير القرطبى ٢١٠/٢٠ .
(٤) معانى القرآن الكريم- للزجاج ٣٦٧/٥.

عنيفًا بجفوة وغلظة ، ويقهره ويظلمه ولا يعطيه حقه .

﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ :

الحض :الحث على الشيء، [١] فهو لا يطعم المسكين ولا يأمر بإطعامه. [٢]فهو بخيل فى ماله يبخل به على اليتيم، بل هو بخيل من مال غيره ، فهذه هى منتهى الخساسة وقساوة القلب ، فهو لا يرحم ولا يترك غيره يرحم اليتيم ، وهذا إنما يدل على خسة طبعه وقساوة قلبه ، فلو كان يؤمن بالجزاء وأيقن بالحساب لما كان هذا حاله[٣]، وجاء (يكذب ، يدع ، يحض) بصيغة المضارع لإفادة تكرر ذلك منه ودوامه .

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [سورة الماعون : ٤- ٧]

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ :

الويل :كلمة تقال لكل من وقع فى عذاب أو هلكة ، وويل : وادٍ فى جهنم ، وقيل: باب من أبوابها. [٤]
دعاء ووعيد بالهلاك للمصلين الذين يصلون رياء للناس ، لا إخلاصًا لله تعالى ، فالدين عندهم طقوس وشعائر تقام ، فهم يؤدون حركات الصلاة ولكن قلوبهم لا تعيش معها ، وأرواحهم لا تستحضر حقيقة الصلاة ، ساهون عنها ولم تترك الصلاة أثرها فى قلوبهم وأعمالهم فهى أذن هباء. [٥]

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ :

أى الذين هم غافلون عن صلاتهم ، يؤخرونها عن أوقاتها تهاونًا بها [٦]، وقيل : هم الذين يصلون دون نية أو إخلاص فهم فى حالة الصلاة بمنزلة الساهى عما يفعل .

قال ابن عباس وغيره " :يعنى المنافقين الذين يصلون فى العلانية ولا يصلون فى السر ولهذا قال:
﴿ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ أى الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها ثم هم عنها ساهون إما عن فعلها بالكلية كما قال ابن عباس ، وإما عن فعلها فى الوقت المقدر لها شرعا فيخرجها عن وقتها بالكلية كما قال مسروق وأبو الضحى.

وقال عطاء بن دينار : "الحمد لله الذى قال:(عن صلاتهم)، ولم يقل: (فى صلاتهم) ؛ [٧] لأنه لو قال فى صلاتهم لكانت فى المؤمنين ، والمؤمن قد يسهو فى صلاته أما بوسوسة شيطان أو حديث نفس، وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم ، والفرق بين السهوين واضح ، فإن سهو المنافق سهو ترك وقلة التفات إليها ، فهو لا يتذكرها ويكون مشغولاً عنها ، والمؤمن إذا سها فى صلاته تداركه فى الحال وجبره بسجود السهو ، فظهر الفارق بين السهوين . [٨]

(١)عمدة الحفاظ- السمين الحلبى ٤٢٦/١ (٢) معانى القرآن وإعرابه -للزجاج ٣٦٧/٥ (٣) صفوة التفاسير–الصابونى بتصرف ٦٠٩/٣
(٤) لسان العرب ٧٣٨/١١. (٥) فى ظلال القرآن– سيد قطب ٣٩٨٥/٦. (٦) صفوة التفاسير- الصابونى ٦٠٩/٣ .
(٧) عمدة التفسير– ابن كثير ٧٣٦/٣ . (٨) صفوة التفاسير– الصابونى ٦٠٩/٣ ، الكشاف ٤/ ٨٠٥ .

﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴾

أى يصلون أمام الناس رياء ليقال إنهم صلحاء ، ويتخشعون ليقال إنهم أتقياء ، ويتصدقون ليقال إنهم كرماء ، وهكذا سائر أعمالهم للشهرة والرياء[١]، فهكذا تتحول صلاتهم إلى هباء منثورا ، فالله يريد طهارة قلوبهم ، فالله غنى عن عبادتنا ، فلو اجتمع الإنس والجن على أتقى قلب رجل واحد فلن يزيدوا فى ملك الله شيئًا ، ولو اجتمعوا على أفجر قلب رجل واحد منهم ما نقص من ملك الله شيئًا .

﴿ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴾ :

روى عن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: الماعون الزكاة ، وقال الزجاج: من جعل الماعون الزكاة لأنه يؤخذ من المال ربع العشر وهو قليل من كثير ، والماعون اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس وغيرهما مما جرت العادة بعاريته ، والماعون المطر لأنه يأتى من رحمة الله. [٢]

وفى التسهيل قال: فى الماعون أربعة أقوال : **فالأول**: أنه الزكاة ، **الثانى** :أنه المال بلغة قريش ، **الثالث** : أنه الماء ، **الرابع** : أنه ما يتعاطاه الناس بينهم كالآنية والفأس والدلو والمقص . [٣]

أى يمنعون الناس منافع ما عندهم ،وفى الآية زجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة الحقيرة ، فهم يمنعون الناس المنافع اليسيرة من كل ما يستعان به ، كالإبرة والفأس وغيرها ، وفى الآية زجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة الحقيرة . [٤]

*****

(١) صفوة التفاسير – الصابونى ٦٠٩/٣.
(٢) لسان العرب ٤١٠/٣ .
(٣) التسهيل فى علوم التنزيل ٦١٥/٢
(٤) صفوة التفاسير– الصابونى ٦٠٩/٣.

﴿ سُورَةُ الكَوْثَرِ ﴾

- **ما ترشد إليه السورة :**

١. تحدثت عن فضل الله العظيم على نبيه الكريم بإعطائه الخير الكثير والنعم العظيمة فى الدنيا والآخرة ، ومنها (نهر الكوثر) وغير ذلك من الخير العظيم ، وقد دعت الرسول إلى إدامة الصلاة ونحر الهدى شكرًا لله .

٢. ختمت السورة ببشارة الرسول-ﷺ- بخزى أعدائه ، ووصفت الكارهين له بالذلة والحقارة والانقطاع من كل خير فى الدنيا والآخرة ، بينما ذكر الرسول ﷺ مرفوع على المنابر واسمه الشريف على كل لسان، خالد إلى آخر الزمان . (١)

- **ما مناسبة نزول السورة؟:**

لما مات القاسم ابن النبى-ﷺ-كان (العاص بن وائل) إذ ذكر رسول الله ﷺ- قال : دعوه فإنما هو رجل أبتر لا عقب له –أى لا نسل له– لو هلك انقطع ذكره واسترحتم منه ، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾إلى آخر السورة. (٢)

لقد أخبر الله تعالى أن هذا الكافر هو الأبتر وإن كان له أولاد ؛ لأنه مبتور من رحمة الله ، - أى مقطوع عنها- ؛ ولأنه لا يذكر إلا ذكر باللعنة بخلاف النبى -ﷺ- فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر مرفوع على المآذن والمنابر، مقرون بذكر الله تعالى والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه، فهو كالوالد لهم-ﷺ-(٣)

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾[سورة الكوثر : ١-٣]

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ :

الخطاب للرسول تكريمًا له ، أى أعطيناك يامحمد الخير الكثير الدائم فى الدنيا والآخرة ، ومن هذا الخير نهر الكوثر.

–{عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ ، حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَاليَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ**»} (٤)

(١) صفوة التفاسير -الصابونى ٦١٠/٣. (٢) أسباب النزول– الواحدى ٤٩٤ . (٣) الكشاف ٨٠٨/٤ ، وعمدة التفسير- ابن كثير ٧٤٠/٣ .
(٤) حَسَنٌ صَحِيحٌ (٣٣٦١)- سنن الترمذى -أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - باب من سورة الكوثر.

-{عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ : « أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ» فَقَرَأَ : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ **ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟»** فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ : " **فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ : مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ** "}[(١)]

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ :

يطلب الله من نبيه أن يشكر نعمة الله ويتجرد له، فيصلى للذى أفاض عليه الخير الكثير،وينحر الإبل التى هى خيار أموال العرب شكرًا لله على هذه الكرامات لوجهه لا لغيره لأن الكفار كانوا ينحرون للأصنام فهو أمر بالتوحيد والإخلاص .[(٢)]

﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ :

الأبتر: أى المنقطع العقب ، وجائز أن يكون المنقطع عنه كل خير،[(٣)]شانئك: أى إن مبغضك.[(٤)]

أى إن مبغضك يا محمد هو المنقطع عن كل خير ، وقد نزلت هذه الآية ردًا على "العاص بن وائل" ، وقد أوردنا القصة كاملة فى أسباب النزول ، فالآية تقرر أنه ليس أبترًا وأن هذا الكافر هو الأبتر ، وإن كان له أولاد لأنه مبتور من رحمة الله أى مقطوع عنها ، ولأنه لايذكر إلا باللعنة بخلاف النبى ﷺ الذى هو صاحب الكوثر ، لقد امتد ذكر محمد -ﷺ-وعلا على المآذن والمنابر مقرون بذكر الله تعالى ، والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه ، فهو كالوالد لهم صلوات الله وسلامه عليه .[(٥)]

*****

(١) (٤٠٠) صحيح مسلم -كِتَابُ الصَّلَاةِ -بَابُ حُجَّةِ مَنْ قَالَ: الْبَسْمَلَةُ آيَةٌ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ سِوَى بَرَاءَةٌ.

(٢) التسهيل فى علوم التنزيل - ٦١٦/٢.

(٣) لسان العرب ٣٨/٤ .

(٤) معانى القرآن وإعرابه - الزجاج ٣٧٠/٥

(٥) التسهيل فى علوم التنزيل - ٦١٧/٢.

﴿ سُورَةُ الكَافِرُونَ ﴾

■ **ما ترشد إليه السورة :**

هى سورة التوحيد والبراءة من الشرك والضلال ، فقد دعا المشركون رسول الله - ﷺ -إلى المهادنة ، وطلبوا منه أن يعبد آلهتهم سنة ، ويعبدوا إلهه سنة ، فنزلت السورة تقطع أطماع الكافرين ، وتفصل النزاع بين الفريقين أهل الإيمان وعبدة الأوثان ، وترد على الكافرين تلك الفكرة السخيفة. (١)

■ **ما مناسبة نزول السورة ؟**

نزلت فى رهط من قريش قالوا :يامحمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ، ونعبد إلهك سنة فإن كان الذى جئت به خيرا مما بأيدينا (كنا) قد شركنك فيه وأخذنا بحظنا منه ، وإن كان الذى بأيدينا خيرا مما فى يديك (كنت) قد شركتنا فى أمرنا وأخذنا بحظك.

فقال معاذ : الله أن أشرك به غيره فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾إلى آخر السورة فغدا رسول الله إلى المسجد الحرام ،وفيه الملأ من قريش فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك. (٢)

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾

[سورة الكافرون :١-٦]

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ :

قُلْ :هو الأمر الإلهى الحاسم بأن أمر هذه العقيدة لله وحده وليس لمحمد فيه شيء، إنما هو الله الآمر الذى لا مرد لأمره ، الحاكم الذى لا راد لحكمه (٣) ، وناداهم بحقيقتهم ووصفهم بصفتهم﴿ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ تحقيرًا لهم وتأييدًا لتبرؤه منهم وإيذانًا بأنه لا يخشاهم ، إذ ناداهم بما يكرهون مما يثير غضبهم ، لأن الله كفاه إياهم وعصمه من أذاهم ، فهومحروس من عند الله فهو لا يبالى بهم ولا بطواغيتهم(٤) ، فلا التقاء بين الرسول-ﷺ- وبينهم .

(١) صفوة التفاسير– الصابونى ٦١٣/٣.
(٢) أسباب النزول– الواحدى ٤٩٦ .
(٣) فى ظلال القرآن ٣٩٩١/٦ ، خواطر الشعراوى ٦١٦/١.
(٤) صفوة التفاسير-الصابونى ٦١٣/٣ .

﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ :

لا أعبد هذه الأصنام والأوثان التى تعبدونها ، فعبادتى غير عبادتكم ومعبودى غير معبودكم ، فأنا بريء من هذه الآلهة التى لا تضر ولا تنفع ولا تغنى عن عابدها شيئا.

قال المفسرون : " إن قوما من قريش منهم الوليد بن المغيرة ،وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل ، وأبو جهل قالوا: يامحمد اتبع ديننا ونتبع دينك اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة ، فقال: معاذ الله أن نشرك بالله شيئًا، فقالوا : فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك ، فقرأها عليهم فأيسوا منه وآذوه وآذوا أصحابه". [١]

﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ :

فعبادتكم غير عبادتى ومعبودكم غير معبودى ، فأنتم تعبدون الأحجار والأوثان ، وشتان بين عبادة الرحمن وعبادة الهوى والأوثان. [٢]

﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ :

تأكيد لما سبق من البراءة من عبادة الأحجار ، وقطع لأطماعهم فى عبادة أوثانهم، فلا أعبدها ما عشت ولا أعبد أصنامكم الآن ولا فيما يستقبل من الزمان. [٣]

﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ :

أى ولستم أنتم فى المستقبل بعابدين إلهى الحق الذى أعبده ، فلا مجال لظن أو شبهة بعد هذا التوكيد المكرر بكل وسائل التوكيد والتكرار.

والسورة منذ بدايتها نجد فيها نفيًا بعد نفى ، وجزمًا بعد جزم ، وتوكيدًا بعد توكيد ، بكل أساليب النفى والجزم والتوكيد .

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ :

أى لكم شركم ولى توحيدى ، وهنا تأكيد على عبادة الواحد القهار ، فلا معبودنا واحد ولا عبادتنا واحدة . [٤]

*****

(١) انظر روح المعانى– للألوسى ٢٥٠/٣٠، التسهيل لعلوم التنزيل ٦١٨/٢، الكشاف ٨٠٨/٤، وتفسير القرطبى ٢٢٥/٢٠.

(٢)، (٣) ، (٤) صفوة التفاسير- الصابونى ٦١٤/٣ .

﴿ سُورَةُ النَّصْرِ ﴾

■ **ما ترشد إليه السورة :**

تتحدث السورة عن فتح مكة الذى عزَّ به المسلمون ، وانتشار الإسلام فى الجزيرة العربية ، ودخول أحياء كثيرة من العرب فى دين الله ، وارتفاع راية الإسلام ، وكان الإخبار بفتح مكة قبل وقوعه من أظهر الدلائل على صدق نبوته عليه أفضل الصلاة والسلام .[١]

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣ ﴾ [سورة النصر : ١-٣]

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ :

الخطاب للرسول يذكره ربه بالنعمة والفضل عليه وعلى سائر المؤمنين ، أى إذا نصرك الله يامحمد وفتح عليك مكة،والإخبار بفتح مكة قبل وقوعه إخبار بالغيب، فهو من أظهر الدلائل على صدق نبوته-ﷺ-.[٢]

﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ :

أى ورأيت العرب يدخلون فى الإسلام جماعات جماعات من غير حرب ولا قتال ، "حيث إنه كانت أحياء من العرب تنتظر فتح مكة ، ويقولون إن ظهر على قومه فهو نبى ، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا فى دين الله أفواجًا فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيمانا.[٣]

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾ :

أى فسبح ربك واستغفره واشكره على ما أولاك من النصر وفتح البلاد وإسلام العباد ، واطلب منه المغفرة لك ولأمتك [٤]، كان تعليق الأمر بالتسبيح وبالاستغفار على حصول النصر والفتح إيماء إلى تسبيح واستغفار يحصل بهما تقرب لم ينو من قبل ، وهو التهيؤ للقاء الله ، وأن حياته الدنيوية أوشكت على الانتهاء، وانتهاء أعمال الطاعات والقربات .

(١)، (٢) صفوة التفاسير- الصابونى ٦١٥/٣. (٣) عمدة التفسير- ابن كثير ٧٤٤/٣ (٤) صفوة التفاسير- الصابونى ٦١٥/٣.

ولكن ...**مما يكون الاستغفار ؟**

من الزهو الذى قد يساور القلب بنشوة النصر بعد طول الكفاح ، وفرحة الظفر بعد طول العناء من ضيق وقت الشدة واستبطاء لوعد الله بالنصر ، والاستغفار من التقصير فى حمد الله وشكره ، ويكون الاستغفار لكبت النفس من الطغيان على المقهورين والمغلوبين.

فالله هو الذى سلطه عليهم ، وإنما سلطة الله عليهم تحقيقًا لأمر يريده هو ، فالدين دين الله ، وإلى الله تصير الأمور ، نعم إنه الانطلاق من قيود الذات ليصبح البشر أرواحًا من روح الله ليس لها حظ فى شيء إلا رضاه ، وكان هذا أدب محمد -ﷺ-فى موقف النصر والفتح حيث انحنى شاكرًا الله على ظهر دابته، وذلك حين دخل فاتحًا مكة التى آذته، وأخرجته وحاربته ووقفت فى طريق الدعوة[١] .

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ :

أى إنه جل وعلا كثير التوبة عظيم الرحمة لعباده المؤمنين .

هذه السورة الكريمة فيها نعى النبى - ﷺ-ولهذا تسمى سورة "التوديع"[٢] قال رسول الله - ﷺ-لعائشة : "**ما أراه إلا حضور أجلى**" [٣].

-{عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ [سورة النصر: ١] قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي بِأَنَّهُ مَقْبُوضٌ فِي تِلْكَ السَّنَةِ** "} [٤]

- {عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ يَسْأَلُنِي مَعَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: أَتَسْأَلُهُ وَلَنَا بَنُونَ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: **إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ تَعْلَمُ**، فَسَأَلَهُ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [سورة النصر: ١] فَقُلْتُ: «**إِنَّمَا هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ إِيَّاهُ، وَقَرَأَ السُّورَةَ إِلَى آخِرِهَا**» ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ}[٥]

فلا يمتنع أن يكون الرسول الله- ﷺ -حين رأى علامة ربه أدرك أن واجبه فى الأرض قد كمل، وأنه سيلقى ربه قريبا فكان هذا هو معنى قول ابن عباس : هو أجل رسول الله- ﷺ -أعلمه له ...الخ [٦]

*****

(١) في ظلال القرآن –سيد قطب٦/٣٩٩٦-٣٩٩٧. (٢) التسهيل لعلوم التنزيل نقلا عن ابن مسعود ٢/٦٢٠. (٣) تفسير القرطبي ٢٠/٢٣٣ .
(٤) (١٨٧٣) مسند أحمد – مسند الهاشمين- مسند عبد الله بن عباس بن عبد المطلب عن النبى ﷺبداية مسند عبد الله بن عباس ،وقال أحمد شاكر إسناده صحيح، عمدة التفسير – ابن كثير ٣/٧٤٣. (٥) حَسَنٌ صَحِيحٌ- (٣٣٦٢) سنن الترمذى – كتاب تفسير القرآن -باب من سورة الفتح . (٦) في ظلال القرآن – سيد قطب٦/٣٩٩٥.

﴿ سُورَةُ المَسَدِ ﴾

■ **ما ترشد إليه السورة :**

تحدثت السورة عن هلاك "أبى لهب" عدو الله ، الذى كان شديد العداء لرسول الله -ﷺ-الذى كان يترك شغله ويتبع الرسول ليفسد عليه دعوته ويصد الناس عن الإيمان به ، وقد توعدته السورة فى الآخرة بنارٍ موقدة يصلاها ويشوى بها ، وقرنت زوجته به فى ذلك ، واختصها بلون من العذاب شديد ، هو ما يكون حول عنقها من حبلٍ من ليف تجذب به فى النار ؛ زيادة فى التنكيل والدمار . (١)

■ **ما سبب نزول هذه الآيات ؟**

-عن ابن عباس رضي الله عنه قال : " لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[سورة الشعراء: ٢١٤] أتى رسول الله -ﷺ- الصفا فصعد عليه ثم نادى : **ياصباحاه** فاجتمع إليه الناس من بين رجل يجىء، ورجل يبعث رسوله **فقال : يابنى عبد المطلب يابنى فهر ، يابنى لؤى ، فقال -ﷺ- : لو أخبرتكم أن خيلًا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى ؟ قالوا :نعم ، قال : " فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد** "فقال له أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ! ما دعوتنا إلا لهذا ؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (٢).

-{عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الصَّفَا فَنَادَى: «**يَا صَبَاحَاهُ**» ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالَ: «**إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنِّي أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ العَدُوَّ مُمَسِّيكُمْ أَوْ مُصَبِّحُكُمْ أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟**» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا ؟ تَبًّا لَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [سورة المسد: ١] }(٣)

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾[سورة المسد : ١-٥]

(١) صفوة التفاسير – الصابونى ٦١٧/٣ .
(٢) أسباب النزول – الواحدى٤٩٩.
(٣) « حَسَنٌ صَحِيحٌ»(٣٣٦٣) سنن الترمذى – أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -بَاب وَمِنْ سُورَةِ تَبَّتْ٤٥١/٥ ، (٤٩٧١) صحيح البخارى-كتاب التفسير –باب من سورة ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾.

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ :

تبت :معناه خسرت يدا أبى لهب ، وتب :أى خسر .[١]

أى هلكت يدا ذلك الشقى وخاب وخسر وضل عمله ، والمراد من اليد صاحبها على عادة العرب فى التعبير ببعض الشيء عن كله وجميعه .

والتباب هو الهلاك والبوار ، حيث تتحدث السورة عن عم النبى-ﷺ-واسمه (عبد العزى بن عبد المطلب).

ولكن... لماذا سمى أبو لهب ؟

تروى الكتب أن له وجنتين متألقتين كأنهما لهب فى خديه ، وهذا دليل الجمال ، وكان يميل إلى البياض والحمرة ، فذكر بكنيته ، وكنيته تتناسب مع مصيره ، "فأبو لهب" مصيره إلى اللهب ، وسيصلى نارًا ذات لهب. فسماه القرآن بكنيته دون اسمه ،[٢] أو لأن فى اسمه عبادة العزى وذلك لايقره القرآن ، أو لأنه كان بكنيته أشهر منه باسمه لأن فى كنيته ما يشير بكونه صائرًا إلى النار ، وذلك كنايه عن كونه جهنميا ، لأن اللهب ألسنة النار إذا اشتعلت وزال عنها الدخان.[٣]

﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ :

كسب: المقصود بها ولده.[٤]

أى لم يفده ماله الذى جمعه ولا جاهه ولا عزه الذى اكتسبه ، ولم يدفع عنه شيء من عذاب جهنم وماكسب من الأولاد، قال مجاهد : لأن ولد الإنسان من كسبه .[٥]

لقد نزلت هذه السورة لتخبرنا بمصير "أبى لهب" ، وهو مازال على قيد الحياة أى فى فترة الاختيار البشرى، ومع ذلك فإن "أبا لهب" لم يخطر على باله أن يعلن إسلامه ولو نفاقًا فيهدم قضية الدين ، ولكنه بقى على كفره ، ولم يكن التنبؤ بأن أبا لهب سيموت كافراً أمرًا ممكناً.[٦]

ثم يأتى الحق سبحانه وتعالى فى قرآن منزل على رسوله لا يتغير ولا يتبدل متعبدا بتلاوته إلى يوم القيامة ويعلن أن أبا لهب سيموت كافراً ويدخل النار ، وماذا كان يمكن أن يحدث لو أن أبا لهب جمع الناس وقال:إن محمداً قد قال فى قرآن يقول أنه منزل عليه من الله أننى سأموت كافراً وسأدخل النار وأنا أقول لكم:" أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله" لتعلموا أنه لا شيء ينزل على محمد من السماء .

كان يمكن أن يقولها نفاقا أو رياء ليهدم قضية الدين ، ولكن الله سبحانه وتعالى تحدى أبا لهب فى أمر اختيارى ، ومع ذلك لم يأت إلى عقل أبى لهب أن يستخدم هذا التحدى فى هدم الدين الذى كان يكن له أشد العداء، بل أن كثيراً من أئمة كفار قريش كأبى سفيان ، وعكرمة بن أبى جهل ، و خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وغيرهم الذين حاربوا الإسلام بضراوة آمنوا بعد ذلك وحسن إسلامهم ، إلا أبا جهل فإنه ظل على كفره حتى مات .[٧]

(١) معانى القرآن وإعرابه – الزجاج ٥/ ٣٧٥ .
(٢) التسهيل فى علوم لتنزيل ٦٢٢/٢.
(٣) الكشاف–الزمخشرى٨١٤/٤ بتصرف.
(٤) لسان العرب ٧٤٥/١.
(٥) تفسيرالقرطبى ٢٣٨/٢٠ .
(٦) معجزة القرآن -للشعراوى١/ ١١٠.
(٧) القضاء والقدر– الشعراوى ٧٧.

روى أن الرسول-ﷺ- لما دعا قومه إلى الإيمان قال "أبولهب" : إن كان ما يقول ابن أخى حقًا فإنى أفتدى نفسى يوم القيامة من العذاب بمالى وولدى فنزلت . (١)

قال الألوسى : كان لأبى لهب ثلاثة أبناء (عتبة و معتب وعتيبة) وقد أسلم الأولان يوم الفتح وشهدا حنينًا والطائف ، وأما "عتيبة" فلم يسلم ، وكانت (أم كلثوم) بنت الرسول عنده ، وأختها (رقية) عند أخيه (عتبة) فلما نزلت السورة قال أبو لهب لهما :رأسى ورأسكما حرام إن لم تطلقا ابنتى محمد فطلقاهما ، ولما أراد "عتيبة" الخروج إلى الشام مع أبيه قال : لآتين محمدًا وأوذينه ، فأتاه فقال : يامحمد إنى كافر بالنجم إذا هوى ، وبالذى دنا فتدلى ثم تفل تجاه النبى-ﷺ- ولم يصبه فى شىء وطلق ابنته (أم كلثوم) ، فغضب -ﷺ-ودعا عليه فقال :" **اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك**"، فافترسه الأسد ، وهلك "أبو لهب" بعد موقعة بدر بسبع ليال بمرضٍ معدٍ كالطاعون يسمى "العدسة" ، وبقى ثلاثة أيام حتى أنتن فلما خافوا العار حفروا له حفرة ودفعوه إليها بعود حتى وقع فيها ، ثم قذفوه بالحجارة حتى واروه ، فكان الأمر كما أخبر به القرآن(٢).

﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ :

أى سيدخل نارًا حامية ذات اشتعال وتوقد عظيم ، وهى نار جهنم ، وذكر اللهب للنار إيحاء بتوقدها وتلهبها .

﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ :

حمالة الحطب :كانت تمشى بالنميمة(٣) وقيل المقصود بحمالة الحطب: ذنوبها وسوء عملها. (٤)

أى وستدخل معه نار جهنم امرأته العوراء (أم جميل) التى كانت تمشى بالنميمة بين الناس ، لقد روى أن أم جميل كانت تحمل الشوك فتضعه فى طريق النبى -ﷺ-لإيذائه .

﴿ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ :

الجيد: أى فى عنقها، (٥) المسد: قيل حبل من ليف أو وبر أو صوف ، قال الزجاج: جاء فى التفسير أنها سلسلة طولها سبعون ذراعا (٦) قد فتل فتلاً شديدًا تعذب به يوم القيامة (٧) ، فالجزاء من جنس العمل .

وقال سعيد ابن المسيب : "كانت لها قلادة فاخرة من الجوهر ، فقالت : واللات والعزى لأنفقنها فى عداوة محمد ، فأعقبها الله منها حبلاً فى جيدها من مسد النار . (٨)

*****

(١) عمدة التفسير- ابن كثير ٣/٧٤٧.
(٢) روح المعانى-الألوسى ٣٠/٢٦٢ .
(٣) عمدة التفسير – ابن كثير ٣/ ٧٤٧.
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ٢/٦٢٣ .
(٥) لسان العرب ٣/ ١٣٩.
(٦) معانى القرآن وإعرابه – الزجاج ٥/٣٧٦.
(٧) لسان العرب ٣/٤٠٢-٤٠٣ .
(٨) القرطبي ٢٠/ ٢٤٢ ، عمدة التفسير– ابن كثير٣/٧٤٧.

﴿ سُورَةُ الْإِخْلَاصِ ﴾

■ **ما ترشد إليه السورة :**

تتحدث السورة الكريمة عن صفات الله جل وعلا الواحد الأحد الجامع لصفات الكمال ، المقصود على الداوم ، الغنى عن كل ما سواه ، المنزه عن صفات النقص وعن المجانسة والمماثلة ، وردت على النصارى القائلين بالتثليث وعلى المشركين الذين جعلوا لله الذرية والبنين .(١)

■ **ما سبب نزول الآية الكريمة ؟**

روى أن بعض المشركين جاءوا إلى الرسول -ﷺ-فقالوا : يامحمد صف لنا ربك ، أمن ذهب هو، أم من فضة، أم من زبرجد، أم من ياقوت فنزلت ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .(٢)

-{ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، أَنَّ المشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: ١] فَالصَّمَدُ: الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُولَدُ إِلَّا سَيَمُوتُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَمُوتُ إِلَّا سَيُورَثُ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمُوتُ وَلَا يُورَثُ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص: ٤] قَالَ: «**لَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ وَلَا عِدْلٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**»}(٣)

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

[سورة الإخلاص:١-٤]

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ :

الأحد :هو الفرد الذى لم يزل وحده ولم يكن معه آخر ، وهو اسم مبنى لنفى ما يذكر معه من العدد تقول: (ما جاءنى أحد) ، والهمزة بدل من الواو وأصله وَحَدُ لأنه من الوَحْدة، والأحد بمعنى الواحد، وهو أول العدد.(٤)

(١) صفوة التفاسير –الصابونى ٦٢٠/٣.
(٢) روح المعانى – الألوسى ٢٧٠/٣٠.
(٣) حسن (٣٣٦٤) سنن الترمذى– أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بَاب وَمِنْ سُورَةِ الإِخْلَاصِ .
(٤) لسان العرب ٧١/٣.

افتتاح السورة بالأمر بالقول لإظهار العناية بما بعد فعل القول ، ﴿ قُلْ﴾ خطاب الله لرسوله بكلمة قل تلفتنا إلى أن هذا الأمر ليس من عنده،ولكن من عند الله سبحانه وتعالى،ومهمة الرسول هى البلاغ.(١)

أى قل يامحمد لهؤلاء المشركين المستهزئين إن ربى الذى أعبده والذى أدعوكم لعبادته هو واحد أحد ، لا شريك له ،ولا شبيه ،ولا نظير لا فى ذاته ، ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله فهو جل وعلا واحد أحد، ليس كما يعتقد النصارى بالتثليث (الأب ،والابن، والروح القدس) ولا كما يعتقد المشركون بتعدد الآلهة .(٢)

لا يذكر الله إلا هو واحد متوحد بالألوهية لا يشاركه فيها أحد، وهو قديم لا أول لوجوده ، ولم يكافئه أحد أى لم يماثله ولم يشاكله أحد ، وهو خالق الأشياء وفاطرها.(٣)

فالله واحد فى ذاته ، وصفاته ، وأفعاله ، وجميع الأمور إليه ، وكل شىء فى قبضته.
فوحدة الذات معناها: أن ذاته ليست مركبة من أجزاء ، وأنه لا شريك له فى ملكه.
ووحدة الصفات معناها: أنه ليس لأحد صفة تشبه صفة من صفاته.
ووحدة الأفعال معناها: أنه ليس لأحد غيره فعل من الأفعال.

فالله خالق كل شىء ومبدع كل شىء ، والله لا ينبغى أن يكون معه من إله لأنه لو كان معه إله يشاركه فى الألوهية ويخلق معه لذهب كل واحد بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض أى غالب بعضهم بعضا ليوسع ملكه ، ولو حصل ذلك لفسد نظام العالم.(٤)

﴿ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٗ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا﴾[سورة الإسراء: ٤٢]

تصور معى عزيزى القارئ لو أن لنا آلهة عديدة وكل إله له طلب وأمر فكيف يكون الحال ؟ فأى إله نستجبب له ؟ وقد صور الله تعالى لنا هذه الصورة فى هذه الآية الكريمة :

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلٗاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سورة الزمر :٢٩]

وتخيل معى أن كل إله يحاول أن يتعالى على الإله الآخر ليثبت أن الناس تتبعه فكيف يكون الحال ؟ مما لا شك فيه أن الإنسان سيصاب بخيبة أمل، وإحباط فهو مشتت الفكر لايعرف من يرضيه ؟

﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[سورة الأنبياء:٢٢]

فالحمد لله أن لنا إله واحد لانعبد إلا هو، فليس هناك إلا قوة واحدة تأمرنا ، ولا معبود لنا سوى الله ، وليس له زوجة ولا ولد ، حيث ينتفى من الحياة الهوى والمصلحة وتحل محلها الشريعة والعدالة ، فنحن نستمد قيمنا ومبادئنا والأخلاق الحميدة من الله مباشرة فهو الأعلى والأقوى .(٥)

(١) خواطر الشعراوى ٦١٦/١ .
(٢) صفوة التفاسير– للصابونى ٦٢٠/٣ .
(٣) الكشاف–الزمخشرى ٨١٨/٤ .
(٤) العقائد الإسلامية –سيد سابق٥٢ –٥٣.
(٥) فى ظلال القرآن – سيد قطب ٣٩٦٥/٦ . بتصرف .

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [سورة الإسراء:١١١]

﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ :

الصمد : السيد المطاع الذى لا يقضى دونه أمر ، وقيل : الذى يصمد إليه فى الحوائج أى يقصد ، والصمد من صفاته تعالى لأنه أصمدت إليه الأمور فلم يقض فيها غيره،وقيل الصمد: الدائم الباقى بعد فناء خلقه .

وقيل:الذى صمد إليه كل شىء أى الذى خلق الأشياء كلها لايستغنى عنه شىء،وكلها دال على وحدانيته.(١)

أى هو جل وعلا السيد المقصود الذى لا يقضى أمرًا إلا بإذنه ، وهو السيد الذى لا سيد غيره ، فهو أحد فى ألوهيته ، والكل له عبيد، وهو المقصود وحده بالحاجات المجيب لأصحاب الحاجات"(٢) يحتاج إليه الخلق وهو مستغنٍ عن العالمين .

قال ابن الأنبارى :الصمد السيد الذى ليس فوقه أحد ، الذى يصمدُ إليه أى يلجأ إليه الناسُ فى حوائجهم وأمورهم .(٣)

﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ :

أى لم يتخذ ولدًا وليس له أبناء وبنات ، فهو منزه عن النقائص .

قال المفسرون :فى الآية رد على كل من جعل لله ولدًا كاليهود فى قولهم :"عزير ابن الله "، والنصارى فى قولهم:"المسيح ابن الله" ، وكمشركى العرب فى زعمهم أن "الملائكة بنات الله" ، فرد الله تعالى على الجميع فى أنه ليس له ولد ، فالله تعالى أزلى قديم ، ليس كمثله شيء . (٤)

﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ :

أى ولم يولد من أبٍ ولا أمٍ ،لأن لا أول لوجوده(٥) لأن صفة الأحد تتضمن نفى الوالد والولد .

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ :

أى لم يوجد له مماثل أو مكافيء ، لافى ذاته.. ولا فى صفاته .. ولا فى أفعاله .(٦)

قال ابن كثير : "هو مالك كل شىء وخالقه فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه ، أو قريب يدانيه ؟ تعالى وتقدّس وتنزه".(٧)

هناك سؤال قد يتبادر إلى الذهن : **كيف نرد على من زعم أن الكون ليس له إله ؟ وأنه ليس هناك بعث ولاحساب ؟**

"أن الكون لا يمكن أن يكون قد وجد بمحض الصدفة، ولا أن يكون قد أوجد نفسه بنفسه ،بل لابد وأن يكون له موجد عظيم أوجده بعلمه وحكمته وقدرته ، وأن هذا الموجد العظيم لابد وأن يكون

(١) لسان العرب ٢٥٨/٣-٢٥٩ . (٢) فى ظلال القرآن– سيد قطب ٤٠٠٤/٦. (٣) روح المعانى-الألوسى ٢٧٣/٣٠ . (٤) صفوة التفاسير –الصابونى ٦٢١/٣.
(٥) العقائد الإسلامية –سيد سابق ٥٣. (٦) فى ظلال القرآن – سيد قطب ٤٠٠٤/٦. (٧) عمدة التفسير– ابن كثير ٧٥١/٣.

مغاير لخلقه ، وأن يكون له من صفات الكمال والجلال ما يميزه عن جميع خلقه فهو سبحانه لا يحده أى من المكان أو الزمان لأنه سبحانه هو الذى أوجدهما من العدم ، ولا يشكله أى من المادة أو الطاقة لأنه جل جلاله هو خالقهما من العدم ، ولا نعرف عنه سبحانه وتعالى إلا ما وصف به ذاته العلية فقال عز من قائل:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة الشورى :١١]

لقد كانت قضية الخلق عبر التاريخ وإلى اليوم هى حجة المتشككين والضالين من الخلق ، ولو نظر أى من هؤلاء التائهين فى نفسه ، أو فى شرابه وطعامه ، أو فى كيفية إنجابه ومراحل خلقه ، أو فى الكون من حوله لأدرك أن ذلك يصيح بأعلى صوته الله خالق كل شىء وهو ما أكدته الآية الكريمة :

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ ﴾ [سورة الأنعام:١٠٢]

وفى الوقت الذى ارتفعت أصوات بأن لا عقل ولا روح ولا دين ولا إله، وأن الأحياء لا يهلكها إلا الموت، لقد وسوس الشيطان إلى الإنسان بإنكار الخلق والإدعاء الباطل بأزلية العالم وبنسبة كل شىء إلى الطبيعة دون أن يحدد كنه هذه الطبيعة...!!!

وجاءت الدراسات المتتابعة لتؤكد أننا نحيا فى كون يقدر عمره بأكثر من عشرة مليارات من السنين ، وعلى أرض يقدر عمر تيبس أقدم الصخور فيها بأربعة آلاف وستمائة مليون سنة، والمنطق السوي يؤكد أن كل ما له بداية فلابد حتما وأن تكون له نهاية مما يؤكد حقيقة الخلق. (١)

هذه السورة الكريمة مؤلفة من أربع آيات ،وقد جاءت فى غاية الإيجاز والإعجاز وأوضحت صفات الجلال والكمال، ونزهت الله جل وعلا عن صفات العجز والنقص .

فقد أثبتت الآية الأولى: الوحدانية ،ونفت التعدد.﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾

وأثبتت الثانية: كماله تعالى ، ونفت النقص والعجز ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾

وأثبتت الثالثة :أزليته وبقاءه ونفت الذرية والتناسل ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾

وأثبتت الرابعة : عظمته وجلاله ونفت الأنداد والأضداد ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾

فالسورة إثبات لصفات الجلال والكمال ،وتنزيه للرب بأسمى صور التنزيه عن النقائص .(٢)

(١) تفسير الايات الكونية فى القرآن الكريم - زغلول النجار ٢٥٤/١--٢٥٥.

(٢) صفوة التفاسير – محمد علي الصابوني٦٢٢/٣.

﴿ سُورَةُ الفَلَقِ ﴾

■ **ما ترشد إليه السورة :**

فيها تعليم للعباد أن يلجأوا إلى حمى الرحمن ، ويستعيذوا بجلاله وسلطانه من شر مخلوقاته ، ومن شر الليل إذا أظلم لما يصيب النفوس فيه من الوحشة ، ولانتشار الأشرار والفجار فيه ، ومن شر كل حاسد و ساحر ، وهى إحدى المعوذتين اللتين كان النبى -ﷺ-يعوذ نفسه بهما . (١)

■ **ما سبب نزول المعوذتين ؟**

- {عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ عِنْدِي، لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: " **يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، أَتَانِي رَجُلاَنِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ** " فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، أَوْ كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلاَ اسْتَخْرَجْتَهُ؟ قَالَ: «**قَدْ عَافَانِي اللَّهُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا**» **فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ**}(٢)

والسحر الذى سلط على النبي -ﷺ-إنما سلط على بدنه وظواهر جوارحه ، لا على قلبه وعقله واعتقاده ، وليس فى ذلك ما يوجب لبسًا على الرسالة ولا طعنًا لأهل الزيغ والضلالة .

❊❊❊

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [سورة الفلق : ١-٥]

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ :

العوذ :الالتجاء إلى الغير والتعلق به (٣) ، الفلق :الصبح. (٤)

أى قل يامحمد ألتجئ وأعتصم برب الصبح الذى ينفلق عنه الليل ويتجلى عنه الظلام ، فنحن نستعيذ بنور الحق تبارك وتعالى ليطرد ظلمة الشر الباطن من نفوسنا ويضيء لنا بنوره طريق الحق .

والاستعاذة هنا هى الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى من أى شيء يفزع الإنسان ويهدد أمنه وأمانه ، ولا

(١) صفوة التفاسير –الصابونى ٦٢٣/٣.
(٢) (٥٧٦٦) صحيح البخارى-باب السحر - كتاب الطب.
(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم- للأصفهانى٥٩٤ .
(٤) لسان العرب ٣١٠/١٠.

يستطيع ا لإنسان أن يواجهه بقدارته ولذلك يلجأ إلى القادر على دفع السوء ، وسبب تخصيص الصبح بالتعوذ أن انبثاق نور الصبح بعد شدة الظلمة كالمثل لمجيء الفرج بعد الشدة ، فكما أن الإنسان يكون منتظرًا لطلوع الصبح فكذلك الخائف يترقب مجيء الأمن. (١)

﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ :

أى أعوذ من شر جميع المخلوقات من الإنس والجن والدواب والهوام ومن شر كل مؤذٍ خلقه الله تعالى .

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ :

الغاسق: الليل ، وقب: إذا دخل فى كل شىء وأظلم. (٢)

- {عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ، فَقَالَ : « **يَا عَائِشَةُ اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا ، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ**» }(٣)

أى أعوذ من شر الليل إذا اشتد ظلامه ، فإن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الإنس والجن ، فظلمة الليل مخيفة وما تثيره من توقع للمجهول الخافى من كل شيء من وساوس وهواجس وهموم وأشجان تتسرب فى الليل وتخنق المشاعر والوجدان ، ومن شيطان تساعده الظلمة على الانطلاق . (٤)

﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ :

النفث: قذف الريق القليل من الفم ،وهو أقل من التفل فالنفث بالفم شبيه بالنفخ،وأما التفل فلا يكون إلا ومعه شىء من الريق .(٥)

أى ومن شر السواحر اللواتى يعقدن عقدًا فى خيوط وينفثن-أى ينفخن- فيها ليضروا عباد الله بسحرهن، ويفرقوا بين الرجل وزوجه . (٦)

﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [سورة البقرة : ١٠٢]

ومذهب أهل السنة وجمهور العلماء على إثبات السحر وأن له حقيقة وتأثير على النفس، فإن إلقاءالبغضاء بين الزوجين ، والتفريق بين المرء وأهله الذى أثبته القرآن الكريم ليس إلا أثرا من آثار السحر ، ولو لم يكن للسحر تأثير لما أمر القرآن بالتعوذ من شر النفاثات فى العقد ، ولكن كثيراً ما يكون هذا السحر بالاستعانة بأرواح شيطانية فنحن نقر بأن له أثراً وضرراً ولكن أثره وضرره لا يصل إلى الشخص إلا بإذن الله ، ولكنه فى النهاية متعلق بمشيئة الله .(٧)

لقد حرم الإسلام على المسلمين اللجوء إلى السحر أو السحرة ، وقد ابتليت مجتمعات المسلمين بهذا الشر

(١) صفوة التفاسير– الصابونى ٦٢٤/٣ . (٢) لسان العرب ٨٠١/١ . (٣) (٣٣٦٦) « حَسَنٌ صَحِيحٌ » سنن الترمذى -أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ- بَاب وَمِنْ سُورَةِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ. (٤) فى ظلال القرآن-سيد قطب ٤٠٠٧/٦. (٥) عمدة الحفاظ– السمين الحلبى ٢٠٠/٤
(٦) صفوة التفاسير- الصابونى ٦٢٤/٣. (٧) تفسير آيات الأحكام - الصابونى٥٧/١.

العظيم وانتشر السحرة وصار الناس يذهبون إلى العرافين والسحرة يبتغون عندهم العلاج والشفاء ؛ لذا كان للإسلام هديه الخاص فى علاج السحر قوامه الاستعاذة بالله والركون إليه والاستعانة به ، فإن السحر داء خفى ومستتر.

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ :

الحسد : أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه ، والغبط : أن يتمنى أن يكون له مثله ولا يتمنى زوالها . (١) أى ومن شر الحاسد الذى يتمنى زوال النعمة عن غيره ، ولا يرضى بما قسمه الله له . (٢) و لا يرضى بقضاء الله وقدره ، والله سبحانه قد وزع على الناس الحظوظ بالعدل ، فهناك من يملك المال ، وهناك من يملك القوة ، وهناك من يملك الصحة، وهناك من يملك الجمال ، حظوظ كثيرة ولكننا للأسف لا ننظر إلا إلى نعمة المال ونهمل كل شىء مع أن هناك نعمًا كثيرة تساوى أضعاف نعمة المال ، فنعمة الصحة مثلا من أكبر نعم الله علينا ، فكم تساوى أمام كنوز الدنيا كلها ! وكذلك نعمة الإسلام هى أكبر نعمة وكفى بها نعمة لذلك يقول الله تعالى فى كتابه العزيز :

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [سورة طه :١٣١]

والالتجاء إلي الله، والاستعاذة به من شر حاسد النعمة فهو يستعيذ بولى النعم ومولیها .كأنه يقول : يامن أولانى نعمته وأسداها إليّ أنا عائذ بك من شر من يريد أن يستلبها منى ، ويزيلها عنى وهو حسب من توكل عليه ، وكافى من لجأ إليه ، وهو الذى يؤمن خوف الخائف ، ويجير المستجير ، وهو نعم المولى ونعم النصير . فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه تولاه وحفظه وحرسه وصانه ، ومن خافه واتقاه أمّنه مما يخاف ويحذر. (٣) لقد كان الحسد أول ذنب عصى الله به فى السماء والأرض ، أما **فى السماء**: فحسد إبليس آدم ، أما **في الأرض**: فقتل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد ثم أن الحسد على درجات:

الأولى: أن يحب الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم فهو يكره إنعام الله على غيره ويتألم به .

الثانية: أن يحب زوال تلك النعمة لرغبته فيها رجاء انتقالها إليه.

الثالثة: أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره ، وهذا جائز وليس بحسد إنما هو غبطة **والحاسد يضر نفسه ثلاث مضرات** ، **أحدها**: اكتساب الذنوب لأن الحسد حرام ،**الثانية**: سوء الأدب مع الله تعالى فإن حقيقة الحسد كراهية إنعام الله على عبيده واعتراض على الله فى فعله ، **والثالثة**: تألم قلبه من كثرة همّه وغمّه. (٤)

(١) لسان العرب ١٤٩/٣. (٢) صفوة التفاسير – الصابونى ٦٢٤/٣ . (٣) التفسير القيم-ابن القيم ٦٤٧. (٤) التسهيل لعلوم التنزيل ٦٢٩/٢- ٦٣٠.

﴿ سُورَةُ النَّاسِ ﴾

■ **ما ترشد إليه السورة :**

هى ثانى المعوذتين وفيها الاستجارة والاحتماء برب العالمين من شر الأعداء ، إبليس وأعوانه من شياطين الإنس والجن الذين يغوون الناس بأنواع الوسوسة والإغواء ، [١] إلا أن سورة الفلق تعوذ من شرور المخلوقات من حيوان وناس ، وسورة الناس تعوذ من شرور مخلوقات خفية وهى الشياطين ، والخطاب للنبى ﷺ والمقصود شموله فى أمته . [٢]

*****

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾[سورة الناس : ١-٦]

﴿ قُلْ أَعُوذُ ﴾ :

أَعُوذُ: لاذ به ولجأ إليه ، واعتصم به ، والله عز وجل معاذ من عاذ به ، وملجأ من لجأ إليه. [٣]

أى قل يامحمد أعتصم وألتجئ وأستجير بالله ، والاستعاذة هى طلب المعونة وأنت لا تطلب المعونة إلا ممن هو أقوى منك وأقوى ممن يحاول الاعتداء عليك ، فالشيطان يتميز عن الإنسان بخفة الحركة وعدم قدرتنا على رؤيته ، وقدرته على التغلغل فى نفوسنا ، إذاً فالمطلوب منا أن نستعين بمن هو أقوى منه ، ولايوجد أقوى على الشيطان ممن خلقه .

﴿ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ :

أى خالق الناس ومربيهم ومدبر شئونهم الذى أحياهم وأوجدهم من العدم وأنعم عليهم بأنواع النعم ، ولكن لماذا خص الله الناس بالذكر ؟ تشريفًا وتكريمًا لهم ، حيث إن الله تعالى سخر لهم مافى الكون وأمدهم بالعقل والعلم. [٤]

﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ :

ثم إذا زاد تأمله عرف أنه يستحق أن يعبد لأنه لا عبادة إلا للغنى عن كل ما سواه المفتقر إليه كل ما عداه.[٥]

---

(١) صفوة التفاسير – الصابونى ٦٢٥/٣.
(٢) التحرير والتنوير- ابن عاشور ٦٣٢/٣٠ .
(٣) لسان العرب ٤٩٨/٣.
(٤) ، (٥)صفوة التفاسير– الصابونى ٦٢٦/٣ .

﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ :

أى معبودهم الذى لارب لهم سواه ، وترتيب السورة بهذا الشكل فى منتهى الإبداع ، وذلك أن الإنسان يعرف أن له ربًا أولًا لما يشاهده من أنواع التربية، ثم إذا تأمل عرف أن هذا الرب متصرف فى خلقه ،غنى عن خلقه فهو الملك لهم ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾، ثم إذا زاد تأمله عرف أنه يستحق أن يعبده لأنه لا عبادة إلا للغنى عن كل ما سواه المفتقر إليه كل ما عداه ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ ، وإنما كرر لفظ الناس ثلاثًا ولم يكتف بالضمير لإظهار شرفهم وتعظيمهم والاعتناء بشأنهم .

قال ابن كثير :هذه ثلاث صفات من صفات الرب عز وجل (الربوبية) و (الملك) و (الألوهية) فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه ، وجميع الأشياء مخلوقة ومملوكة له ، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات [١]

"من الملاحظ أن الآيات الكريمات قد اشتملت على إضافات ثلاثة ألا وهى : ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾إضافة الربوبية المتضمنة لحقهم وتدبيرهم ، وتربيتهم ، وإصلاحهم وجلب مصالحهم ، وما يحتاجون إليه ودفع الشر عنهم وحفظهم مما يفسدهم .هذا معنى ربوبيته لهم ، وذلك يتضمن قدرته التامة ، ورحمته الواسعة وإحسانه ، وعلمه بتفاصيل أحوالهم ، وإجابة دعواتهم وكشف كربتهم ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾

الإضافة الثانية :إضافة الملك :فهو ملكهم المتصرف فيهم وهو عبيده ومماليكه، وهو المتصرف لهم المدبر لهم كما يشاء النافذ القدرة الذى إليه مفزعهم عند الشدائد والنوائب وهو مستغاثهم ومعاذهم وملجأهم فلا صلاح لهم ولا قيام إلا به وبتدبيره فليس لهم ملك غيره يهربون إليه ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾

الإضافة الثالثة :إضافة الإلهية: فهو إلههم الحق ومعبودهم الذى لاإله لهم سواه ولا معبود لهم غيره، فلا ينبغى أن يجعلوا معه شريكا فى إلهيته كما لا شريك له فى ربوبيته وملكه فإن كان هو وحده ربنا وملكنا وإلهنا فلا مفزع لنا فى الشدائد سواه ، ولا ملجأ لنا منه إلا إليه ،ولا معبود لنا غيره، ولا يخضع لسواه ،ولا يتوكل إلا عليه فحاجتك إليه أعظم من حاجتك إلى حياتك وروحك.

فمن كان ربهم وملكهم وإلههم فهم جديرون أن لايستعيذوا بغيره ،ولا يستنصروا بسواه ولا يلجئوا إلى غير حماه، فهو كافيهم وحسبهم وناصرهم ووليهم ومتولى أمورهم جميعا بربوبيته وملكه وإلهيته لهم، فكيف لا يلتجئ العبد عند النوازل ونزول عدوه به إلى ربه ومالكه وإلهه ؟!

فظهرت مناسبة هذه الإضافات الثلاثة للاستعاذة من أعدى الأعداء وأعظمهم عدواة وأشدهم ضرراً وأبلغهم كيدا ،وقدم الربوبية لعمومها وشمولها لكل مربوب ،وآخر الإلهية لخصوصها لأنه سبحانه إنما هو إله من عبده ووحده واتخذه دون غيره إلهاً ،وإن كان فى الحقيقة لا إله له سواه ولكن المشرك ترك إلهه الحق واتخذ إلهاً غيره باطلاً ، ووسّط صفة الملك بين الربوبية والإلهية لأن الملك هو المتصرف بقوله وأمره فهو المطاع إذا أمر وملكه لهم تابع لخلقه إياهم فملكه من كمال ربوبيته وكونه إلههم الحق من كمال ملكه، فربوبيته تستلزم ملكه وتقتضيه ، وملكه يستلزم إلهيته يقتضيها ، فهو الرب الحق الملك الحق الإله الحق

(١) عمدة التفسير – ابن كثير ٣/٧٥٤.

خلقهم بربوبيته وقهرهم بملكه واستعبدهم بإلهيته فتأمل هذه العظمة التى تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على أبدع نظام وأحسن سياق". [١] ﴿ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾[سورة الناس: ١-٣]

﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ﴾ :

الوسوسة :الخطرة الرديئة ،واصله من الوسواس وهو صوت الحلى، والهمس الخفى. [٢]

أى من شر الشيطان الذى يلقى حديث السوء فى النفس ويوسوس للإنسان فيغريه بالعصيان .

يقول ابن القيم: أصل الوسوسة الحركة أو الصوت الخفى الذى لا يحس فيحترز منه ،فالوسواس الإلقاء الخفى فى النفس إمابصوت خفى لا يسمعه إلا ممن ألقى إليه ، وإما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد .

ومن هذا وسوسة الحلى وهو حركته الخفية فى الأذن. والظاهر- والله أعلم- أنها سميت وسوسة لقربها، وشدة مجاورتها لمحل الوسوسة من شياطين الإنس ، وهو الأذن. فقيل: وسوسة الحلى ؛لأن الصوت مجاور للأذن كوسوسة الكلام الذى يلقيه الشيطان فى أذن من يوسوس له. [٣]

من هو الشيطان؟

سؤال طالما دار فى عقولنا دون أن نجد له جواباً ... ! إن الشيطان غيب عنا يرانا ولا نراه يهمس ويوسوس لنا دون أن نعرف أين هو ؟! ولا ماذا يفعل ؟ ولذلك يبقى السؤال : من هو الشيطان ؟

الشيطان معناه :كل من يبعد الناس عن طاعة الله وعن منطق الحق ، وكل من يغرى بالمعصية ويدفع الإنسان إلى الشر .

فمنهج الشيطان :هو أن يكتشف نقط ضعف الإنسان لينفذ منها ، أنه يصور لنا المعصية فى صورة محببة إلى النفس ويزينها لنا ، ولا يفتر بعد ذلك حتى يوقعنا فى حبائله ، ويخرجنا عن منهج الله .

كيف يسيطر الشيطان على الإنسان؟

يسيطر عليه **بالخوف** ، فإذا تصدق الإنسان خوفه من الفقر ، وإذا أراد أن يقول كلمة حق خوفه من بطش رؤسائه ، وإذا قام ليجاهد فى سبيل الله خوفه الشيطان من قوة الكافرين وأدخل فى نفسه أنه سيقتل عند بدء المعركة ، وإذا أراد أن يسعى فى الخير خوفه أنه سيضيع وقته ومصالحه ، وإذا أراد أن ينهى عن منكر خوفه من أن ذلك سيجلب عليه الأذى ، وإذا أراد أن يقوم إلى الصلاة فإنه يغريه بألا يقوم إلى الصلاة حتى ينتهى القيلم ، وما زال يذكره بأعمال يؤديها حتي يضيع وقت الصلاة أو ينصرف عنها بالتدريج ، فإذا فشل فى ذلك فإنه يوسوس له فى وضوئه فيقول له إنك لم تحسن الوضوء حتى يعيده مرات ومرات ، ويدخل الشك فى نفس الإنسان فلا يعرف كم صلى ، فهو يأتى وقت الصلاة فينسينا عدد الركعات أو عدد السجدات ، وهذا ليس علامة سيئة ولكنها علامة لصالحنا ، فالشيطان لا يقترب من الشيء الخرب ، فلو كانت صلاتنا غير مقبولة ما اقترب ، فهو يريد أن يفسد الصلاة ولذلك مايكاد الإنسان يبدأ الصلاة حتى يذكره بأشياء نسيها ويوسوس له محاولاً أن يفسد صلاته ، وهكذا تتعدد صور

(١) التفسير القيم– ابن القيم ٦٥٩/١- ٦٦١.
(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم–للأصفهانى٨٦٩.
(٣) التفسير القيم – لابن القيم ١/ ٦٦٣– ٦٦٤ .

الإغواء ، فإذا وجد العبد متشددًا فى الصلاة والزكاة وضعيفًا من ناحية المرأة أتاه من ناحية هذا الضعف ، أو زين له مجلس السوء والنميمة وإياكم تظنوا أن الشيطان حين يغوى الإنسان يأتى له من طريق الشر فينفر منه ، بل إن إبليس يلبس هذا الشر لباسًا خادعًا فيجعله محببًا إلى نفسه ، سهلاً عليه مرغوبًا فيه ، إذاً فالشيطان لا يهمه نوع المعصية ولكن يهمه أن تتم المعصية.(١)

﴿ ٱلْخَنَّاسِ ﴾:

فالخناس الشيطان الذى يخنس أى ينقبض عند ذكر الله تعالى،(٢) وأصل الخنوس الرجوع إلى الوراء ، فإذا غفل العبد عن الله عاد فوسوس له ، والخناس لأنه يتصل بعقل الإنسان وعزمه من غير شعور منه ، فكأنه خنس فيه لأن خواطر الشر يهم بها صاحبها فيخاف وتزجره النفس اللوامه أو خوفه عقاب الله .

فإن العبد إذا غفل عن ذكر الله جثم على قلبه الشيطان ، وبذر فيه أنواع الوساوس التى هى أصل الذنوب كلها فإذا ذكر العبد ربه واستعاذ بها خنس وانقبض .

قال قتادة :الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب فى صدر الإنسان فإذا ذكر العبد ربه خنسه .ويقال :رأسه كرأس الحية. وهو واضع رأسه على ثمرة القلب يمنيه ويحدثه. فإذا ذكر الله خنس . وإذا لم يذكره عاد ، ووضع رأسه يوسوس إليه ويمنيه.(٣)

﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ :

الوسوسة والوسواس: الصوت الخفى من ريح ، والوَسواس :صوت الحلى ، والوِسْواس :حديث النفس ، والوَسْواس :هو الشيطان الذى يوسوس فى صدور الناس.(٤)

أى الذى يلقى لشدة خبثه فى قلوب البشر صنوف الوساوس والأوهام . وتتمثل وسوسة الشيطان فى صدر الإنسان بأنواع كثيرة منها فساد الإيمان والتشكيك فى العقائد ، فإذا لم يقدر على ذلك أمره بالمعاصى، فإن لم يقدر على ذلك ثبطه عن الطاعات ، فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء فى الطاعات ليحبطها، فإن سلم من ذلك أدخل عليه العجب بنفسه واستكثار عمله ، ومن ذلك أنه يوقد فى القلب الحسد والغضب حتى يقود الإنسان إلى شر الأعمال وأقبح الأحوال.

وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء: واحدها: الإكثار من ذكر الله ، **وثانيها**: الإكثار من الاستعاذة بالله منه ، وقراءة سورة الناس . **وثالثهم**: مخالفته والعزم على عصيانه.(٥)

قال بن القيم فى الوسوسة : هى مبدأ الإرادة ، فإن القلب يكون فارغًا من الشر والمعصية فيوسوس إليه ويخطر الذنب بباله ، فيُصور لنفسه ويُمنيه ويشهيه فيصير شهوة ويزينها له ويخيلها فى خيال تميل نفسه إليه ، فيصير إرادة ثم لا يزال يمثل ويخيل ويُمنى ويشهى وينسى علمه بضررها ويطوى عنه سوء عاقبتها ، فيحول بينه وبين مطالعته فلا يرى إلا صورة المعصية والتذاذه بها فقط ، وينسى ما وراء ذلك فتصير الإرادة عزيمة جازمة ، فيشتد الحرص عليها من القلب ، فيبعث جنوده فى الطلب فيبعث الشيطان معهم مدداً ولهم عونًا ، فإن فتروا حرَّكهم وإن وَنَوْا أزعجهم(٦) كما قال تعالى :

(١) الشيطان والإنسان –الشعراوى(٧٩،٧٨،٨١،٨٩،٧٧،٦) . (٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم- للأصفهانى ٣٠٠ . (٣) التفسير القيم - ابن القيم ٦٧٠ . (٤) لسان العرب ٦/٢٤٥– -٢٤٦. (٥) التسهيل فى علوم التنزيل ٦٣٢/٢. (٦) التفسير القيم - ابن القيم ٦٧٢-٦٧٣.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [سورة مريم : ٨٣]

﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ :

إن المعركة بين آدم وإبليس قديمة فيا ترى من الذى سينتصر؟ الشيطان ليس له سلطان على الإنسان ، فالسلطان إما أن يكون :

سلطان القهر : بحيث يجعل الإنسان يعمل شيئًا رغمًا عنه بالقوة .

أوسلطان الحجة: بحيث يقنع الإنسان بأن يفعل شيئًا فيفعله بإرادته .

فالشيطان لا يملك سلطان القهر ولاسلطان الحجة فهو ينفذ من جوانب الضعف ، ولكن المسألة أن وسوسة الشيطان وجدت هوى من نفوسنا فاتبعناه فزين لنا ما تهواه نفوسنا حتى تقع فى المعصية "[١] .

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ﴾ [سورة إبراهيم : ٢٢]

وقد يكون الوسواس من الإنس والذى يتمثل فى رفيق السوء ، "ولكن فى النهاية ربه ومليكه مسيطر على الخلق كلهم ، فهو وإن أذن لإبليس بالحرب فهو آخذ بناصيته ، وهو لم يسلطه إلا على الذين يغفلون عن ربهم ، ومما لا شك فيه أن شيطان الإنس أشد فتكًا وخطرًا من شياطين الجن ، فإن شيطان الجن يخنس بالاستعاذة وشيطان الإنس يزين الفواحش ويغريه بالمنكرات .[٢]

وأخيراً وليس آخِرا فإن الله أمر القارئ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم وختم القرآن بالمعوذتين ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القراءة فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفى الابتداء والانتهاء ليكون القارئ محفوظا بحفظ الله الذى استعاذ به من أول أمره إلى آخره.[٣]

*****

تم بحمد الله ، فلله الحمد والمنة أن اختارنى لكتابته ، وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يقبله منى خالصًا لوجهه الكريم ، ويجعله فى ميزان حسناتى، وأسأله سبحانه أن يمن علىّ بالعمل بما فيه حتى يكون حجة لي لا علىّ. كما أسأله تبارك وتعالى أن ينفع به من كتبه وقرأه وسمعه إنه سميع مجيب. فما وجدت فيه من صواب وحق عزيزى القارئ فاقبله ، ولا تلتفت إلى قائله. بل انظر إلى ما قال لا إلى من قال .

فما كان من توفيق فمن الله وحده ، وما كان من خطأ أو نسيان فمنى ومن الشيطان ، اللّٰهُمَّ اجعلنا من خدام كتابك العظيم، اللّٰهُمَّ استخدمنا ولا تستبدلنا وارزقنا الإخلاص والصدق وأنت خير الرازقين. اللّٰهُمَّ اجعلنا من أهلك وخاصتك . سبحانك اللّٰهُمَّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

(١) الشيطان والإنسان– الشعراوى ٩٨ . (٢) فى ظلال القرآن– سيد قطب ٤٠١/٦ (٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٦٣٣/٢.

- **أهم المراجع :**

١-صحيح البخارى- دار الطوق النجاة- تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر- ط١ -١٤٤٢ هـ.
٢-صحيح مسلم -دار إحياء التراث العربى -تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .
٣-سنن الترمذى -تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقى-ط٢- ١٣٩٥ هـ -مصطفى البابى الحلبى .
٤-المستدرك على الصحيحين –أبوعبد الله الحاكم – تحقيق مصطفى عبد القادر عطا –دار الكتب العلمية –ط١-١٤١١ هـ.
٥-مسند أحمد- مؤسسة الرسالة -تحقيق شعيب الأرنؤوط -ط١ -١٤٢١ هـ.
٦-المعجم الأوسط- الطبرانى -تحقيق طارق بن عوض- دار الحرمين- القاهرة.
٧-لسان العرب –محمد بن مكرم بن منظور-طبعة الصادر –ط١.
٨-معجم مفردات ألفاظ القرآن -الراغب الأصفهانى –تنسيق فواز زكارنة-١٤٣٤ هـ.
٩-معانى القرآن وإعرابه - الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن سرى -تحقيق عبد الجليل عبده شلبى –عالم الكتب –ط١- ١٤٠٨ هـ.
١٠-عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ -أحمد بن يوسف بن عبد الدايم –دار الكتب العلمية-ط١-١٤١٧ هـ.
١١-كلمات القرآن تفسير وبيان-حسنين محمد مخلوف-مكتبة نور الإيمان.
١٢-أسباب نزول القرآن - أبو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى-تحقيق كمال بسيونى زغلول – دار الكتب العلمية –ط١- ١٤١١ هـ.
١٣-منهاج السنة النبوية –ابن تيمية – تحقيق محمد رشاد سالم -مؤسسة قرطبة-ط١-١٤٠٦ هـ.
١٤-تفسير البحر المحيط -أبى حيان الأندلسى –دار الكتب العلمية- بيروت –تحقيق :عادل أحمد عبد الموجود ، وعلى محمد معوض-ط١- -١٤٢٢ هـ.
١٥- الجامع لأحكام القرآن -القرطبى –دار الكتب المصرية -١٣٦٩ هـ.
١٦-عمدة التفاسير -الحافظ بن كثير -تحقيق أحمد شاكر-دار الوفاء –ط٢- ١٤٢٦ هـ.
١٧- جامع البيان فى تأويل آى القرآن – ابن جرير الطبرى –تحقيق أحمد شاكر - مؤسسة رسالة-ط١-١٤٢٠ هـ.
١٨-لباب التأويل فى معالم التنزيل-على بن محمد الخازن –دار الفكر -١٣٩٩ هـ.
١٩-روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى -الألوسى-دار إحياء التراث العربى -بيروت .

٢٠-الكشاف فى حقائق التنزيل وعيون الأقاويل وفى وجوه التأويل -الزمخشرى –مكتبة العبيكان-ط١-١٤١٨ هـ -تحقيق أحمد على معوض، وفتحى حجازى .
٢١-إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم -أبو السعود محمد –دار إحياء التراث العربى بيروت.
٢٢-التفسير الكبير مفاتيح الغيب –محمد الرازى فخر الدين – دار الفكر – ط١ -١٤٠١ هـ.
٢٣-التسهيل لعلوم التنزيل -ابن جزى-دار الكتب العلمية-١٤١٥ هـ .
٢٤-معالم التنزيل –البغوى-دار طيبة –ط٤١- ١٤١٧ هـ -تحقيق محمد عبد الله النمر .
٢٥-حاشية الصاوى على الجلالين –أحمد الصاوى المالكى –المطبعة العامرة الشرقية- ١٣١٨ هـ.
٢٦-فى ظلال القرآن -سيد قطب –دار الشروق-ط٣٧- ١٤٢٩ هـ.
٢٧-التصوير الفنى فى القرآن -سيد قطب –دار الشروق.
٢٨-التحرير والتنوير-محمد الطاهر بن عاشور-الدار التونسية .
٢٩-صفوة التفاسير -محمد على الصابونى-دار الصابونى .
٣٠-تفسير آيات الأحكام -محمد على الصابونى-دار الصابونى .
٣١-تفسير الآيات الكونية فى القرآن -زغلول النجار –مكتبة الشروق –ط١-١٤٢٨ هـ.
٣٢-خلق الإنسان بين الطب والقرآن -محمد على البار-الدار السعودية للنشر –ط٤ -١٤٠٣ هـ.
٣٣-للكون إله -صبرى الدمرداش –مكتبة المنار الإسلامية ط٢- ١٤٢٧ هـ.
٣٤-لمسات بيانية فى نصوص من التنزيل – فاضل بن صالح بن مهدى السامرائى – دار عمار للنشر والتوزيع–ط٣- ١٤٢٣ هـ.
٣٥-التفسير القيم -ابن القيم الجوزية--دار مكتبة الهلال –ط١- ١٤١٠ هـ.
٣٦-حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح -ابن القيم الجوزية –تحقيق أحمد عرفة – المكتبة التوفيقية.
٣٧-الروح -ابن القيم الجوزية –مكتبة الصفا-ط١- ١٤٢٢ هـ.
٣٨-الوابل الصيب من الكلم الطيب -ابن القيم --المكتبة السلفية –ط٥.
٣٩-مفتاح دار السعادة ومنشور الولاية -ابن القيم الجوزية-تحقيق عبد الرحمن بن حسن-ط٧-دار النفائس.
٤٠-الجواب الكافى لمن سئل عن السؤال الشافى -ابن القيم الجوزية-المكتبة العصرية-ط١-١٤٢٨ هـ.
٤١-الفوائد -ابن القيم الجوزية –دار العقيدة –ط٥ -١١٤٢ هـ.
٤٢-بحر الدموع -أبى فرج بن الجوزى –تحقيق جمال محمود مصطفى –دار الفجر للتراث-ط١-١٤٢٥ هـ.

٤٣-مختصر منهاج القاصدين-أحمد بن قدامة المقدسى –دار التقوى-٢٠٠٦م .
٤٤-اليوم الآخر القيامة الكبري -عمر سليمان الأشقر-دار النفائس-ط٦- ١٤١٥ هـ.
٤٥-اليوم الآخر الجنة والنار -عمر بن سليمان الأشقر-دار النفائس –ط٧-١٤١٨ هـ.
٤٦-رحلة إلى الدار الآخرة -محمود المصرى –مكتبة الصفا –ط١-١٤٢٦ هـ.
٤٧-الإسلام يتحدى مدخل علمى إلى الإيمان- وحيد الدين خان-تحقيق عبد الصبور شاهين-مكتبة الرسالة.
٤٨-القضاء والقدر -محمد متولى الشعراوى-مؤسسة أخبار اليوم.
٤٩-الأدلة المادية على وجود الله -محمد متولى الشعراوى -مؤسسة أخبار اليوم.
٥٠-المعجزة الكبرى -محمد متولى الشعراوى-مؤسسة أخبار اليوم.
٥١-الحياة والموت -محمد متولى الشعراوى-مؤسسة أخبار اليوم.
٥٢-الخير والشر -محمد متولى الشعراوى -مؤسسة أخبار اليوم.
٥٣-يوم القيامة -محمد متولى الشعراوى-مؤسسة أخبار اليوم.
٥٤-خواطر الشعراوى -محمد متولى الشعراوى- الجزء الأول، والسابع عشر.
٥٥-نهاية العالم -محمد متولى الشعراوى--مؤسسة أخبار اليوم.
٥٦-الرزق -محمد متولى الشعراوى- مؤسسة أخبار اليوم.
٥٧-الشيطان والإنسان -محمد متولى الشعراوى-مؤسسة أخبار اليوم.
٥٨- العقائد الإسلامية -سيد السابق –دار الفتح-ط١٠-١٤٢٠ هـ.
٥٩- الآلئ الحسان -موسي شاهين لاشين –طبعة الجمعية الشرعية.
٦٠-فقه السيرة النبوية - محمد سعيد رمضان البوطى –دار السلام –ط١٩-١٤٢٩ هـ.
٦١-روضة الأنوار فى سيرة النبى المختار-صفى الرحمن المباركفوري-المكتبة العربية السعودية-ط٨-١٤٣٢هـ.
٦٢- البحر الرائق فى الزهد والرقائق- أحمد فريد –مكتبة الصحابة –جدة -١٤١١ هـ.
٦٣-كيف الخلاص وكلهم أعدائى -هويدا الخطيب –مكتبة أم القرى .
٦٤- من مقومات التكليف – محمد راتب النابلسى –دار المكتبى-ط٢-١٤٣١هـ.
٦٥-الجواهر فى تفسير القرآن الكريم –طنطاوى الجوهرى –ط ٠مصطفى البابى الحلبى -١٣٤٩ هـ.
٦٦-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء –الحافظ أبى نعيم الأصفهانى-دار الفكر – مكتبة الخانجى -١٤١٦هـ.
٦٧- من عجائب الخلق فى جسم الإنسان –محمد إسماعيل الجاويش-الدار الذهبية.

الفهرس :

- **الجزء الثلاثون : (من سورة النبإ إلى سورة الناس)**

رقمها	اسم السورة				الصفحة
٧٨	سورة النبإ	مكية	آياتها ٤٠	.....	٤
٧٩	سورة النازعات	مكية	آياتها ٤٦	.....	٢٣
٨٠	سورة عبس	مكية	آياتها ٤٢	.....	٣٩
٨١	سورة التكوير	مكية	آياتها ٢٩	.....	٥٢
٨٢	سورة الإنفطار	مكية	آياتها ١٩	.....	٦١
٨٣	سورة المطففين	مكية	آياتها ٣٦	.....	٧٠
٨٤	سورة الانشقاق	مكية	آياتها ٢٥	.....	٧٩
٨٥	سورة البروج	مكية	آياتها ٢٢	.....	٨٥
٨٦	سورة الطارق	مكية	آياتها ١٧	.....	٩٣
٨٧	سورة الأعلى	مكية	آياتها ١٩	.....	١٠٢
٨٨	سورة الغاشية	مكية	آياتها ٢٦	.....	١٠٩
٨٩	سورة الفجر	مكية	آياتها ٣٠	.....	١١٩
٩٠	سورة البلد	مكية	آياتها ٢٠	.....	١٣٠
٩١	سورة الشمس	مكية	آياتها ١٥	.....	١٣٨
٩٢	سورة الليل	مكية	آياتها ٢١	.....	١٤٨
٩٣	سورة الضحى	مكية	آياتها ١١	.....	١٥٨
٩٤	سورة الشرح	مكية	آياتها ٨	.....	١٦٢
٩٥	سورة التين	مكية	آياتها٨	.....	١٦٦
٩٦	سورة العلق	مكية	آياتها ١٩	.....	١٧٢
٩٧	سورة القدر	مكية	آياتها ٥	.....	١٨٢
٩٨	سورة البينة	مدنية	آياتها ٨	.....	١٨٥
٩٩	سورة الزلزلة	مدنية	آياتها ٨	.....	١٨٩
١٠٠	سورة العاديات	مكية	آياتها ١١	.....	١٩٤
١٠١	سورة القارعة	مكية	آياتها ١١	.....	١٩٧
١٠٢	سورة التكاثر	مكية	آياتها ٨	.....	٢٠١

رقمها	اسم السورة				الصفحة
١٠٣	سورة العصر	مكية	آياتها ٣	.....	٢٠٤
١٠٤	سورة الهمزة	مكية	آياتها ٩	.....	٢٠٨
١٠٥	سورة الفيل	مكية	آياتها ٥	.....	٢١٢
١٠٦	سورة قريش	مكية	آياتها ٤	.....	٢١٥
١٠٧	سورة الماعون	مكية	آياتها ٧	.....	٢١٨
١٠٨	سورة الكوثر	مكية	آياتها ٣	.....	٢٢١
١٠٩	سورة الكافرون	مكية	آياتها ٦	.....	٢٢٣
١١٠	سورة النصر	مكية	آياتها ٣	.....	٢٢٥
١١١	سورة المسد	مكية	آياتها ٥	.....	٢٢٧
١١٢	سورة الإخلاص	مكية	آياتها ٤	.....	٢٣٠
١١٣	سورة الفلق	مكية	آياتها ٥	.....	٢٣٤
١١٤	سورة الناس	مكية	آياتها ٦	.....	٢٣٧

نموذج رقم « ١٧ »

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهـــر الشريف
مجمـع البحـوث الاسـلامية
الادارة العـــامة
للبحـوث والتأليف والترجمـة

AL - AZHAR AL - SHARIF
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

٧٤
ت-١٥

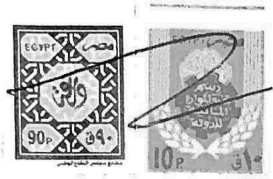

السـيدة/ دينا على عمر عبد ت .....

السـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ـ وبعـد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : فيض الرحمن في تفسير ... جزء عم ... مصر ... عدد صفحات ٢٤٦ صفحة

نفيد بأن الـكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعـه ونشره على نفقتـكم الخـاصة .

مع التـأكيد على ضرورة العنـاية التامة بكتـابة الآيات القـرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والالتزام بتسليم ٥ خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبـع .

واللـه المـوفق ،،،

والسـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ،،،

مـدير عـام
ادارة البحوث والتـأليف والترجمـة

تحريرا فى ٢٢ شعبان/ ١٤٣٦ هـ
الموافق ٩ يونيو/ ٢٠١٥م

الرئيس المساعد للشئون العامة

معتمد
الرئيس العام للمجمع

الهيئة المصرية العامة للكتاب